

# امير الشعراء

في

## العصر المتدين



مجتهد صالح سميكة

خريج دار العلوم

ومدرس بمدرسة بنات الاشراف الثانوية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى

١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م

مطبعة دار العلوم وشيخ الخليل بجنديلاط



## صورة المؤلف



الحياة معرفة الواجب ، والالتم والامل  
باعتبار تلك المعرفة . وخير ما في الحياة سمو  
المرء إلى الفضائل وقيامه بعمل نافع

بلغ إليه الحاضر في فنه وفلسفته . وذلك من عمل العقل المتجدد أبدا والمترادف بالليل والنهار على هذه الأرض . كل نهار أو ليل هو آخر وهو أول ، وكذلك العقول كلها آخر من ناحية وأول من ناحية

والتجديد في الأدب إنما يكون من طريقتين : فأما واحدة فأبداع الأديب الحي في آثار تفكيره بما يخلق من الصور الجديدة في اللغة والبيان ، وأما الأخرى فأبداع الحي في آثار الميت بما يتناولها . من مذاهب النقد المستحدثة ، وأساليب الفن الجديدة . وفي الأبداع الأول إبداع ما لم يوجد ، وفي الثاني إتمام ما لم يتم . فلا جرم كانت فيها معاً حقيقة التجديد بكل معانيها ولا تجديد إلا من ثمة فلا جديد إلا مع القديم

وإذا تبينت هذا وحقيقته أدركت لماذا يتخبط متحلوا الجديد بيننا وأكثرهم يدعيه سفاهاً ويتقلده زوراً ، وجملة عملهم كوضع الزنجي الذرور الأبيض (البودرة) على وجهه ثم يذهب يدعي أنه خرج أبيض من أمه لا من العلبة ..... فأن منهم من يصنع رسالة في شاعر وهو لا يفهم الشعر ولا يحسن تفسيره ولا يحده في طبعه ، ومنهم من يدرس الكاتب البليغ وقد باعده الله من البلاغة ومذاهبها وأسرارها ، ومنهم من يحدد في تاريخ الأدب ولكن بالتكذب عليه والتفحم فيه والذهاب في مذهب المخالفة ، يضرب وجه المستقبل حتى يجيء مدبراً ووجه المدبر حتى يعود مقبلاً فإذا لكل طريق جديد . وينسى أن جديده بالصنعة لا بالطبيعة وبالزور لا بالحق

ألا إن كل من شاء استطاع أن يطب لكل مريض لا يكلفه ذلك  
إلا قولاً يقوله وتلفيقاً يدبره، ولكن كذلك كل من وصف  
دواء استطاع أن يشفى به ؟

\*\*\*

وبعد فقد قرأت رسالة امرئ القيس التي وضعها الأديب الفاضل السيد (محمد  
صالح سمك) فرأيت كاتبها - مع أنه ناشئ بعد (١) - قد أدرك حقيقة الفن  
في هذا الوضع من تجديد الأدب فاستقام على طريقة غير ملتوية ومضى  
في المنهج السديد ولم يدع التثبت وإنعام النظر وتقليب الفكر وتحسين  
الرأى، ولا قصر في التحصيل والاطلاع والاستقصاء، ولا أراه فاته إلا  
ما لا بد أن يفوت غيره مما ذهب في إهمال الرواة المتقدمين وأصبح الكلام  
فيه من بعدهم رجماً بالغيب وحكماً بالظن

فإن امرأ القيس في رأيه إنما هو عقل يأتي كبير من العقول المفردة  
التي خلقت خلقها في هذه اللغة؛ فوضع في بيانها أوضاعاً كان هو مبتدعها  
والسابق إليها ونهج لمن بعده طريقته في الاحتذاء عليها والزيادة فيها والتوليد  
منها وتلك هي منقبتة التي انفرد بها والتي هي سر خلوده في كل عصر. إلى  
دهرنا هذا وإلى ما بقيت اللغة. فهو أصل من الأصول في أبواب من البلاغة  
كالتشبيه والاستعارة وغيرهما حتى لكأنه مصنع من مصانع اللغة لرجل  
من رجالها وكما يقال في زمننا في أم الصناعة: سيارة فورد وسيارة فيات  
يمكن أن يقال مثل ذلك في بعض أنواع البلاغة العربية: استعارة

---

(١) وضع المؤلف هذا الكتاب حينما كان طالباً بدله العلوم

امرى القيس وتشيته امرى القيس

ولكن تحقيق هذا الباب وإحصاء ما انفرد به الشاعر وتاريخ كلماته  
البيانية مما لا يستطيعه باحث وليس لنا فيه إلا الوقوف عند ما جاء به النص  
وثقده. نبهنا في (إعجاز القرآن) إلى مثل هذا إذ نعتقد أن أكثر ما جاء  
في القرآن الكريم كان جديدا في اللغة لم يوضع من قبله ذلك الوضع ولم  
يجر في استعمال العرب كما أجراه، فهو يصب اللغة صبا في أوضاعه لأهلها  
لا في أوضاع أهلها، وبذلك يحقق من نحو ألف وأربعمائة سنة ما لا نظن  
فلسفة الفن قد بلغت إليه في هذا العصر، إذ حقيقة الفن على ما نرى أن  
تكون الأشياء كأنها ناقصة في ذات أنفسها ليس في تركيبها إلا القوة التي  
بنيت عليها. فإذا تناولها الصنع الحاذق الملمم أضاف إليها من تعبيره  
ما يشعر أنه خلق فيها الجمال العقلي فكأنها كانت في الحلقة ناقصة حتى آتمها  
وهذا المعنى الذي بيناه هو الذي كان يحوم عليه الرواة والعلماء بالشعر  
قديماً يحسونه ولا يجدون بيانه وتأويله، فترى الأصمعي مثلا يقول في  
شعر لبيد: إنه طيلسان طبرى. أى محكم متين ولكن لا رونق له. أى فيه  
القوة وليس فيه الجمال، أى فيه التركيب وليس فيه الفن

والعقل البياني كما قلنا في غير هذه الكلمة هو ثروة اللغة وبه وبأمثاله  
تعامل التاريخ وهو الذى يحقق فيها فن النماظها وصورها، فهو بذلك  
امتدادها الزمنى وانتقالها التاريخى وتخلقها مع أهلها إنسانية بعد إنسانية  
في زمن بعد زمن، ولا تجديد ولا تطور إلا في هذا التخلق منى جاء من  
أهله والجديرين به. وهو العقل المخلوق للتفسير والتوليد وتلقى الوحي

وأداته واعتصار المعنى من كل مادة وإداره الأسلوب على كل ما يتصل به من المعاني والآراء فينقلها من خلقتها وصيغها العالمية إلى خلق إنسان بعينه هو هذا العبقري الذي رزق البيان

وللسبب الذي أو مانا إليه بقى امرؤ القيس كالميزان المنسوب في الشعر العربي يبين به انناقص والوافى . قال الباقلاني في كتابه ( الالعجاز ) : وقد ترى الأدباء أولاً يوازنون بشعره ( يريد امرأ القيس ) فلاناً و فلاناً ويضمون أشعارهم إلى شعره حتى ربما وازنوا بين شعر من لقيناه ( توفي الباقلاني سنة ٤٠٣ للهجرة ) وبين شعره في أشياء لطيفة وأمرور بديعة وربما فضلوهم عايه أو سواوا بينهم وبينه أو قربوا موضع تقدمه عليهم وبروزه بين أيديهم . اهـ

ومعنى كلامه أن امرأ القيس أصل في البلاغة ، قدماء بولا يزال يخلق ، وتطورت الدنيا ولا يزال يجرى معها ، وبلغ الشعر العربي غاية ولا تزال عربته عند الغاية

وعرض الباقلاني في كتابه طويلاً امرؤ القيس ، فاتتقد منها أحياناً كثيرة ليدل بذلك على أن أحواد شعر وأبدعه وأفصحه وما أجمعوا على تقدمه في الصناعة والبيان هو قبل آخر غير نظم القرآن لا يمتنع من آفات

---

(١) أى . ملقته وهذه القصائد التي تسمى الملقات لم تكن ولم تعلق كما سمى في تاريخ آداب العرب

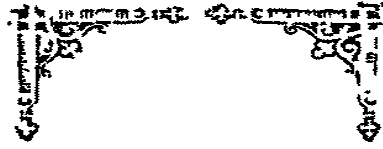
البشرية وتمصها وعوارها ، فركب في ذلك رأسه ورجليه معا .... فأصاب وأخطأ ، وتعسف وتهدى ، وأنصف وتحامل . وكل ذلك لم يكن أمراً القيس في ابتكاره البياني الذي لا يمكن أن يدفع عنه . ولما انتقد قوله :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لحو بها غير معجل  
قال : « فقد قالوا عنى بذلك أنها كبيضة خدر في صفائها ورقتها وهذه كلمة حسنة ولكن لم يسبق إليها بل هي دائرة في أفواه العرب » . ألا ليت شعري هل كان الباقلاني يسمع من أفواه العرب في عصر امرئ القيس قبل أن يقول ( وبيضة خدر ) ؟

على أن الكناية عن الحبيبة ( ببيضة الخدر ) من أبداع الكلام وأحسن ما يؤتى العنقر الشعري ولو قالها اليوم شاعر في لندن أو باريس بالمعنى الذي أراده امرؤ القيس - لا بما فسرهما به الباقلاني - لاستبدعت من قائلها ولا أصبحت مع القبلة على كل فم جميل . بل هم يرون في بعض بيانهم من طريق هذه الكلمة فيكونون عن البيت الذي يتلاقى فيه الحبيبان ( بالمش ) وما يتخذ المش إلا للبيضة . إنما عنى الشاعر العظيم أن حبيته في نعومتها وترفها ولين ماحولها ، ثم في مسها وحرارة الشباب فيها ، ثم في رقتها وشفاء لونها وبريقها ، ثم في قيام أهلها وذويها عليها ولزومهم إياها ، ثم في انصرافهم بجدلة الحياة إلى شأنها وبجدلة القوة إلى حياطتها والمحاماة عنها ، هي في كل ذلك منهم ومن نفسها كبيضة الجراح في عشه ، إلا أنها بيضة خدر . ولذلك قال بعد هذا البيت :



تجاوزت أحراساً إليها ومعشراً على حراسا لو يسرون مقتلى  
فتلك بعض معاني الكلبة وهي كما ترى، وكذلك ينبغي أن  
يفسر البيان ..... ٢



## كلمة للمؤلف

قلبا نجد كتابا من كتب الأدب أو التاريخ قديما وحديثها خلا من ذكر امرئ القيس بن حجر ورواية شيء من شعره . وهو ذلك الشاعر الجاهلي الذي له خطرته وجلاله في عصره والأحقاب المتعاقبة بعده . ولما كانت تلك الأخبار التي رواها الأدباء والمؤرخون - على ما أرى - غررا متناثرة ودررا مبعثرة فقد رأيت أن أعمد إلى تلك الكتب التي قصت علينا شيئا من أنبائه - واستطاعت يدي الوصول إليها - فدرست ماجاء فيها عن ذلك الشاعر دراسة توافق مناهج البحث الحديثة . ثم وضحتها في كتاب على جملة أبواب وسميته ( أمير الشعر في العصر القديم ) وإني لأرجو أن أكون قد وفقت إلى دراسته دراسة تحليلية تسد حاجتنا وتروى غلتنا

ولقد كان يودى بادىء الرأي أن أضع كتابا أسميه ( دولة الشعر في العصر القديم ) أعمد فيه إلى دراسة الشعر والشعراء في العصر الجاهلي دراسة تفصيلية تنم عن كل العوامل والمؤثرات في ذلك الشعر وأولئك الشعراء ولكنني وجدت أن هذا يحتاج إلى بضع مجلدات وزمن الدرس الآن لا يسعدني بذلك فأرجأت وضع تلك الدولة الشعرية إلى فرصة أخرى ولعاني أوفى في مستقبل حياتي إن امتد بي الأجل إلى تحقيق هذا الأمل والله المستعان

وإني لأتم أن في الناس من يعرف ما لا أعرف والكامل لله وحده عليه توكلت وإليه أنيب

## منهج البحث

قبل الاخذ في دراسة ذلك الشاعر يحمل بي أن ألم بشيء مما يجب أن يتبع في دراسة أى شاعر من الشعراء لا جعل ذلك وسيلة موصلة لادخال روح الطمأنينة وبشاشة اليقين على عقول القارئين فهم أوردده عليهم في هذا البحث

أقول : إن ابن خلدون في مقدمته رسم الخطة التي يجب أن يترسبها الباحث في أحوال الجماعات والمتعاطى للماريخ حياتها العامة . فأوجب عليه ألا يعتمد على مجرد النقل للاخبار من غير أن يتحاكم فيها إلى أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران ومذاهب الاجماع

وعندى أنه يجب على الباحث في الأدب والشيراء أن يتبع هذا المنهاج مع إلمامه بشيء من الدراسات الضرورية لأجناس العلوم وقواعد الفاسفة وأصول الأديان . ومع أخذه من كل فن بطرف - كما يقولون - وأن يضيف إلى ذلك كله شيئاً من الشغف الهني الذي يتصل بنفسه فيخلق فيها روح الأدب ويكون لها مزاج الأديب

وان كان للشعر صناعة وثقافة - كما يقول ابن سلام - فان البحث في الأدب أحرى أن يكون كذلك . وصاحب هذه الصناعة محتاج إلى سبك بكل فن حتى مائة وله الزادة في المآتم والمأشظة عند

وقد لا يغنى عن مؤرخ الأدب والباحث فيه استحسانه لنوع منه عند نفسه وعلى قياس ذوقه إذا انحرف عن هذه الثقافة ولم يدخل في اعتبار تلك الصناعة . ولقد قال قائل لخلف الأحمر إذ سمعت أنا بالشعر واستحسنته فما أبالي ما تقول فيه أنت وأصحابك . فقال له خلف الأحمر رأيت إذا استحسنت أنت درهما ثم قال لك الصيرف إنه ردىء أكان ينفعك استحسانك له ؟ . فأسكتته . ولقد قال خلاد بن يزيد الباهلي لخلف بن حيان - وكان خلاد حسن العلم بالشعر يرويه ويقوله - بأى شيء ترد هذه الأشعار التي تروى ؟ قال له هل تعلم أنت منها ما أنه مصنوع لا خير فيه ؟ قال نعم . قال أفتعلم في الناس من هو أعلم منك بالشعر ؟ قال نعم قال فلا تنكر أن يعرفوا سن ذلك ما لا تعرف أنت

وليس البحث في الشاعر مقصورا على أن نصفه بأنه نظم هذه القصيدة البارعة ، أوله تلك المعاني الرائدة ، ولا أن شعره كان رقيقا أو حوشيا . ولا أن يقول مئى ولد ومئى مات ؟ ..... ولكن البحث الصحيح المنتج يتناول هذا الشاعر فيضرب حوله نطاقا من أحوال بيئته الاجتماعية والسياسية والطبيعية ، ويتعرف ما كان للوارثة والمخالطة من آثار ظاهرة في ماكات ذلك الشاعر ، ويتذبح الحوادث التي كانت منبعا لشعره وموردا لقوله ، ويقف على حاله من حيث غناه وفقره ، ورفعته ووضعته ، وعزه وذلّه ، ونعمته وخشونته ، وسراؤه وضراؤه ، وحضره وبادارته ، وحر به وسلبه ، وعلمه وجبله ، وكبره وصغره ..... وكل ذلك له أثر في نفسية الشاعر

وشعره . فالناشيء بين بيثة راقية له مسلك في معانيه وبيانه وأخياته غير مسلك النابت بين السوقة . وكذلك شعر الشريف الناعم غير شعر الوضع البائس . وشعر الحاضرة غير شعر البادية . وشعر الشاب الصغير غير شعر الشيخ الكبير . وشعر المسالم الودع غير شعر المحارب الثائر . وشعر الناسك الزاهد غير شعر الماجن العاهر . . .

وقد لا يوفق الباحث إلى نقل الصورة المطابقة لحقيقة الشاعر إذا حاول أن يأخذه من كلامه وحده غير باحث عن العوامل التي أحاطت به فقد تحتجب نفسية الشاعر لأمر سياسية أو لشهوات خاصة أو لأغراض أملتها عليه البيئة . والباحث يدور يبحث عن الشاعر في شعره فلا يجد له إلا ظلاً ضئيلاً لا يكاد يحمل من حقيقته شيئاً بل قد لا يتصل بها في شيء وقد دلت التجربة مراراً على أن التباين قد يقع بين حقيقة الشاعر وبين ما يظهره في شعره . فأين حقيقة المعرى في قوله :

ألاح وقد أرى برقاً هليحاً      سرى فأتى الحمى نضوا طليحاً<sup>١</sup>  
كأغضى الفتى ليدوق غمضاً      فصادف جفنه جفنا قريحاً<sup>٢</sup>  
إذا ما اهتاج أحر مستطيراً      حسبت الليل زنجياً جريحاً<sup>٣</sup>

---

(١) ألاح البرق أومض ولمع - سرى أى - ار ليلاً - انضو المزلزل من السفر - الطليح المتعب

(٢) القريح الجريح

(٣) اهتاج أى نار - مستطيراً منتشراً

وقوله :

ولاح هلال مثل نون أجادها بجارى النضار الكاتب ابن هلال<sup>١</sup>

وأين حقيقة بشار فى قوله :

كان مشار النقع فوق رؤوسنا

وأسيافنا ليل تهاوى كواكب<sup>٢</sup>

ونحن نعلم أن كل منهما كان أعمى كيف البصر

بل أين حقيقة بشار فى قوله :

إن فى بردى جسما ناحلا لو توكت عليه لاهدم<sup>٣</sup>

ونحن نعلم أنه كان ضخم الجثه طبق لحما واكتنز شحما . ولكن الباحث

إذا فقس عن تلك المؤثرات القائمة التى دعت الشاعر إلى أن ينتحى هذا

المنحى ويسلك هذا المعنى . علم أن تلك النفس الشاعرة تحدثت بغير خاطرها

وتنكرت فى صورتها وابست ثوبا غير زيها

---

(١) البصار الذهب

(٢) التمتع العمار

(٣) الرد المتوب

## أسرة امرئ القيس

يتصل نسب امرئ القيس بملوك كندة و كندة بطن من كهلان بن  
سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وأصلهم من البحرين والمشقر ، ثم  
أجلوا عنها في زمن لا يمكن تحديده وقد أقاموا هناك حينما من الدهر على  
عهد التابعة الحميرين ، وكانت إقامتهم في بلد عرف باسمهم « كندة » مرتفع  
عن الأرض ومشرف على حضرموت . ثم تحولوا إلى مهرة وأقاموا بدمون  
قصبها الكبرى ، وكانوا على وفاق مع التابعة الحميرين وهؤلاء الآخرون  
اتخذوا منهم بطانة وأعوانا ، وأدخلوهم في حاشيتهم ، واستخدموا خاصتهم  
وكبراءهم في بعض مصالحهم - وقد ضاع أكثر أخبارهم - وأقدم من  
عرفت أخباره منهم حجر الملقب بآكل المزار وقد تولى حجر هذا ملك  
بعض القبائل العدنانية بنجد في أوائل القرن الخامس الميلادي . وخبر ذلك  
أنه حين غلب سقهاء بكر عقلاءها على أمر القبيلة وأكل القوى منهم الضعيف  
وتقاطعت أرحابهم قدشاور رؤسائهم فيما بينهم وقالوا الأفضل إلينا أن نملك  
علينا ملكا نعطيه الشاة والبعر ويأخذ للضعيف من القوى ويرد على المظلوم  
ماسليه منه ظالما ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا حتى لا يطيعه قوم ويخرج  
عليه آخرون فتفسد ذات بيننا وإسكتنا نأتي تبع اليمن ( حسانا ) فنملكه  
علينا . فقصدوه وذكروا له أمرهم فملك عليهم حجرا آكل المزار لأنه كان

ذراى ووجهة. فقدم حجر إلى نجد ونزل بيطن عاقل ثم توجه بينى بكر بن وائل إلى ملوك الحيرة اللخمين وهم المناذرة فغزاهم بهم وغلبهم على أمرهم وردهم عما كانوا امتلاكوه فى نجد لاسيما بلاد بكر بن وائل ثم غزا بهم أيضا ملوك الشام وهم الغساسنة وانتصر عليهم فأحبته بكر واجتمعت كلمتها على احترامه ونظاعته . ومارال كذلك حتى مات فيهم ودفن بينهم وله من الولد عمرو ومعاوية الجون وقد قيل أنه خرف فى آخر حياته

أما سبب تسميته بأكل المرار فإنه كان قد سار بجنده لغزو ريمة وكان فى أيامه رجل يقال له زياد بن الهبولة بن عمرو القضاعى - رئيسا لقوم من العرب بأطراف الشام - فلما سمع بغيته حجر وجيشه أغار على ديارهم وأخذ كثيرا من أموالهم وسبى غير قليل من نساءهم . وكانت إحدى السبايا امرأة حجر وهى هند بنت ظالم . ولما بلغ حجر خبر إغارة زياد ارتد عن غزوربيعة فى طلب غريمه ابن الهبولة . وتعجل من جند حجر عمرو بن معاوية وعوف ابن محلم الشدبانى وقالوا لحجر إنا متعجلان إلى زياد لعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب فلقياه دون عين أباغ فكلمه عوف بن محلم وقال له ياخير الفتيان اردد على امرأتى أمامة فردها عليه وهى حامل - فولد له بنتا أراد عوف أن يئدها فاستوهبها منه عمرو بن معاوية وقال لعلها تلد أناسا فسميت «أم أناس» وتزوجها الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار فولدت عمرو ويعرف بابن أم أناس - ثم إن عمرو بن معاوية قال لزياد أيضا وأنا ياخير الفتيان أردد على ما أخذته من إبلى فردها عليه وفيها فخلها ففاز به الفحل إلى الأبل فصرعه



عمرو فقال له زياد لو صرعتهم يابني شيبان الرجال كما تصرعون الابل  
لكنتم أتم أتم . فقال له عمرو : لقد أعطيت قليلا، وشتمت قليلا، وجررت  
على نفسك ويلا طويلا . ثم ركض حتى صار إلى حجر فأخبره الخبر فأقبل  
حجر في أصحابه حتى إذا كان بمكان يقال له الجفير - وهو دون عين أباغ -  
بعث سدوس بن شيدان و صليح بن عبد غم يتجسسان له الخبر ، ويعلمان علم  
العسكر فخرجا حتى وصلا إلى عسكر زياد ليلا وقد أوقد نارا ونادى منادله  
من جاء بحزمة من حطب دله فدره<sup>١</sup> من تمر . فاحتطب سدوس و صليح ثم أتيا  
به إلى ابن الهولة و طرحاه بين يديه فناولهما من التمر وحلسا قريبا من القبة  
ثم إن صليعا قال هذه آية وعلم ما يريد فانصرف إلى حجر وأخبره بأمر زياد  
وعسكره وأراه التمر . أما سدوس فقال لا أبرح حتى آتني بأمر جلي ، وجلس  
مع القوم يسمع ما يقولون . ولما انقضى شطر من الليل أقبل رجالات من  
أصحاب زياد يحرسونه وقد تفرق أهل العسكر في كل ناحية ، ودنا سدوس  
من القبة متخفيا بحيث يسمع ويرى فأدا بزباد قد دنا من هند - امرأة حجر -  
فقبلها وداعبها وقال لها ما ظلك الآن بحجر ؟ فقالت ما هو ظن ولكنه يقين ،  
إنه والله لن يدعك حتى تدع القصور الحجر ، وكأني به في فوارس من نبي  
شيبان يذمرهم<sup>٢</sup> ويدمرونه ، وهو شديد الكلب أسرع الطلب تزيد شتمته كأنه  
بعير آكل مرار ، فالنجاه النجاه فأن ورامك طالبا حثيثا وجمعا كثيفا وكيدا  
متينا ورأيا صليبا . فرفع زياد يده ولطمها ثم قال لها ما قلت هذا إلا من  
عجبك به وحبك له . فقالت والله ما أنغضت أحدا بغضى له ، ولا رأيت

(١) الدرّة القطمة والكلمة من كل شيء (٢) يذمرهم يحرمهم على القفال (٣) الكلب العصب والأنف

رجلا أحزم منه نائما ومستيقظا ، إن كان لتنام عينه فبعض أعضائه مستيقظ . لا ينام . قال كيف ذلك ؟ . قالت كان إذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عساة من لبن . فبينما هو ذات ليلة نائم وأنا قريبة منه أنظر إليه إذ أقبل أسود سالخا إلى رأسه فتحى رأسه ، فقال الثعبان إلى يده فقبضها حجر ، فقال إلى العس فشربه ثم مجه . فقلت في نفسي يستيقظ الرجل ويشربه فيموت فأستريح منه . ولما استيقظ من نومه قال علي بالأنا ، فتاولته إياه فشمه ثم أهرأقه على الأرض . وقال أين ذهب الأسود يا هند ؟ فقلت مارأيته فقال كذبت

. ذلك الحديث الذي تقصه هند على زياد بن الهبولة يسمعه سدوس ويضعه . فلما نامت الإحراس خروج سدوس يسرى ليلته حتى صبح حجر فقال له : -

أتاك المارجفون بأمر غيب على دخل وجئتك باليقين  
فمن يك قد أتاك بأمر لبس فقد آتى بأمر مستبين  
ثم قص عليه جميع ما سمع ورأى . فجعل حجر يعبث بالمرار يأكل منه وهو غضبان محنق لا يشعر أنه يأكله من شدة ما أصابه من الغيظ والكد فسمى يومئذ بأكل المرار . ثم أمر حجر فتودى في الناس بالرحيل فساروا إلى عسكر زياد وأقتتلوا وإياهم قتالا شديدا وكان النصر حليف حجر وأجناده ، واستنقذت بكر وكندة ما كان بأيدي أعدائهم من الغنائم والسبايا وعرف سدوس زيادا وحمل عليه فاعتنقه وصرته وأخذه أسيرا . فلما رأى

ذلك عمرو بن معاوية حسد سدودا على هذا فباعن زيادا فأراده قتيلا حتى لاينفرد سدوس بالفخر دونه فغضب سدوس من ذلك الفعل وقل لصاحبه قتلت أسيرى وديته دية ملك .. ثم تحكبا إلى حجير فحكم على عمرو وقومه لسدوس بدية ملك وأعانهم من ماله . وأخذ حجير زوجته هند فربطها في فرسين ثم ركضا بها حتى قطعت إربا إربا وهزقت ثمر ممزقا ويقال إن حجرا أحرقها وقال فيها :-

لمن النار أوقدت بحفير لم ينم عنه مصطل مقرر<sup>٢</sup>  
أوقدتها هند الهنود وقالت أنت ذا موثق وثاقا أسير  
إن من غرم النساء بشيء بعد هند لجاهل مغرور  
حلوة القول والحديث ومر كل شيء أكن منها الضمير  
كل أثى وإن بدالك منها آية الحب حبها خيشعور<sup>٣</sup>

(١) وجاء في رواية أخرى أن حراسى آكل المرار لأنه لما أذاه المر بأن ( الحارت بن جبلة ) كان نائما في حجر امرأته هند وهي تفليه جعل يأكل المرار - وهو نبت شديد الحرارة - من العيظ وهو لا يدري ويقال بل قالت هند للحرث رتد سألها ما ترى حجرا فاءلا . قالت كالك به تدأ ركك في الخيل وهو كانه بعير قد أكل المرار

وسواء لدينا أكان صاحب القصة مع حجر وزوجته هو زياد بن الهبولة أم الحرث بن حبانة فإن القصة في ذاتها ومع تعدد روايتها تدل في جعلتها على أن السب في تسمية حجير بأكل المرار ما كان من روحته ووجهها هوأها مع عدوه

(٢) المصطلح المسدق والممرور الذى أصابه البرد (٢) الخيشعور المذعر الذى لا يدرم على حال

وحكم كندة بعد حجر ابنه عمر المقصور الذى اقتصر على ملك والده  
أما معاوية الجون بن حجر فلقد كان ملكا على اليمامة  
وتولى حكم كندة بعد المقصور ابنه الحارث بن عمر بن حجر ومكث فى الملك  
خمسين عاما ( ٤٩٠-٥٤٠ م ) وكان شديد البأس ذائع الصيت كبير المطامع وفى  
أيامه فتح الأحباش الين وقضوا على دولة حمير فضعف شأن كندة لأنها كانت  
حليفها ومن خير أعوانها وأنصارها ، ولكن الحارث كان سياسيا حازما  
وملكا بعيد النظر فلم يغفل عن إعزاز مملكه وتقوية سلطانه . فولى وجهه  
شطر الأاسرة كى يتخذ منهم أحلافا يشدون أزره ويقوون ساعده، وكان  
الحارث هذا يحسد الالخميين على تقربهم من الأاسرة وأحب أن تكون  
تلك المكائة له من دون الالخميين ملوك الحيرة ، فما زال يترقب الفرص  
ويتهيأ للأمر حتى تنكر كسرى قباذ ملك الفرس للمندر بن ماء السماء ملك  
الحيرة بسبب المزدكية . فأن المنذر جلس على العرش فى أواسط حكم قباذ  
وظهر فى أثناء ذلك ( مزدك ) ذلك الرجل الزنديق الذى ذهب إلى إباحة  
الأموال والحرم ، ودعا الناس إلى مذهبه فدخل فيه قباذ وتعصب لصاحبه  
وحمل رجاله على اعتناقه راجيا أن يستولى بذلك على ما بأيدى رعيته من  
الأموال . فتار الأشراف فى وجهه ، وأكبر المنذر هذه البدعة وأبى الدخول  
فيها ومناصرة أشياعها ، فغضب عليه قباذ وشرده واستعان عليه بدولة كندة  
واتتهز الحارث الكندى هذه الفرصة فوافق قباذ على المزدكية وشايعه عليها

ابتغاء الوصول إلى غاياته؛ ثم غزا الحيرة وأخرج منها المنذر<sup>١</sup> وبذلك أصبح الحارث السكندى مائكا على الحيرة، فمظم في أعين القبائل وجعلوا يتقربون إليه ويفدون عليه، يقدمون له الطاعة ويظهرون الولاء. ولما تفاسدت قبائل نزار وبدت بينهم العداوة والبغضاء. ودب فيهم ديب الفساد وآل أمزهم إلى التدابر والتخاذل، أتى أشرافهم الحارث فقالوا له إنا نخاف، أن نتفانى مما يحدث بيننا فوجه معنا بنيك ينزلون فينا فيكفون بعضنا عن بعض. فأجابهم إلى ما طلبوا، وفرق أولاده في القبائل، فجعل ابنه حجر - والد امرئ القيس - ملكا على بني أسد وخطمان. وملك ابنه شرحبيل الذي قتل يوم الكلاب الأول على بكر بن وائل بأسرها وبني حنظلة بن مالك بن زيد مناة وطوائف من بني دارم من تميم والرياب، وذلك ابنه معديكرب على بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة وطوائف من بني دارم بن حنظلة والصنائع وهم بنو رقية. وملك ابنه عبد الله على بني عبد القيس وأمر ابنه سلمة على بني قيس

بيد أن الحال لم تدم للحارث بن عمرو بل غالبه القدر وتكر له الدهر فنكب في ملكه وعزته ولم يطل سلطانه على الحيرة فما هو إلا أن مات قباز

---

(١) هذا ويعلم القارىء أن المدركا روحا لهدى السكندى أى أنه كان بين المدرك والحارث قرابة المصاهرة ولكن ذلك لم يجعل دون مبارعتهم وإشغال الحروب بينهم وهذا يوقفا على مدى القطيعة التي كانت بين القبائل العربية الحاملة قبل أن يلم الإسلام شعنها ويجمع تسيبها ويجعل منها وحدة قومية وحرية قوية

وتولى بعده أنوشروان وكان حانقا على المزدكية متبرما من مسلك أبيه ،  
فلقد كانت أمه يوما بين يدي والده قباذ فدخل عليه مزدك الزنديق فقال  
لقباذ ادفع إلى زوجتك لأقضى منها حاجتي فقال له قباذ دونسكها . فوثب  
أنوشروان إلى مزدك وطلق يتغمرع إليه وما زال به يستهطفه ويرتجيه أن  
يرجع عن أمه ويكف عما يريد أن يفعله معها حتى وصلت به الحال أن قبل  
رجله فتركها مزدك وكانت نلك في نفس أنوشروان . فلما جاس على سرير  
المملك وفد الناس عليه وكار فيهم مزدك ثم دخل عليه المنذر فقال أنوشروان  
لجلسائه إني كنت تمنيت أمنيتين أرجو أن يكون الله قد جمعهما لي  
فقال مزدك وما هما أيها الملك ؟ قال تمنيت أن أملك فأستعمل هذا الرجل  
الشريف ( بربد المنذر ) وأن أقتل هؤلاء الزنادقة ( يريد مزدك وأشياعه )  
فقال مزدك أو تستطيع أن تقتل الناس كلهم ؟ فقال له أنوشروان إنك  
لهنا يا ابن الزانية والله ماذهب نين ريح جوربك من أنفى منذ قبلت  
رجلك إلى يومى هذا ، وأمر به فقتل وصاب وأمر بقتل الزنادقة فقتل  
منهم ما بن حاذر إلى النهر وان إلى المدائن فى ضحوة واحدة مائة ألف زنديق  
وصلبهم ، ثم أرجع المنذر إلى عرشه وغضب على الحارث بن عمرو - الذى  
تابع أباه قباذ على الزندقة حتى ولاه مكان المنذر - وجد في طلبه فبلغ الحارث  
ذلك وهو بالأثبار وكان بها منزله فخرج هاربا بماله وهجائه وأهله ، فتبعه  
المنذر على خيل من تعلب وإياد وبهراء فلحقوا الحارث بأرض كلب ( بين  
الحجاز والعراق ) فاتموا ماله وهجائه وساقوا معهم ثمانية وأربعين نفسا

من بنى آكل المرار فيهم عمرو ومالك من ولد الحارث فقدم بهم على المنذر  
فضرب رقابهم في ديار بني مرينا وفي ذلك يقول امرؤ القيس :-

ملوك من بني حجر بن عمرو يسافون العشية يقتلوننا

فلو في يوم معركة أصبوا ولكن في ديار بني مرينا

ولم يغسل جماجمهم بغبيل ولكن في الدماء مرملينا<sup>١</sup>

تظل الطير عاكفة عليهم وتنتزع الحواجب والعيونا

وجاء في الأغاني أنه في ذلك يقول عمرو بن كلثوم التغلبي

فأبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك صفدينا<sup>٢</sup>

أما الحارث فإنه نجا بنفسه وما زال هائما على وجهه حتى وافته منيته في  
بني كلب. وأختلفوا في موته . فقالت كلب نحن قتلناه ، وقالت كندة إنما خرج  
للصيد فألظ<sup>٣</sup> بتيس من الظباء فأعجزه فألى على نفسه ألا يأكل إلا منه فطلبت  
خيله الظبي ثلاثة أيام ثم جرى به إليه وقد هلك جوعا فشوى له بطنه فالتهم  
فلذة من كبده وهي حارة كان فيها حنقه . ونحن نميل إلى أن بني كلب هم  
قاتلوه ، على أن كلتا الروايتين تحدثنا أن منيته كانت في ديار بني كلب

وبعد أن هلك الحارث تشتت أمر بنيه وتفرقت كلمتهم فلقد سعى  
المنذر بينهم بالوشاية حتى بدت بينهم العداوة والبغضاء وتحاسدوا وتخاذلوا  
وتفاقم الأمر فجمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وكان من أثر ذلك أن  
سلمة بن الحارث قاتل أخاه شرحبيل في معركة تعرف بيوم الكلاب

(١) الرمل الملتح بالدم (٢) مصعدين موثقين (٣) التلاط التلارد

الأول وكان سلة هذا جعل جعلاً من يقتل أخاه فقتله رجل يقال له أبو حنش وأحتر رأسه وبعث بها إلى سلة مع ابن عم له يسمى أبو أجأ بن كعب بن مالك بن غياث فألقاها بين يديه فقال له سلة لو كنت ألقىها إلقاء رقيقاً . فقال ما صنع به وهو حتى أشد من هذا وعرف أبو أجأ الندامة في وجه سلة والجزع على أخيه بعد أن علم أن المنذر هو المسبب لهذا كله فهرب أبو أجأ وهرب أبو حنش وقال سلة يرثي أخاه وفيها يظهر الندامة :

ألا أبلغ أبا حنش رسولا      فمالك لا تجيء إلى الثواب  
تعلم أن خير الناس طرا      قتيل بين أحجار الكلاب  
تداعت حوله جشم بن بكر      وأسلمه جعاسيس الرباب  
قتيل ماقتيلك يا ابن سلى      تضربه صديقك أو تحابي  
فأجابه أبو حنش :

أحاذر أن أجيتك ثم تحبو      حباء أهلك يوم صنيعات  
و كانت غدرة شنعاء تهفو      تقلدها أبوك إلى الممات

وقال معديكرب بن الحارث المعروف بغلفاء - وكان مسالماً معتزلاً عن

جميع هذه الحروب - يرثي أخاه شرحبيل :

إن جنبي عن الفراش لنا      كتجاني الأسير فوق الطراب<sup>٢</sup>  
من حديث نبي إلى فلا تر      قاعيني ولا أسينغ شرابي  
مرة كالزعاف أكتمها لنا      س على حر ملة كالشهاب  
من شرحبيل إذ تعاوره الأور      ماح في حال لذة وشباب

(١) تداعت تحمته وأسلمه حمله والجعاسوس القصر الدميم (٢) الطراب مائتاً من الحجارة



يا ابن أمي ولو شهدتك إذ تدعو تيميا وأنت غير مجاب  
لتركت الحسام تجري ظباه من دماء الأعداء يوم الكلاب  
ثم طاعتت من ورائك حتى تبلغ الرحب أو تبرز ثيابي  
يوم ثارت بنو تميم ووات خيلهم يتقين بالأذنان  
ويحكم يابني أسيد إني ويحكم ربكم ورب الرباب  
أين معطيكم الجزيل وحاييكم على الفقر بالمشين اللباب  
فارس يضرب الكتيبة بالسيف على نحره كنضج المذاب  
فارس يطعن الكماة جرى تحته قارح كلون الغراب

وخرج سلمة من تغلب والتجأ إلى بكر بن وائل فأذعنت له . فبعث إليهم  
المنذر يدعوهم إلى الطاعة فأبوا فخلف ليسيرن إليهم فان ظفر بهم ليذبجنهم  
على قمة جبل أواره حتى يبلغ الدم الحضيض وسار إليهم في جموع كثيرة  
فقاتلوه فهزمهم وأسر منهم يزيد بن شرحبيل الكندي وأمر به فقتل ،  
وقتل في المعركة خاق كثيرون وأسر المنذر من بكر عددا كبيرا أمر بذبجنهم  
وكان ذلك بنجد حوالي سنة ٥٤٨ م

وبهلاك سلمة وشرحبيل ضعف شأن الباقيين من أبناء الحارث الكندي  
وهم حجر ومعد يكرب وعبد الله ، حتى أن بني أسد تنكروا للحجر وأظهروا  
له العداة وتابعهم في ذلك غطفان لأنه لم يحسن سياستهم فقد ضرب عليهم  
إتاوة أثقل بها كاهلهم واكلتهم كانوا يؤدونها له على مضض مادام في عز  
بأبيه وأخوته ، فلما علموا بنكبة أبيه وموته أولا ، وتطاحن أخويه وهلا كهما

ثانياً ، أظهروا له العصيان وامتنعوا عن أداء الأتاوة و ضربوا رسله ، وحجر يومئذ بتهامة وظنوا أنهم قادرون عليه ، ولكنه جلب عليهم بخيله ورجله وجردهم سيفه واستعان عليهم بأجناده من ربيعة وأجناد أخيه من قيس وكنانة وزج بطائفة من أشرافهم في غياهب السجن وسامهم الذل وأنواع النكال ، وحرّم على فريق منهم المقام بنجد فارتحلوا إلى تهامة . بيد أنه لم يطل عليهم أمد هذا الهوان فأن عبيد بن الأبرص استعطف حجرا وهو في سجنه بقصيدة كانت شفاعته لقومه لدى الملك وفيها يقول .

يا عين فابكي ما بنى أسد فهم أهل الندامة  
أهل القباب الحمر والنعم المؤبل والمدامة<sup>١</sup>  
وذوى الجياد والجرد والأسل المثقفة المقامة<sup>٢</sup>  
مهلا أبيت اللعن مهلا إن فيما قلت آمة<sup>٣</sup>  
في كل واد بين يثرب فالقصور إلى القيامة  
تطريب عان أوصيا ح محرق أو صوت هامة  
ومنعتهم نجدا فقد حلوا على وجل تهامة  
برمت بنو أسد كما برمت ببيضتها الحمامة<sup>٤</sup>  
... جعلت لهم عودين من نشم وآخر من شمامة  
إما تركت تركت عنفوا أو قتلت فلا ملامة  
أنت المليك عليهم وهم العبيد إلى القيامة  
ذلوا لسوطك مثل ما ذل الأشيقر ذو الخزامة

(١) المؤبل المكمل (٢) الأسل الرماح والنبل . المثقفة المقومة المسواة (٣) الآمة العيب (٤) برم شم وضجر

فأطلق الملك سيدهم وعفا عنهم ولكنهم يضررون العداوة والبغضاء  
لحجر وأصحاب حجر لما أصابهم من هذا الذل وذلك الحوان قتلوا  
عليه وركبوا كل صعب وذلول وبيتوا له الشر وائتمروا على قتله وكان  
حجر قد بعث في إثرهم كي يقبلوا عليه بعد فك إسماعيل فصاروا إليه حتى إذا  
كانوا على مسافة يوم من تهامة تكهن لهم كاهنهم وهو عوف بن ربيعة  
الأسدي فقال لهم من الملك الأصهب، الغلاب غير المقلب، في الأبل كأها  
الربرب، هذا دمه يتشعب، وهو غد أول من يسلب. قالوا من هذا؟ قل  
لولا أن تجيش نفس جاشية، لا أخبرتكم أنه حجر ضاحية. فما أدبر الليل  
وأسفر الصبح حتى جاءوا عسكر حجر وهجموا على قبته وأقبل علياء بن  
الحارث الكاهلي - وكان حجر قد قتل أباه فطعنه من خلفهم فأصاب  
نساءه فقتله وحينئذ قالت بنو أسد يامعشر كنانة وقيس أنتم إخواننا وبنو  
عمنا والرجل ليس منا ولا منكم وقد رأيتم ما كان يصنع بكم هو وقومه  
فانتبهوهم إنهم ما كولون ثم شدوا على هجائهم فزقوها ولفوه في ربطة  
بيضاء وطرحوه على ظهر الطريق وانتهبت قيس وكنانة أسلابه

. وقيل إن بنى أسد ناهضوه القتال فلم يلبثوا أن دزموا أصحابه وأخذوه  
أسيرا ثم حبسوه ريثما يتشاورون في قتله فلما رأى ذلك علياء بن الحارث  
خشى أن ينجو حجر منهم فدعا غلاما من بنى كاهل هو ابن أخته - وكان  
حجر قد قتل أباه - وقال يا بنى أعنيك خير فتأربأ بك وتنال شرف  
الدهر وإن قومك لن يقتلوك. فلم يزل بالعلام حتى أحسسه ودفع إليه

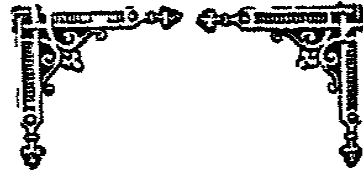
حديدة قد شحذها وقال له ادخل عليه مع قرمك ثم اطعنه في مقتله  
فعمد الغلام إلى الحديدة فأخبأها ثم دخل على حجر في قبته التي  
حبس فيها ، واتهرز الغلام غفلة من قومه ثم وثب عليه فضربه ضربة  
مميته كان فيها هلاكه فوثب القوم على الغلام يريدون الفتك به ، فقال  
إنما ثارت بأبي فخلوا عنه

وهناك روايات أخرى في مقتل حجر ذكرها الرواة ولاكنها  
في جملها تتفق على أن بني أسد هم الذين قتلوه وأوردوه  
سوارد الموت

وكان حجر في ساعة احتضاره أوصى ودفع كتابه إلى رجل يثق به  
من بني عجل يقال له عامر الأعور وقال له انطلق إلى ابني نافع - وكان  
أكبر أولاده - فأن بكى وجزع فآله عنه واستقر أولادى واحدا واحدا  
حتى تأتى امرأ القيس - وكان أصغرهم سنا - فأبهم لم يحزع فادفع إليه  
سلاحى وخيلى ووصيتى وكان قد بين فى وصيته من قتله وكيف  
كان خبره فانطلق الرجل بالوصية إلى نافع فأخذ التراب نوضعه على  
رأسه ، ثم جاءهم واحدا واحدا فكلهم جزع وفعل مثل ما فعل نافع حتى  
أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلاعبه الترد فقال له  
عامر الأعور قتل حجر فلم يلتفت إليه امرؤ القيس ، وأمسك نديمه  
عن اللعب فقال له امرؤ القيس اضرب فضرب حتى إذا فرغ فقال ماكنت  
لأفسد عليك درستك ، ثم سأل الرسول عن أمر أبيه فقص عليه

القصص فقال الخمر والنساء على حرام حتى أقتل من بنى أسد مائة وأجز  
نواصي مائة وفي ذلك يقول :

أرقت ولم يأرق لما بي نافع وهاج لي الشوق الهموم الروادع  
وبذلك أصبح امرؤ القيس أحق بملك والده وأجدر بالأخذ بثأره  
حسب وصية أبيه حجر



## مولد امرىء القيس

وشاعريته المتوارثة

ليس يصح لدى النظر الصادق أن يكون ما عرف به امرؤ القيس  
من براعته في الشعر ونبوغه في القريض جاءه على غير إرث من آباءه  
وأجداده بل لا بد أن يكون جاريا في ذلك على عرق من عروقهم وسليقة  
من طبائهم فعمومته شعراء وختولته شعراء، والشعر وإن كان سليقة في  
النفس إلا أن الوراثة لها أثر كبير في تلك السليقة الشاعرية وقل أن  
نجد شاعرا ليس في أحد من أصوله ملكة الشعر. ولقد رأينا في نسب  
امرء القيس من جهة أبيه شاعرية متوارثة في أجداده وعمومته الذين  
تلقوها كآباء عن كآباء وذكرنا من شعر جده حجر الملقب بآكل المراتق قوله

لم ينم عنه مصطل مفرور  
أوقدت النار أوقدت بحفير  
أنت ذا موثق وثاقا أسير  
أوقدتها هند الهنود وقالت  
بعد هند لجاهل مفرور  
إن من غره النساء شيء  
كل شيء أكن منها الضمير  
حلوة القول والحديث ومر  
آية الحب حبها خيشعور  
كل شيء إن وبدالك منها  
وهن شعر عمه سلمة يرثى أخاه  
شرحيل ويندم على ما فرط في جنبها  
فإلى لا تجيء إلى الثواب  
ألا أبلغ أبا حنشل رسولا  
تعلم أن خير الناس طرا  
قتيل بين أحجار الكلاب

(١) روى بعضهم هذا الشعر عنه مع يكرب

تداعت حوله جشم بن بكر وأسلمه جماسيس الرباب  
قتيل ماقتيلك يا ابن سلى تضره صديقك أو تحابى  
ومن شعر - عمه معذنيكرب يرثى شرحبيل أيضا

إن جنبي عن الفراش لناي كتجاني الأسير فوق الظراب  
من حديث نبي إلى فلا تر قاعيني ولا أسبع شرابي  
مرة كالزعاف أكتمها النا س على حر ملة كالشهاب  
من شرحبيل إذ تعاوره الأار ما ح في حال لذة وشباب  
يا ابن أمي ولو شهدتك إذ تد عو تمها وأنت غير مجاب  
لتركت الحسام تجرى ظاه من دما. الأعداء يوم الكلاب  
ثم طاعتت من ورائك حتى تبلغ الرحب أو تبر ثيابي  
يوم ثارت بزوتيم وولت خيلهم يتقين بالأذنان  
ويحكم يابني أسيد إني وبحكم ربكم ورب الرباب  
أين معطيكم الجزيل وحاييكم على الفقر بالمئين اللباب  
فارس يضرب الكتبية بالسيف على نحره كنضج المذآب  
فارس يطعن الكفاة جرى تحته قارح كلون الغراب

أما ميراث امرئ القيس الشعري من جهة أمه فإن خاله مهمل بن  
ربيعة التغلبي الذي قال عنه بعض الرواة إنه همل الشعر ونقله من المقطعات  
إلى المطولات : وإنا لنجد في شعر المهمل بلاغة فياضة وفصاحة تنجاب  
دوتها ألسنة المقاتل. ومن قصائده :-

أليتنا بذى حسم أنيرى      إذا أنت انقضيت فلاتحورى<sup>١</sup>  
فأن يك بالذنائب طال ليلي      فقد أبكى من الليل القصير  
وأنقذنى بياض الصبح منها      لقد أنقذت من شر كبير  
كأن كواكب الجوزاء عوذ      معطفة على ربيع كسير<sup>٢</sup>  
كأن الجدى فى مثناه ربق      أسير أو بمنزلة الأسير<sup>٣</sup>  
كأن النجم إذولى سحيرا      فصال جلن فى يوم مطير<sup>٤</sup>  
كواكبهاز واحف لاغبات      كأن سماءها بيدي مدبر<sup>٥</sup>  
كواكب ليلة طالت وغمت      فهذا الصبح راغمة فغورى  
وتسألنى بديلة عن أيها      ولم تعلم بديلة ماضيرى

ويقول فيها أيضا مشيرا إلى حرب البسوس التي كانت بين بكر وتغلب

فلو نبش المقابر عن كليب      فيخبر بالذنائب أى زير<sup>٦</sup>  
يوم الشعثمين لقرعينا      وكيف لقاء من تحت القبور  
وإنى قد تركت بواردات      بجيرا فى دم مثل العبير  
هتكت به بيوت بنى عباد      وبهض القتل أشقى للصدور  
وهمام بن مرة قد تركنا      عليه القشعمين من النسور  
ينوء بصدرة والريح فيه      ويخاجه خذب كالبعير<sup>٧</sup>  
على أن ليس عدلا من كليب      إذا طرد اليتيم من الجزور

١ ذى حسم موضع تحورى ترجمى ٢ العوذ الحاديثات التناج . والربع مانج فى الربيع ٣ المشاة المثنى . والريق الجبل ٤ النجم الثرى ٥ الزواحف المعينات التي لا تقدر على النهوض واللاغبات مثلها ٦ يقال هو زير نساء إذا كان يتحدث اليهن ويتبعن ويهواهن ويخالهن ٧ ينوء ينهض ويحلجه يجذبه و الخذب الضخم



على أن ليس عدلا من كليب إذا رجف العضاه من الدبور<sup>١</sup>  
على أن ليس عدلا من كليب إذا ما ضيم جيران المجير  
على أن ليس عدلا من كليب إذا خيف المخوف من الثغور  
على أن ليس عدلا من كليب غداة بلابل الأمر الكبير  
على أن ليس عدلا من كليب إذا برزت نجاة الحدور  
على أن ليس عدلا من كليب إذا علنت نجيات الأمور  
فدى لبني الشقيقة يوم جاؤا كأسد الغاب لجت في الزئير  
كأن رماحهم أشطان بر بعيد بين جاليها جرور<sup>٢</sup>  
فلا وأبي جليلة ما أفأنا من النعم المؤبل من بعير<sup>٣</sup>  
ولكننا نهمكنا القوم ضربا على الأثباج منهم والنحور<sup>٤</sup>  
قتيل ما قتل المرء عمرو وجساس بن مرة ذو ضير  
تظل الخيل عاكفة عليهم كأن الخيل تدحض في غدير  
كأنا غدوة وبنو أينا بجنب عنيزة رحبا مدير  
فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض يقرع بالذكور<sup>٥</sup>  
ومن شعر المهلهل أيضا يرثي أخاه طيبا وبتوعد أعداءه  
إن تحت الأجر حزم ما وعزما وقتيلا من الأراقم كهلا  
قتلته ذهل فلسنت براض أو نبذ الحيين قيسا وذهلا  
ويطير الحريق منا شرارا فينال الشرار بكر وعجلا

١ رجف تحرك حركة شديدة والعضاه كل شجر له شوك ٢ الأتيطان الحبال وجمال البئر وجولها ناحيتها  
وما يحبس الماء منها ٣ أفأنا رجعتنا ٤ الأثباج الأواسط ٥ بهذا البيت قالوا إن المهلهل أول من كذب في شعره

قد قتلنا به ولا نأثر فيه      أو نعم السيوف شيان قتلا  
ذهب الصلح أو تردوا كليبيا      أو تحلو على الحكومة حلا  
ذهب الصلح أو تردوا كليبيا      أو أذيق الغداة شيان ثكلا  
ذهب الصلح أو تردوا كليبيا      أو تنال العداة هونا وذلا  
ذهب الصلح أو تردوا كليبيا      أو تذوقوا الوبال وردا ونهلا  
ذهب الصلح أو تردوا كليبيا      أو تميلوا عن الحلائل عزلا  
أو أرى الفتل قد تقاضى رجالا      لم يميلوا عن السفاهة جهلا  
إن تحت الأبحار والتراب منه      لدفينا علا علا وجلا  
عز والله يا كليب علينا      أن ترى هامتي دهاننا وكحلا  
ومن شعر كليب أخى المهملل وخال امرئ القيس أيضا قوله يفتخر  
ويذكر واقعة خزاز التي كانت بين المضريين واليمنيين قوله

لقد عرفت قحطان صبرى ونجدتى      غداة خزاز والحقوق دوان  
غداة شفيت النفس من ذل حمير      وأورثتها ذلا بصدق طعانى  
زلفت إليهم بالصفائح والقنا      على كل ليث من بنى غطفان  
ووائل قد جذت مقادم يعرب      فصدقتها فى صخرها الثقلان

وقال كليب أيضا بعدما قتل لبيد بن عنبسة

إن يكن قتلنا الملوك خطاء      أو صوابا فقد قتلنا لبيدا  
وجعلنا مع الملوك ملوكا      بجياد جرد تقل الحديددا  
نسر الحرب بالذى يحمل النسا      س به قومكم ونذكى الوقودا

أو تردوا لنا الأتاوة والنفى ولا تجعل الحروب وعيدا  
إن تلبني عجائز من نزار فأراني بما فعات مجيدا  
ومن شهر ربيعة الزهراء أخت كليب ومهمل وخالة امرئ القيس قولها  
تعرض أجاها كليا على زوجها لبيد بن عنبسه<sup>١</sup>  
ما كنت أحسب والحوادث جمة أنا عبيد الحى من تحطان  
حتى أتتى من لبيد لكمة فعشت لها من وقع العينان  
إن ترض أسرة تغلب إبنة وائل تلك الدنية أو بنو شيبان  
لا يرحوا الدهر الطويل أذلة هذل الأعنة عند كل رهان

ذلك الشعر وغيره لعمومة امرئ القيس وخثولته أيضا يوقفنا على  
بلاغتهم وشدة عارضتهم . ولا غرو بعد هذا إذا وجدنا امرأ القيس ينشأ  
شاعرا مفاقا حاد القريحة ذكى الفؤاد فان العرق دساس وهو مخول معم في  
شاعريته؛ تلقى من قبل أبويه ذلك الفيض الذى لا ينضب معينه وتلك  
الشاعرية التى آتت دلاء وجات ، فكان من ذلك كله مدد لشعره، وهو ورد  
لقوله، ومنبع لفصاحته، ومنهل لبيانه

---

(١) كان لبيد بن عنبسة هذا زوج الزهراء وعامل ملوك كعدة قد ثقلت وطأته على بنى ربيعة فتناوتجبر  
وأخذ فيهم بالعنف والظلم وأساء المباشرة بينهم فز - روه فلم ينحرو وهو يزداد جورا . فانكرت عليه زوجته  
يوما صنعه بنى ربيعة فقال لها ما بال أخيك يتنصر بضر و يهدد الملوك كأنه يمز بغيرهم . فقالت ما أعر ف  
أعر من كليب وهو كفو لها ففضب لبيد ولطمها على وجهها لكمة أعشت عينها فخرجت باكية إلى كليب وهى  
تقول : ما كنت أحسب والحوادث جمة - الخ فلما سمع كليب قولها ورأى ما بها من أثر اللكمة أخذته الحمية وسار  
إلى آيات لبيد فجم عليه وعلا رأسه بالسيف فقتله وعلى أثر ذلك شبت حروب بين الخمينيين والمضربين منها  
واقعة خزاز وواقعة السلان

ولقد كانت ولادة ذلك الشاعر التاريخي العظيم في أوائل القرن السادس الميلادي وفي شعراء النصرانية أنه ولد عام ٥٢٠ م أي قبل الهجرة بنحو مائة سنة وجاء في الشهاب الراصد أن ريزان ذكر في كتابه تاريخ اللغات السامية أن امرأ القيس أقدم شعراء المعلمات ولد حوالي سنة ٥٠٠ م

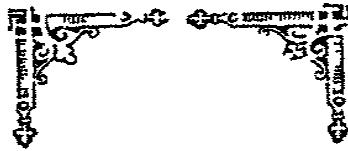
أما الديار التي ولد فيها ذلك الشاعر فأنا نعلم أن أباه كان ملكا على بني أسد وغطفان وملكه يحد غربا بوادي القرى وشرقا ببلاد طيء وشمالا بأرض طيء أيضا وجنوبا ببلاد غنى وعامر بن صعصعة فقي تلك الديار التي حددناها من بلاد نجد والتي تملك عليها حجر كان مولد شاعرنا . واسم أمه فاطمة بنت ربيعة وقيل تملك أخذنا من قول امرئ القيس

الأهل أتاها والحوادث جمه      بأن امرأ القيس بن تملك يقرا

والرأى عندي أن تملك لقلب لفاطمة بنت ربيعة

ولقد كانت وفاة ذلك الشاعر كما قال بعض الرواة والمؤرخين في عام

٥٦٥ ميلادية



## نشأة امرئ القيس

ببلاد نجد الواسعة وفي رباها المتشعبة وأوديتها المتلاقية وبين قبائل  
معد بن عدنان كان امرؤ القيس صيدا عربيا يلهو مع لداته ويمرح في  
أعطاف الصبا بين رعية أبيه ، وما كان يدري أنه بعد قليل من الزمن سيفضي  
إلى الدنيا بسر من أسرار العظمة ولا أنه سيضم على جبين الدهر ذلك  
الآكليل الفاخر من الخاود والشهرة فبين تلك الأدواح الظليلة وفي خلال  
ربا العرار الشندي رسم شاعر التاريخ مدارك طفولته وملاعب صباه  
في تلك الأرض التي افترت الطبيعة فيها عن بعض محاسنها وأكثر  
الشعراء من توأصف طيبها وجمال مصطافها ومتربها نشأ امرؤ القيس بن  
حجر . وما عرف سيرة أهله حتى وجدهم ملوكا تدهن لهم ربيعة وأحياؤها  
وهضر في أكثر عمائرها ، وكندة وعشائرها . فلا يولى وجهه شطر جهة  
من جهات نجد وتهاؤها وبلاد اليمن ومزارعها إلا ولائله ولاية عليها  
يأمرون فيها وينهون على قواعد من الاستبداد والملاكية المطلقة . فما بلغ  
مبلغ الفتيان حتى مد عينيه إلى تلك العزة الشاحخة تحيط به من أطرافه ،  
وذلك المجد الباذخ يتلقاه من قبل أبويه ، فمضى في غلوائه سالكا في ربيعة  
شبابه طريق أمثاله من أبناء الملوك هوثرا للذات القرائح محبا للرجانة والعبث  
لا تشغله تكاليف الحياة عن الأمعان في هذه الفتوة فجرر مآزر اللهو ،  
وترنح في سكر الحدائث ، وصحب الفتيان يغشى بهم مناقع الماء ويرتاد

أكان الخلاءة والتصف ، ويتقلب بين قبائل وأحياء قد اختلط نساؤها  
برجالها ، لارادع ولا حجاب سوى ما ارتكز في تلك النفوس من موازعات  
الشمم ، وعلو المروءة ، وخوف العار . ويحضر مجالس أليه ونوادي قومه  
يمسح ما تبلى فيها من الشعر وما يتناقل من أخبار الشعراء . وهو في وسط  
ذلك كله غلام ذكي الفؤاد ، حاد القرينة ، مفتون بالشراب والصيد معزم  
بالصافات الجياد . فما لبث أن تفتحت في نفسه عيون هذه الغزيرة الشاحرة  
المتوارثة من قبل عمومته وخثولته ، فسالت بألوان من الكلام جرى مع هذا  
الملك الحايح من وصف النساء وذكر محاسنها ، وركوب الخيل وسرعة  
كرها ، ومجالس الشراب وأكوابها ، وديبه إلى مغشوقه ومخاتلة أحراسها  
وفجر بذلك في شعره ، وغلا في فجوره حتى أنف له أبوه من تلك الحياة  
الخائبة التي ارتطم في حمائها وألقى بنفسه بين أحضانها ، ولم يعد في نظره  
صالحا لما كان يرشحه له من الملك بعده ، فأذله ثم أقصاه عنه وطرده ، فقام  
على وجهه شريدا في نواحي الجزيرة العربية ولم يزد ذلك إلا استمرام لمذاق  
هذا العبث وتلك المجاعة فمضى على سبيله تتناوح بركابه أحياء العرب ينزل  
مياها ويتنقل بين مراتعها ومعه أحلاط من شذا طي موطنه وبكز بن قبائل  
فأذا صادف غديرا أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل  
يوم وخرج إلى الصيد فتصيد ، ثم عاد فأكل وأكلوا معه . وشرب الخمر  
وسقاهم . وغتته وإياهم قياته ، ولا يزال كذلك كل يوم يندوا عليهم بمشي الزقاق  
المترعات وبالجزر حتى نفذ ماء ذلك الغدير فينتقل عنه إلى غيره فتضرب

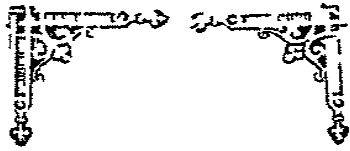
له القباب وتنحر الجزور وتغنيه القيان . كل ذلك دواع انبعث بها عين  
الشعر في قريحة امرىء القيس فنطق به على ستة قومه في عباب من<sup>١</sup> بداوة  
العيش وطبيعة أرض كلها بين أودية وآكام فكان أول شعر قاله :

أذود القوافى عنى زيادا      زياد غلام جرىء جوادا  
فلما كثرن وعنديه      تخير منهن شتى جيادا  
فأعزل مرجانها جانبا      وآخذ من دردها المستجادا



## بيئات امرئ القيس

يجب أن لا تنسى تأثير البيئة التي نشأ فيها شاعرا . فنجعله كل شيء ونضيف إليه كل شيء ونحو تلك البيئة التي نشأته وكونه وتضافرت على تربية جسمه وعقله وهشاعة قمو ظاهرة من ظواهرها وأثر من آثارها . تلقى على يدها مجال بخاطره ، وأخذ عنها ما أوحى به شاعريته  
ولسنا نعالى في إكبار تلك البيئة فنضيف كل شيء إليها ونستنبط كل شيء منها حتى نفنى الشاعر فيها ونتركه لاحول له ولا قوة بجانبها . إنما السبيل أن نقدر البيئة قدرها ، ونبوىء الشاعر مكانه منها ونحدد الصلة بينه وبينها  
ولذلك سأجتهد ما أستطعت أن أبين في حدود الاختصار وفي صورة غير شوهاء تلك البيئات الطبيعية والاجتماعية والعلمية التي نشأ فيها امرؤ القيس وتأثر بها وأثر فيها وكلاهما على الحقيقة متأثر بصاحبه مؤثر فيه





## البيئة الطبيعية

في الجنوب الغربي من آسيا وبين البحر الأحمر والخليج الفارسي وبحر الهند تقع بلاد العرب التي قسمت في عصر الجاهلية إلى خمسة أقسام جغرافية تهامة ونجد والحيجاز والعروض واليمن ، وأكثر الشعراء من ذكورها وتواصف طبيعتها وجمالها . وقد جاءها امرؤ القيس من أتصاها إلى أدناها ، وضرب بجرانه فيها شرقا وغربا . وتلك البلاد جديرة بالالتفات إليها من حيث طبيعة أرضها ومزاج قطرها فلقد كان لذلك أثر في شاعرنا

قوى على جعلها نقية التربة . مبسوطة الرقعة ، مجلوة الآفاق ، ممتدة الجنبات ، وفيرة الوحش ، كثيرة الطير ، شديدة الحر . فيها جبال وأودية ، ووهاد غائرة ، ونجاد عالية ، وكثبان متقلبة ، وعيون متفجرة ، ومسائل جارئية ، وصحارى شاسعة ، وبقاع مخصبة . جوها صحيح الهواء وسماؤها ضاحية الشمس . سافرة البدر ، ساطعة الكواكب ، يترام فيها السحاب شتاء ثم ينجاب عنها وقد نبت في ثراها أنواع من الكلال والمرعى ذات أشكال مختلفة ، وأمان متعددة ، وأزهار متنوعة . مساكن أهلها بيوت مشيدة ، أو خيام متقلبة على ظهور جمال بازلة يأكلون لحمها ويشربون ألبانها ويتخذون من أصوافها وأوبارها أثاثا ومتاعا إلى حين

قابل امرؤ القيس تلك الطبيعة الباسمة وجها لوجه فطلعت عليه الشمس بأشعتها الذهبية المحرقة تصليه بشواظها ، وبدا له القمر مرسلا أنواره

الفضية الوادعة يهبر له ويملك عليه مشاعره ، وسطعت النجوم ولا حائل  
بينه وبينها يرى سناها ويصير لآلاءها ، ووقف على الديار المتقوضة والغدران  
المتملئة وتراءت له الفلوات الواسعة

بها العين والآرام يمشين خلفه وإطلاؤها ينهض من كل مجثم  
وعصفت من حوله الرياح العاتية تجعل من الرمال كثباناً أو تجري  
رخاء وسلاماً

بنفسى تلك الأرض ما أطيب الربا وما أحسن المصطاف والمتربعا  
شمس تسطع ، وقمر يلعب ، ونجوم تتلألأ ، ورياح تلعب ، وظباء ترتع ،  
وخيام تقوض فى جو فسيح كل ما فيه حر طليق  
الحق ! . إنها طبيعة وادعة تملأ القلوب جمالا والأقنعة جلالا ، وتدع  
فى النفوس شغفا زائدا بها واستجلاء لمظاهرها واحتراما لأحداثها وحبا يملأ  
القلب ويشغل الجوانح . فلا عجب إذا وجدنا امرأ القيس يمسك ريشته  
فيرسم بها تلك الطبيعة فى شعره ، ويتحدث عنها فى خياله . وسنقف على شىء  
من ذلك عند دراسة المعلقة



## البيئة الاجتماعية

إن من أخلاق تلك البيئة التي عاش فيها امرؤ القيس . الشهامة والنجدة ، والشجاعة والنخوة ، والمروءة وعلو الهمة ، وكرم الخلق وشدة البأس ، والحلم والوفاء ، وإباء الضيم وعزة النفس . تمدحوا بذلك في أشعارهم التي جمعت محاسن أقوالهم . على أننا لانكذب التاريخ فذريء الأمة العربية في جاهليتها كل البراءة وندعى أنها كانت سواء في اكنساب المحامد واطراح المآثم ، فذلك سبيل أهل الخيال الذين يأخذون من كل منهل أصفاه ويرون في كل شيء غاية .  
فأن من الأعراب شذاذا وصعاليك كانوا يقترفون الفواحش ويحترحون السيئات فيغدون على نساء مهينات مظلمات كن يتوارين عن الأنظار خارج المدائن والقرى وخلق مضارب القباب ، فإذا أرخى الظلام سدوله أسبل الرجل على آثار أقداه إزاره ليعفى فوق الرمال معامه ويعمى خطاه ، وغدا إليها تحت جناح الدجى لا تدركه الأبصار . أما بغاة الشرف وطلاب المجد فهم بمنجاة عن هذا حتى لقد بلغت الغيرة بهم أن كان الرجل يمد يده الأئيمة الظالمة إلى نفس وليدته الطاهرة التي بدأت تستقبل الوجود وتهض في الحياة على قدميها فليقى بها في حفرة من الأرض ثم هبيل على جسدها التراب ويدعها تعالج سكرات الموت تحت أطباق الثرى . ولعمري إذا نحن أسدلنا الستار على تلك المظالم التي لم تعم جميع القبائل والأحياء بل اختص بها فريق دون آخر فأنا واجدون تلك المرأة البدوية مثار عاطفة ذلك

الرجل العربي ، ومدار وجدانه ، وسر حياته ، وهصدر إلهامه ، ومناط آماله ومهبط وحيه ، وقبلة خاطره ، ومنتجع هواه ، ومجتل قريحته ، ومطلع قصيدته بها غناؤه وفيها غناؤه . تعنى بمحاسنها ، وتمدح بشمائلها ، ووقف على أطلال دارها ومعالمها ، وائتمر بأمرها ، وتقبل أحكامها ، ونزل في غالب الأحيان على إرادتها ، وكثيرا ما تقبل رغبتها . فهي نور الوجود في نظريه وكل شيء بين يديه . هتفت به تحت ظلال السيوف فاستمد منها عزما أكيدا وبأسا شديدا . ومن بين أحضانها خرج فنيان وفتيات نشأتهم منذ الطفولة على الشرف والسؤدد ، ولقنتهم آيات المجد والمجد

ولقد كان للعرب في ذلك الحين مجالس وأندية يغشاها الرجال والنساء يتناشدون فيها الأشعار ويتبادلون الأخبار . وكان لهم أسواق تقام للبيع والشراء ويقف فيها الخطباء والشعراء يتنافرون ويتناشدون ويتجاسرون فيها إلى قضاة عدول لهم بصرب نقد المنثور والمنظوم . وفي ذلك شجذ لأذهانهم وتنمية لأفكارهم وتهذيب للغتهم

وكانت لهم أيضا حروب مشهورة وأيام معلومة لما فطرت عليه نفوسهم من سرعة الغضب والجرأة على الشر وحب الغزو والميل إلى الانتقام والأخذ بالنار . فلا تتفتح عيونهم إلا على سيوف تتألق ، ورماح تلمع ، وأسنة تشرع ، وجياد تصهل ، وروس تنطير ، وأشلاء تتناثر ، وطير يهوى ، ووحش يزجر . فرسخت فيهم صفات الفروسية وكثر بينهم القتلاء والنهب . وما كان لهم مقام بأرض وإنما كانوا يبتغون منافع الماء ويرتادون

منابت العشب ليرعوا أنعامهم التي عليها بلاغهم في حملهم وشبههم  
: وزيتهم فتنازعوا على المرعى وتدافعوا على النجعة ونشبت بينهم دواعي  
الخلاف وانتشرت العداوة والبغضاء وقامت الحروب وتفرقوا شيعا وأحزابا  
يتخطف بعضهم بعضا . والشعر في تلك المواقف يقوم مقام الموسيقى إذ هو  
والغناء يحلقان كزوجي الطائر فوق رؤوس الربا وبين خمائل الزهر يتناغيان  
بنجوى النفوس ويوقعان على أوتار القلوب ، تجيش بها الأفتدة في مثل تلك  
المواطن استنهاضا للهمم وبكاء على القتلى وافتخارا بالعصية ، والشعر يوحيه  
الحب والحرب والموت

أما ديانات العرب في ذلك العصر فكانت على ضروب شتى فمنهم عابد  
الشمس والقمر ، والنجم والشجر ، والنار والحجر . ومنهم من تهود أو  
تنصر . ومنهم من بقى على ملة إبراهيم يحج ويعتمر ، ويعظم الأشهر الحرم  
ومنهم من كان مجوسيا يعبد مبدأ الخير والشر . ومثل ذلك الدين المضطرب  
الواهن قد أسلم العرب إلى صنوف من العقائد وضروب من الهواجس  
رسخت في نفوسهم وتمكنت من قلوبهم ، فهناك بين ثنايا الجبال وأعطاف  
المغاور صنوف من الحجر تطاول عليها القدم تنوعت أشكالها وتعددت  
ألوانها اتخذوا منها تمائم ورقى تجلب الخير وتدفع الشر بما لها من سر دفين  
وأثر كمين . وإذا اعتزم الواحد منهم أمرا وأراد السفر طلب معرفة مآله  
قبل إقدامه بالتفائل والتطير ، وإن بدأ ارتحاله و كان يبغضا إلى زوجته  
قامت إلى النار فأوقدتها حتى تحول دون مآبه وإن كان عزيزا عليها قبضت

قبضة من أثر أقدامه واحتفظت بها حتى يعود إليها سراعا . وإن من أفدح  
أثقال الظلم أن ترى الرجل منهم يعمد إلى شجرة حين سفره فيعقد بين  
غصنين منها فأن عاد وكان الغصنان على -الهما زعم أن زوجته لم تخنه وإلا فقد  
خاتته كأن عرض المرأة بل عرض القبيلة مرتين بغصنين تعصف بهما الريح  
أو تعبث بهما الأيدي فنفرق بينهما

تلك صورة من مظاهر هذه البيئة الاجتماعية التي درج في عشاها  
امرؤ القيس من المهد إلى اللحد نقدمها بين يدي القارئ لتطمئن نفسه  
ولتكون إليه هاديا



## البيئة العلمية

ما كان العربي إلا إنسانا فيه عاطفة وبين جنبيه نفس متأثرة تعشق الحرية والعدل وتحب الطبيعة والجمال طال إصغاقها لتلك النغم المترددة في أسيجاع الطير ، وحنين الأبل ، وخرير الماء ، وحفيف الشجر ، وهزيم الرعد وعصف الرياح ، وصهيل الخيل ، وقعقة السيوف ، وصلصلة الإصفاة ، وزججرة الوحوش . فما هو إلا أن حكي صداها وصار وترًا من أوتارها يشدو معها . وقد ضرب العربي في تلك البادية القاحلة على ظهر راحلته البازلة يبتغي من فضل الله ترقصه تلك الأيقاعات المتوالية فهدته نفسه الشاعرة أن يلقي على ضروبها من ألحانه الساذجة حذاء لناقته وأينسأله في وحشته وما كان للناس عجبًا أن يمتاز العربي بالشعر وأن يفوق فيه سائر الأمم إذ لم يعرف عنه أنه مال إلى فلسفة أو نشط إلى علم أو زاول صناعة وإنما كان اهتمامه مصروفًا إلى هذا الفن الجميل من القول ، ولم يزد ما أثر عنه من ضروب الحكمة على أن يكون في جملة أشبه بالحقائق المجردة التي لا تبعد عن تناول الفطرة وإنتاج التجربة والمشاهدة . وكل ما وصل إلى العرب بعد ذلك من أسباب العلوم لا تتعدى معلومات أولية مبنية على قوة النظر أو صدق الحدس ومستمدة من التجربة والمشاهدة حينًا ومخالطة من جاورهم من الأمم أحيانًا فمن ذلك علم النجوم فقد كان ما انبسط لأعينهم من رقعة السماء داعيًا إلى إدمان النظر في كواكبها ، وتعرف صورها وأوائها ومطالعها وألوانها ، وغروبها وأشكالها. وقد وصلوا بذلك إلى معرفة أوقات

الخصب والمحل ، والريح والمطر . واهتدوا بها في ظلمات البر والبحر  
أما علم الطب فكان ينبوعه تجربة قاصرة متوارثة عن مشايخ الحى  
وعجائزه فلم يكن يتجاوز عندهم الكى بالنار ، وبترا الأعضاء بمحمى الشفار ،  
واتخذوا من العسل دواء ، ووجدوا فى عصارات بعض النباتات شفاء  
ومن خرافاتهم أن المجروح إذا شرب الماء قاضت نفسه وأن المرأة إذا  
ذعرت من شىء حتى برد قلبها تسقى لشفائها ماء حارا

وقد توصلوا بقوة ذكائهم إلى الاستدلال على أخلاق الشخص وصفاته  
من هيئته وكلامه وظاهر أعضائه وتلك هى الفراسة . أما القيادة عندهم  
فهى الاستدلال بآثار الأقدام على أصحابها ، ولقد بلغوا فى ذلك من  
الآعاجيب أمدا بعيدا ففرقوا بين آثار المرأة والرجل ، والأعمى والبصير  
ومع انتشار الإمية فيهم إلا أن قوة الحافظة عندهم أدت بهم إلى تفوقهم  
فى علم الأنساب يتعرفون به ألقابهم ويحفظون أصولهم وأحسابهم فلا  
يدخل رجل فى غير قبيلته ولا يدعى إلى غير أبيه ، دعاهم إلى ذلك اعتزازهم  
بالعشيرة ومغالاتهم فى العصبية

وكانت من معارفهم السكّهانة والعراقة وزجر الطير والطرق بالحصى  
يبتغون بذلك اختراق حجب الغيب ومعرفة أسرارّه ومكنونه

أما بصرهم بالخيل ومعرفة شياتها وأوضاعها وعتاقها وما يستحب من  
صفاتها وما يتعلق بها من إنتاج وبيطرة فقد فاقوا فى ذلك سواهم من الأمم  
أما تاريخهم وأحوالهم فصحائفها منشورة فى شعرهم الذى هو ديوان  
علمهم وأخبارهم



## شباب امرئ القيس

ترعرع امرؤ القيس وكأني به يتقلب بين نجد وروايبها واليمامة وأوديتها والبحرين وأحسانها وهو فتى ناعم العيش رخي البال قدير العين خلى القاب من هموم الحياة وأعبائها؛ تخالطه الحسان وتعزفه القيان؛ يلهو بالصيد وركوب الصافيات الجياد، قد خلع الملك على شبابه ثوباً من الجمال وحلة من الاختيال، ينزل في كل منزل ما أراد ويرتع في كل واد ماشاء ويتقلب في ملك أعمامه وأبيه وجده. وهو في خلال ذلك يسمع الشعر في تراجم الحداء، وأغاني الرعاة. وسمر السمار؛ وأحاديث الرواة. ويرى عناية القبائل بالشعر وإكبار الأحياء للشعراء. وهو ذو سليقة شاعرة وقريحة مطبوعة. يصحب الشعراء ويصحبه، وينشدهم الشعر وينشدونه، وما هو بالمحزون فبشتكى، ولا بالفقير فيجتدى، إن هو يومئذ إلا أستير لذات وخذن لهو وصبوات. فذراعى الشعر عنده لا تعدو هذه المؤثرات ولذلك ذهب امرؤ القيس مع الشباب وسبح في واديه وترنح في سكرة الحدائة يحب هذه ويشبب بتلك وفجر بذلك في شعره وغلا في فجوره حتى شبب بنساء كن إلى والده مما غيظه منه فهو القائل:

أحار بن عمرو كأني خمر ويعدو على المرء ما يأتى

١ قال البغدادي في خزنة الأدب إن مطلع هذه القصيدة:

لا وأيك ابنة العامرى لا يدعى القوم أنى أمر

وإن أبا عمرو والشيباني والمفضل وغيرهما أتتوا أن هذه القصيدة لامرئ القيس أما الأصمعي فقد زعم في روايته عن أبي عمرو بن العلاء أنها لرجل من أولاد العرن قاسط يعال له ربيعة بن جتم وأولها عده

أحار بن عمرو كأني خمر ويعدو على المرء ما يأتى

وفيهما يقول

وهز تصيد فلوب الرجال وأفلت منها ابن عمرو وحجر  
رمتني بسهم أصاب الفؤاد غداء الرحيل فلم أتصمر  
وأستبل دمعى كعص الجمان أو الدر رقراقه المنحدر  
وإذهى ثمثى ثمثى الزيف يصرعه بالكثيب البهرا  
رهرة رودة رخصة كرعوة البانة المتقطر<sup>٢</sup>  
فتور القيام قطيع الكلام تفرعن ذى غروب تحصر  
فان المدام وصوب الغمام وريح الخزامى وتشر القطر  
يعل به رد أنيابها إذا طرب الظائر المستحمر

وقد عرف حجر عن ولده ادريء القيس أنه كان فاحشاً فأجرا مسهتراً  
يحب اللهو ويستتبع صعايلك العرب يغير بهم على أحيائها فما جعل الوالد  
يتفكر في عقاب يؤدب به هذا الولد الفاجر فأرسله في رعاء الأبل ليكون في  
هذا إذلال له وصغار وتعب وأين حتى ينصرف عن تلك الحياة الخليعة  
الطائشة ويرعوى عن غيه وضلاله ولكن امرأ القيس لم يأبه لهذا وخرج  
بالأبل يرعاها عامة يومه ثم آواها مع الليل وجعل ينيخها ويقول: حبذا  
طويلة الأقراب، غزيرة الحلاب، كريمة الصحاب، حبذا شداد الأوراك  
عراض الأحناك، طوال الأسماك. ثم بات ليلته يسمر مع السمار بذكرها

١ التريف السكران الذى يترشح فى مشيته والهر انقطاع النفس والكلال ٢ الرهرة الرقيقة الخلد الملساء

المرحرة والرودة الشاة والرخصة الباعمة والخرعوه العضة الله

والحديث عنها وعلم أبوه ذلك فقال . والله ما أدلته ولا بد من عقاب يزجره  
عن غيه فلما صبحه الصباح قال له اخرج مع الخيل تخرج بها إلى المرعى حتى إذا  
أقبل الليل رجع بها ، وتسمعه والده حنجر يقول عند إيوائها حمد الجياد بإنائها  
سواء وذاكورها طباء ، نعم التمتحتاب راجلا وراكبا ، تبتوك طالبا وتموت  
هاربا . فسأ ذلك أباه فجعله في رعاية الأغنام فخرج بها عامة يومه حتى إذا  
أمسى أض من المرعى وهو يقول : أخزاها الله ، لانتهدى طريقا ولا  
تعرف صديقا ، ولا تطيع راعيا ولا تسمع داعيا . ثم تهالك على نفسه إعياء  
وكلالا وهتئ لا يلوى على السمار إلى مضجعه قطن والده أنه قد قدر عليه . فلما  
أسفر الصبح قال له اخرج بالشاء . فمضى امرؤ القيس يقودها . حتى بعد من  
الحى وأشرف على الوادى أخذ التراب وطمق يحنوه على وجوها وهى  
ترتد عنه إلى الديار وهو خلفها لا يكف عن فعله قائلا : حجر فى حجر ،  
حجر لأمد ، هببات لحم وإهاب ، للطير والذئب ، فلما رأى حجر فعل  
امرى القيس بالأغنام أسقط فى يده وعلم أن لن يقدر عليه فادى مولى  
من مواليه يسمى ربيعة وأمره أن يأخذ امرأ القيس إلى خارج الحى ثم  
يقتله ويأتيه بعينه فانطلق ربيعة به إلى الصحراء ولكنه فكر مليا فأشفق  
على امرى القيس وأشفق على نفسه أيضا من أن يعود حجر بعد أن نهدأ  
ثأرتة فيجزع على فقد ولده الذى أصدر عليه الحكم بالموت وهو محتدم  
الغائظ فى ثورة وغضب . نظر ربيعة إلى هذا فحنى على نفسه أن يصيبه  
الأذى إن قتل امرأ القيس ولذلك فإنه تركه فوق رادة برتع وبلعب ثم رحم

إلى حجر ومعه عيياً جوذر ولا يكن سرعان ما عرف الندامة في وجه حجر  
وأسفه على موت ولده فقال له أبيت اللعن لا تجزع فأني لم أقتله فقال له حجر  
على به . فسار ربيعة إلى امرئ القيس حيث خلفه ليعود به إلى والده  
فوجدته يقول :

لا تتركى ياربيع لهذه وكنت أرانى قبلها بك واثقا

مخالفة نوى أسير بقرية هرى عربيات يشمن البوارقا<sup>١</sup>

فأما ترينى اليوم فى رأس تهاقى ذند أغمدى وأقود أجرد تائقاً<sup>٢</sup>

وقد أذعر الوحش الرديع بكرة وقد احتلى بيض الخدور الروائقاً<sup>٣</sup>

نواعم بجلاوا عن ميون بقية سبر اور بطا جاسدا أو شقائقاً<sup>٤</sup>

ولما رجع امرؤ القيس إلى والده لم يكف عن فجوره وفخشه فى قوله  
وفعله فعاد أبوه فطرده وأبى أن يقيم معه أئمة منه وعارا . فخرج امرؤ القيس  
مراغما لأبيه وعاد سيرته الأولى يتماهى أسباب المجانة والعبث ويهيم  
على وجهه فى الأحياء ويتبع الصعاليك ويتحاطب أشذاذ بصحبهم ويصحبونه  
فيخرج بهم إلى الصيد والغارات وينزلهم على الغياض والرياض . يذبح  
لهم جزوره وتخنيهم قبانه ويسبأ الزق الرءى إلى أن ألقى عصاه واستقر به

١ تمام الرقى سوءه ولسر إليه ٢ فى رأس سهاق اى - قه - لى والاحرد العرس القصير الشعر  
وتأمتا محلا للعبو ٣ بكرة أى على حين عفة من المر من الحور النساء المححات والروائق البيض  
المواضع المر اعلا لى الاما والاطا جاسدا ب - ت - والذائق الخ

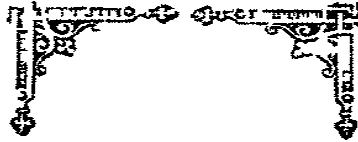
نواه في بلدة ( دمون ) وهي التي يقول فيها

كأني لم ألهو بدمون مرة

ولم أشهد الغارات يوما بعندل

وجاءه النذير بنعي والده في د-ون فكان منه ما كان مما سنقف عليه

عند الكلام عنه بعد مقتل أبيه



## عشق امرئ القيس

### وَصِوَا حَبِ

جِري امرؤ القيس وراءَ المِجَانةِ والعُبثِ إلى أبعدِ غايةٍ ، وما كان عاشقا  
وإنما كان فاحشا . يشبب اليوم بهر و فاطمة ، وفي الغداة يزين له الهوى أن  
ينتقل إلى هند والرباب و فرتنا . فهو كالنحلة ينتقل من زهرة إلى زهرة ،  
ويدف بجناحيه على كل غصن رطيب يصادفه ثم يتجافى عنه إلى غيره . ولم يكن  
امرؤ القيس صبا ولوعا ولا عاشقا متبها وإنما كانت أسير لذات وصنو  
شبهوات و خدبن خلاعة وهو . ويظهر أثر ذلك في شعره فنحن لا نجد فيه  
برحاء المحب المستهام ولا لوعة الصب الولوج . وكل ما في شعره من نسيب  
إنما هو ذكر للنساء ومحاسنهن ووقوف على ديارهن وأماكنهن ووصف عبثه  
معهن ولهوه بهن . ومع ما نعلمه من تلك الحياة الخليعة العابثة التي ارتضاها  
امرؤ القيس لنفسه في شبابه وقضاها في ارتياد أكنان الخلاعة والقصف  
نرى أن شعره مثل هذه الناحية أصدق تمثيل فهو وحي الألهام الصادق  
والغريزة التي أنبأت عن مكنونها وحديث النفس التي انتزعت من دخيلتها  
صورة مطابقة لحقيقتها ثم أظهرتها إلى الملائمة بعد أن خلعت عليها من قننها  
ثوبا بيانيا رائعا . فامرؤ القيس عندي هو الشاعر الملهم الصادق الوحي  
والتصوير وهو المثل الأعلى في شاعريته وفيضه فلا تزييف في عاطفته  
ولا افتعال

وهذه أسماء من ورد ذكرهن في شعره وقوله فيهن

أم مالك قال فيها : -

قفا نسأل الأطلال عن أم مالك وهل تخبر الأطلال غير التهاك<sup>١</sup>  
وأم جندب وهي زوجته الطائية قال فيها

خليلى مرابى على أم جندب لنقض لبانات الفؤاد الممذب  
فأنك كما إن تنظرانى ساعة من الدهر تنفغنى لدى أم جندب<sup>٢</sup>  
ألم تريانى كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا وإن لم تطيب  
عقيلة أتراب لها لادميمة ولا ذات خلق إن تأملت جانب<sup>٣</sup>  
ألا ليت شعرى كيف حدث وصلها وكيف تراعى وصلة المتغيب  
أقامت على ما بيننا من مودة أميمة أم صارت لقول المخب  
فإن تنبأ عنها حقبة لا تلاقها فأنك بما أحدثت بالجرىب  
وسليمى قال فيها

يا بؤس للقلب بعد اليوم ما آبه ذكرى حبيب يبعض الأرض قدرا به  
قالت سليمى أراك اليوم مكتسبا والرأس بعدى رأيت الشيب قدعابه  
وحار بعد سواد الرأس جمته كعقب الريط إذ نشرت هدابه<sup>٥</sup>  
وقال فيها أيضا

سمالك شوق بعد ما كان أقصرا وحلت سليمى بطن قو فعرعرا

١ روى هنا البيت صاحب جمهرة أشعار العرب ٢ نظرانى أى تنتظرانى ٣ العقيلة الكريمة المخدرة  
والأتراب اللدات وهم الذين يولدون مع الألسان فى وقت واحد والجانب القصير اللحم ٤ ما آبه ماشأنه  
ومرجعه ٥ حار جمع وعاد وصار . واجمة مقدم شعر الرأس . والمعقب الحار تعقب به المرأة . والريط  
ثوب لين رقيق

كناية بانث وفي الصدر ودها مجاورة غسان والحى يعمرأ  
بعينيك ظعن الحى لما تحملوا لدى جانب الأفلاج من جنب قيمرا<sup>١</sup>  
والخنساء قال فيها ٢

قالت الخنساء لما جئتها شاب بعدى رأس هذا واشتهب ٣  
عهدتى ناشئا ذا غرة رجل الجملة ذا بطن أقب ٤  
أتبع الولدان أرخى مئزرى ابن عشر ذا قريط من ذهب  
وهى إذ ذاك عليها مئزر ولها بيت جوار من لعب ٥  
ورقاش قال فيها :

لله زبدان أمسى قرقرأ جلدا وكان من جندل أصم منفضودا ٦  
لا يفقه القوم فيهم كل منطقهم لإسرار اتخال الصوت مردودا ٧  
قامت رقاش وأصحابى على عجل تبدى لى النحر واللبات والبيدا  
وهند قال فيها

أذكرت نفسك مالن يعودا فهاج التذكر قلبا عميدا  
تذكرت هندا وأتراها فأصبحت أز معتم منها صدودا ٨

---

١ الأفلاج جمع فلج وهو النهر الصغير . وقيم مدينة بالنام ٢ وقيل أن هذا الشعر منحول لامرئ القيس  
٣ اشتبه صار أشهب الرأس والشبهة بياض فى سواد ٤ رجل الجملة ممشط شعر الرأس : وأقب عال ه يعنى  
أنها كانت صغيرة ولها بيت تضع فيه لعبا ودها ما اتى على شكل الجوارى ٦ زبدان دوضع بين دمشق وبعلبك  
والقرقر الأرض المطمئة والجلد الأرض الصلبة المستوية المتن ٧ السرار الخفوت ٨ وقال بعضهم إن المقصود  
فى هذا الشعر هداية امرئ القيس ذكرها أبوها هو بعبدعنا في ديار قصر



وقال فيها أيضا

طرقتك هند بعد طول تجنب      وهنا ولم تك قبل ذلك تطرق ١  
والرباب وفرتنا وليس قال فيهن      جامعا معهن هنداً  
لمن الديار غشيتها بسحام      فعمائتين فمضب ذى أقدام  
فصفا الاطيط فصاحتين فغاضر      تمشى النعاج بهامع الآرام  
دار لهند والرباب وفرتنا      وليس قبل حوادث الأيام  
عوجا على الطلل المحيل لأننا      نبكى الديار كما بكى ابن خزام  
دار لهم إذ هم لأهلك جيرة      إذ تستييك بواضح بسام  
أزمان فوها كلما نبتها      كالمسك بات وظل فيه فدام ٢  
أو ماترى أظعانهن بواكرا      كالنخل من شوكان حين صرام ٣  
حور تعلق بالعبير جلودها      بيض الوجوه نواعم الأقسام  
فظللت في دمن الديار كأننى      نشوان باكره صبوح مدام  
وقال أيضا ذاكرها هنداً والرباب وفرتنا .

لمن ظلل أبصرته فشجانى      كقط زبور فى عسيب يمانى  
ديار لهند والرباب وفرتنا      ليالينا بالنعف من بدلان  
ليالى يدعونى الهوى فأجيبه      وأعين من أهوى إلى روان  
وقال فى فرتنا أيضا ذاكرامعها هرا

١ وهنا أى بعد هدأة من الليل ٢ الفدام الغطاء ٣ الاظعان النوق عاها الهواج فيها النساء . بواكر

مبكرات . وشوكان موضع . وصرام عطاف المحل

ألا إنما الدهر ليال وأعصر  
ليال بذات الطلح عند محجر  
أغادى الصبوح عند هر وفرتنا  
إذا ذقت فاما قلت طعم مدامة  
هما نعبتان من نعاج تبالة  
إذا قامتا توضع المسك منهما  
وهر قال فيها :

تروح من الحى أم تبتكر  
أمرخ خيامهم أم عشر  
وفى من أقام من الحى هر  
وهر تصيد قلوب الرجال  
رمتى بسهم أصاب الفؤاد  
فأسبل دمعى كفض الجمان  
وإذ هى تمشى كمشى النزيف  
برهرة رودة رخصة  
فتور القيام قطع الكلام  
كأن المدام وصوب الغمام  
يعل به برد أنيابها

وماذا عليك بأن تنتظر  
أم القلب فى إثرهم منحدر ١  
أم الظاعنون بها فى الشطر ٢  
وأفلت منها ابن عمرو حجر  
غداة الرحيل فلم أتصر  
أو الدر رقراقه المنحدر  
يصرعه بالكثيب البهر  
كحرعوبة البانة المنفطر  
تفتقر عن ذى غروب خصر  
وريح الخزامى ونشر القطر  
إذا طرب الطائر المستحبر

١ المرخ شجر قصير يبت بنجد والعشر شجر طويل يبت بالود ويعى اشاعر دل هم منجدون أو محزون.

٢ الشطر جمع شطير وهو الغريب

فت أكابد ليل التما م والقلب من خشية مقشعر  
فلما دنوت تسديتها فثوبا نسيت وثوبا أجر ١  
ولم يرنا كاليه كاشح ولم يفش منا لدى البيت سر ٢  
وقد رابني قولها ياهناه ويحك ألحقت سرا بشر ٣  
وسلامة وقدور قال فيهما:

عفا شطب من أهله فغرور فربولة إن الديار تدور  
فجزع بحياة كأن لم تقم بها سلامة حولا كاملا وقدور  
وماوية قال فيها:

أماوى هل لى عندكم معرس أم الصرم تختارين بالوصل نياسر ٤  
أبني لنا إن الصريمة راحة من الشك ذى المخلوجة المتلبس ٥  
وقال فيها أيضا

يادار ماوية بالحائل فالسهب فالخبيتين من عاقل  
صم صدانا وعفا رسعا واستعجمت عن منطق السائل  
وسلمى قال فيها مع تعرضه لذكر بسباسة

ديار لسلمى عافيات بذى الحال ألح عليها كل أسحم هـ طال  
وتحسب سلمى لاتزال ترى طلا من الوحش أويضا بميثاء محلال ٦  
وتحسب سلمى لاتزال كعهدنا بوادى الخزامى أو على رأس أو عال

---

١ تسديتها أى علوتها ٢ الكالى المراقب والكاشح المعادى ٣ مناه اسم من أسماء الداء لا يستعمل فى سواه ومعناه كما تقول ياهد ٤ أماوى ترخيم ماوية والمعرس المنزل الذى يحمله المسافر عند السفر لىسريح فيه المخلوجه المعوجة ٦ المياة الأرض السهلة . و محلال أى يكثر الناس الدورل فيها

ليالى سلى إذ تريك منصبا      وجيدا بكيد الرثم ليس بمعطال ١  
الآزعت بسباسة اليوم أنى      كبرت وإن لا يحسن السر أمثانى ٢  
كذبت لقد أصبى على المرء عرسه      وأمنع عرسى أن يزن بها الخالى ٣  
ويارب يوم قد طوت و ليلة      بآ نسة كأنها خط تمثال ٤  
يضىء الفراش وجهها الضجيعها      كمصباح زيت فى قناديل ذبال ٥  
كان على لبانها جرم مصطل      أصاب غضا جزلا وكف بأجزال ٦  
وهبت له ريح بمختلف الصوا      صبا وشمال فى منازل قفال ٧  
إذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها      تميل عليه هونة غير مجبال ٨  
كحقف النقا يمشى الوليدان فوقه      بما احتسبا من لين مس وتسعال ٩  
ومثلك بيضاء العوارض طفلة      لعوب تنسينى إذا قت سربالى ١٠  
لطيفة طى الكشع غير مفاضة      إذا انقلت مرتجة غير متفال ١١  
إذا ما استحمت كان فيض حميمها      على متنتيها كالجمان لدى الخالى

---

١ منصبا ثغرا مستويا متنسقا ٢ الدر الكاح ٣ أصبى على المرء عرسه أى أغرى زوجته وأرددها إلى الصبا ويزن يتهم . والخالى الأعزب ٤ خط تمثال أى كنتش التمثال المصور والمعنى المراد أنه قد لها بحسن هذه الآتقوجالها التى كأنها صورة.صورة ٥ قناديل ذبال المراد ذبال قناديل والذبال القليلة ٦ كف بأجزال أى جعل له كفاف من أصول شجر النضا ٧ الصوا جمع صوة وهى الدلامة التى تكون فى الطريق أو على الأرض المرتفعة فى غلظ . والقفال العائدون من السفر ٨ ابتزها سلب عنها ثيابها . وهونة أى لية والمجبال الالية الخلق ٩ حقف النقا الكشيب المستدير من الرمل وقد ذكر ذلك قاصدا تشبيه العجيزة ١٠ العوارض صفحا العتق والطفلة الرخصة الناعمة ١١ لطيفة طى الكشع أى رقيقة الخصر والمفاضة المسترخية البعث والمرتبة التى يترجرج لها من كثرة والمتفال المتنتة الريح

تنورتها من أذرعها وأهلها  
نظرت إليها والنجوم كأنها  
سموت إليها بعد ما نام أهلها  
فقلت سباك الله إنك فاضحى  
فقلت يمين الله أبرح قاعدا  
حلفت لها بالله حلقة فاجر  
فلما تنازعنا الحديث وأسححت  
وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا  
فأصبحت معشوقا وأصبح بعلمها  
يغبط غطيظ البكر شد خنائه  
أيقنتنى والمشرفى مضاجعى  
وليس بذى ربح فيطعننى به  
أيقنتنى إنى شغفت فؤادها  
وقد عدت سلمى وإن كان بعلمها  
وماذا عليه إن ذكرت أو انسا  
وبيت عذارى يوم دجن ولجته

يثرى أدنى دارها نظر عال ١  
مصاييح رهبان تشب لقفال  
سمو حباب الماء حالا على حال ٢  
أست ترى السمار والناس أحوالى  
ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى ٣  
لناموا فما إن من حديث ولاصال ٤  
هصرت بغصن ذى شمار يخمياله ٥  
ورضت فذلت صعبة أى إذلال  
عليه القتام سيء الظن والبال ٦  
ليقتلنى والمرء ليس بقتال  
ومسنونة زرق كأنياب أغوال  
وليس بذى سيف وليس بنبال  
كما شغفت المهنوءة الرجل الطألى ٧  
بأن الفتى يهذى وليس بفعال  
كغزلان رمل فى محاريب أقوال ٨  
يطقن بجباء المرافق مكسال ٩

١ تنورتها أى نظرت الى نارها ٢ سموت اليها يعنى علوتها وحباب الماء فقاعيه ٣ أبرح قاعدا أى لا أبرح قاعدا ٤ لناموا أى لقد ناموا ٥ أسححت لانت واقادت ٦ القتام الغبار ٧ شغفت فؤادها أى بلغ حبى شغاف قلبها والمهنوءة الدقة التى تطفى بالقطران ٨ بما نحرت فيوحد طعم القطران فى لحمها ٨ المحاريب الغرف والاقوال كالأقوال آخر الملوك ودونهم ٩ الدحن ظل العمام وجباء المرافق أى غامة عظام المرافق من كثرة لحمها

قائلة جرس الليل إلا وساوسا      وتبسم عن دذب المذاقة ساسال ١  
سباط البنان والعراتين والقنا      لطاف الخصور في تمام وإكمال  
نواعم يتبعن الهوى سبل الردى      يقان لأهل الحلم ضلا بتضلال  
صرفت الهوى عنهن من خشية الردى      ولست بمقل الخلال ولا قالى ٢  
وأم هاشم وابنة عفزر قال فيها ذاكرًا معها البسياسة ابنة يشكر .-  
لقد أنكرتني بعابك وأهاها      ولا بن جريج في قرى حمص أنكرًا  
نشيم بروق المزن أين مصابه      ولا شىء يشفى منك يا بنة عفزر ٣  
من القاصرات الطرف لو دب محول      من الذرفوق الأتب منها لأثرا ٤  
له الويل إن أمسى ولا أم هاشم      قريب ولا البسياسة ابنة يشكراه  
ويقول أيضا في هذه القصيدة ذاكرًا سالمي وأسماء  
كأن دمي سقف على ظهر مرمر      كساهن بد الساجوم وشيام مصورا ٦  
غرائر في أن وصون ونعمة      يحاين يا قوتا وشذرا مفقرا ٧  
وريح سنا في حفة حميرية      تخص بمفروك من المسك أذفرا ٨  
وبانا وألوياء من الهند ذاكيا      ورندا ولبنى والكباء المقترا ٩

١ الجرس الصوت . والوساوس اصوات الحلى ٢ المقل المبعض ٣ مصاب المزن هو السحاب حيث يقع  
ومعنى البت أنه يقول نحن ننظر الى هذه البروق رجاء منا ان يكون الغيث الواقع بها في ديار من نحب ففسقى  
بسيام والعرب يدعون ان يحبون السقياء ثم كان كل شئ لا يستشفى به من اشوق الى ابة عفزر وعفزر اسم  
رجل ٤ المحول من الذرائعير جدا والاتب قيرص خير يحيط الجادين ه له الويل يعنى امرؤ القيس نفسه  
٦ سقف اسم موضع والساجوم واد في جزيرة العرب . والمزبد الذى علاه الربد ٧ الغرائر عوامل التى لا تجر به  
لهن . واشذر قطع الذهب . والمفقر المصنوع على شكل نقار الجرادة ٨ السنا نبت ذكى الرائحة ٩ الالوى العود  
الذى يتخر به والند شجر طيب الثمر . والبنى الميعة والكباء النخور والمقتر المدخن

غلقن برهن من حبيب به ادعت  
وكان لها في سالف الدهر خلة  
إذا نال منها نظرة ريع قلبه  
نزيف إذا قامت لوجه تمايات  
أسماء أمسى ودها قيد تغيرا  
وسعاد قال فيها :

لعمرى لقد بانث بحاجة ذي الجوى  
وقد عمر الروضات حول مخطط  
متى تردارا من سعاد تقف بها  
وليلي قال فيها :

تنكرت ليلي عن الوصل ونأت ورت معاقد الحبل ٥  
ولووا متاعهم وقد ستلوا بذل المتاع فطن بالبذل ٦  
ونحت له عن أزر تالبة فلق فراغ معايل طحل ٧  
وافت بأصلي غير أكلف بحـروم البهاء وقلة الأسل ٨  
ومؤشر عذب مذاقته برد القلال بذائب النحل ٩

١ غلق الرهن حل مواعده وتمذرق كما كه والرهن القلب والمراد أنهن احتبسن قلب هذا الحبيب الذي ادعته  
سليمى بأنها أحق به ٢ الخلة للخليل ٣ المخمر الذي رنحه الخار ٤ تراشى ترمى والتختر الخداع ٥ تنكرت  
تعافت وتناست ٦ لووا مالوا وتباعدا ٧ نحت أى نحت . أزر تالبة مجتمع حر وحشية . فلق أى يفض  
فراغ أى فطلب . والمعايل نصال السهام . والطحل جمع الطحلة وهى لون بيز الغيرة والسواد  
ببياض ٨ زافت جاءت والمراد بالانصت الجبين الواضح الذى لاكلف فيه والأسل الطول والاسترسال بوصف  
به الخد ٩ المؤشر الثغر والمراد بذائب النحل الشهيد

وقال في ليلي أيضا :

عيناك دمعهما سيجال كان شانيهما أوшал ١  
أو جدول في ظلال نخل للباء من تحته مجال  
من ذكر ليلي وأين ليلي وخير مارمت لاينال  
وأم الحويرث وأم الرباب وعنيزة وفاطمة<sup>٢</sup> ورد ذكرهن في معلقته قال  
قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحوهل  
فتوضح فالمقراة لم يعفك رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال  
ترى بعز الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل  
كأنى غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحى ناقف حنظل  
وقوقابها صحبي على يطيمم يقولون لا تهلك أسا وتجمل  
وإن شفاى عـبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول<sup>٣</sup>  
كدأبك من أم الحويرث قباهم وجارتها أم الرباب بمأسل  
إذا قامتا توضع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل  
ففاضت دموع العين منى صباية على النحر حتى بل دمعى مجمل  
ألا رب يوم لك ممن صالح ولا سيما يوم بدارة جاجل  
ويوم عقرت للعدارى مطيى فياعجبا من رحلها المتحمل  
فظل العذارى يرتين باجمها وشحم كهداب الدمقس المقتل

١ السجال جمع سحل وهو الدلو العظيمة المنمومة بالماء وشايبها جانبيها أو مجارى الدموع منهما والأوشال جمع وشل وهو الماء محتلب من أعلى الجبل بكثرة ٢ قيل ان أم الحويرث هى هر وقيل أيضا ان عنيزة هى فاطمة وذكر ذلك مفصل فى آخر هذا الباب ٣ وفى رواية أخرى وإن شفاى عـبرة إن سفحتها



ويوم دخلت الخدر خدر عزيزة  
تقول وقد مال الغبيط بنا معا  
فقلت لها سيرى وأرخى زمامه  
فمثلك حبل قد طرقت ومرضع  
إذا ما بكى من خلفها انصرفت له  
ويوما على ظهر الكتيب تعذرت  
أفاطم مهلا بعض هذا التلال  
وإن تك قد ساءت بك منى خليقة  
أغرك منى أن حبك قاتلى  
وما ذرفت عيناك إلا لتضربى  
ويضة خدر لا يرام خباؤها  
تجاوزت أحراسا إليها ومعشرا  
إذا ما الثريا فى السماء تمرضت  
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها  
فقلت يمين الله مالك حيلة  
خرجت بها أمشى تجر وراءنا  
فلما أجزونا ساحة الحى وأنتحى

فقلت لك الويلات إنك مرجلى  
عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل  
ولا تبعدنى عن جناك المعلن ١  
فألبيتها عن ذى تمام محول  
بشق وتحتى شقها لم يحول  
على وآلات حلقة لم تحلل  
وإن كنت قد أزمعت صرمى فأجلى  
فسلى ثيابى عن ثيابك تنسل  
وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل  
بسهميك فى أعشار قلب مقتل  
تمتعت من لهُو بها غير معجل  
على حراسا لو يسرون مقتلى  
تعرض أثناء الوشاح المفصل  
لدى الستر إلا لبسة المتفضل ٢  
وما إن أرى عنك الغواية تنجلى  
على إثرنا أذيال مرط مرحل ٣  
بنا بطن خبت ذى حقاف عقنقل ٤

١ لا تبعدنى عن جناك المعلن أى لا تبعدنى من اقتطاف حرة خديك بالقبل والمهال المطيب ٢ نضت ثيابها أى خلعتها ولبسة المتفضل ما بابس عد النوم من قيصراو أزار ٣ المرط ثوب تنز معلم والمرحل المخطط المنقوش على هيئة الرحال ٤ اجزونا قطعنا وتحتى تصد واعتمد والحقف الرمل المشرف الموج والدقنقل اجزا الرمل الكثر المنعقد المتلبذ

١ هصرت بفودي زأسها قتايلت على هضم الكشع ربا المخلخل  
٢ مهفهة بيضاء غير مقاضة ترايبها مصقولة كالسجنجل  
٣ كبر المقانة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير المحلل  
٤ تصد وتبدي عن أسيل وتتقى بناظرة من وحش وجرة مطفل  
٥ وجيد بكيد الرثم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمطفل  
٦ وفرع يزين المين أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتشكل  
٧ غدائره مستشزات إلى العلا تضل العقاص في مثنى ومرسل  
٨ وكشع لطيف كالجديل مخصر وساق كانبوب السقى المذلل  
٩ وتضحى فتيت المسك فوق فراشها تؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل  
١٠ وتعطو برخص غير شئن كأنه أسار يع ظبي أو مساويك إسحل  
١١ تضىء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسى راهب متبتل

١ هصرت جذبت والعودان جانباً الرأس وهضم الكشع ضامر الوسط ورياً ملاًى والمخلخل مكان  
الخلخال من الساق ٢ المهفهة الضامرة البطن والمفاضة الكبيرة البطن والترائب البحر ومصقولة مجلوة  
والسجنجل المرآة ٣ والمقانة المخالط بياضها صفرة وحمرة والهمير الصافي والمحلل الذى كثر حلول الناس عنده  
والمراد بالبكر بيضة النعامه او لماتبيض والبكر من كل شئ .الم يسبقه مثله ، الاثيث الكشيف والمتشكل المتراكم  
بعضه فرق بعض او هو المتدل المستشزات المرتفعات والعقاص جمع عقيصه وهى الخصلة المجموعه من الشعر  
٦ الجديل خطام الناقه وزمامها والمراد بقوله كانبوب السقى المذلل اى كانبوب نبات الردى المسقى المذلل  
بالأرواء ٧ تضحى تستيقظ فى صحوة الهار وتذمق تشد طاقا للعمل ويقصد أنها مرهفة معمة وعن تحصل  
اى عن الثوب الذى تمام فيه ٨ تعطو تناول والمراد بالرخص الاصابع اللينة وغير شئن اى غير حشة  
والاسار يع دود صغر وظبي اسم موضع والاسحل شجر تتخذ منه المساء يك كالآراك

إلى مثلها يرنو الحليم صبابة إذا ما سبكرت بين ذرع ومجول ١  
تسلت عمايات الرجال عن الصبا وليس قواذى عن قواها بمنسل  
ألا رب خصم نيك ألوى رددته نصيح على تعذاله غير مؤثل ٢  
وإني لأقف هنا وقفة أعرض فيها أقوال الزواة والعلماء واختلافهم فيما  
تعرضوا له من نسب هرث وبعض اصواب امرىء القيس فأقول :

إن ابن قتبية وصاحب معاهد التصييص قال : إن هرا هذه من زوجات  
أبيه واسمها أم الحويرث أيضا ، وقال أبو عبيد البكري في شرح أمالي القالي  
« أم الحويرث التي كان يشبب بها امرؤ القيس في أشعاره هي أخت  
الحارث بن ضدضم من كلب وهي امرأة حجر أبي امرىء القيس فلذلك  
كان أبوه طرده ونفاه وهم بقتله ، وعلق البغدادي في خزاتنه على قول  
أبي عبيد بقوله « وهذا هو الصواب » ولكن جاء في نزهة ذوى الكيس « أن هرا  
هي ابنة العامرى وأبوها الحارث بن حصين الكلبي ويقال إن هرا جارية  
لحجر بن عمرو أبي امرىء القيس ويقوى هذا قول امرىء القيس وأفلت  
منها ابن عمرو حجر لأنها جاريته فهو ينال منها غربته ويدرك مراده دون غرام  
بها ولا عناء ، والوزير أبو بكر بن أيوب يقول عن هر « إنها ابنة سلامة بن  
علند من كلب وإن فاطمة التي يذكرها من كلب أيضا وإنه قال هذه القصيدة  
في حبيهم بعد أن نفاه أبوه ونزل بهم فعلق هواه بهاتين » وقد علق ابن أيوب  
على قول امرىء القيس

وهر تصيد قلوب الرجال وأفلت منها ابن عمرو حجر

---

١ السبكرت أى هشت مستقيمة وبين ذرع ومجول أى بن صغيرة تلتزم المحول وقية تلتس الذرع ٢ ألوى  
شديد الخصومة وتعذاله لومه وغير مؤثل أى غير مقصر

فقال استعارة الصيد مع الهر مضحكة ولو أن حجرا أباه من فارات  
بيته ما أسف على إفلاته منها هذا الأسف وهذه الاستعارة وإن لم تكن  
فاسدة فقد تجنبها المحدثون ظرفا ولطافة . وقد رجح أبو بكر ابن أيوب فذكر قولا  
آخر عن نسب هر عند شرحه للعلقة فقال « أم الحويرث هي هر التي كان  
يشيب بها في أشعاره وهي أخت الحرث بن الحصين بن ضمضم وقد تقدم في  
نسبها غير هذا » والتبريزي يقول « أم الحويرث هي هر أم الحارث بن حصين  
بن ضمضم الكلبي وأم الرباب من كلب أيضا » وقال أيضا عن عنيزة « إنها  
ابنة عمه صاحبة يوم دارة جليل » وقال ابن الكلبي - فيما أورده الزوزني - عن  
فاطمة « هي ابنة عبيد بن ثعلبة بن عامر وعامر هو الأجدار بن عوف بن  
عذرة » قال ولها يقول

لا وأبيك ابنة العامري لا يدعى القوم أنى أفر

وابن قتيبة تابع ابن الكلبي على هذا الرأي

وقال الزوزني عن عنيزة « إنها ابنة عمه شرحبيل » وذكرها في موضع  
آخر من كتابه فقال « عنيزة اسم عشيقته وهي ابنة عمه وقيل هو لقب  
لها واسمها فاطمة وقيل بل اسمها عنيزة . وفاطمة غيرها » وقال في موضع  
آخر أيضا « فاطمة اسم المرضع واسم عنيزة . وعنيزة لقب لها فيما قيل »  
وقال أبو الحسن الطوسي عن هر « إنها ابنة العامري وهي ابنة سلامة بن عبد  
ويقال ابن عبد الله بن عليم قال وكان امرؤ القيس في كلب وطى أيام  
نفاه أبوه وقال وابنها الحرث بن حصن بن ضمضم بن جناب الكلبي وفاطمة  
أيضا من كلب فشذب بهاتين » وقال في موضع آخر « أم الحويرث هي

هر التي كان يشب بها في أشعاره وهي أخت الحرث بن حصين بن ضمضم من كلب ، وقال عن فاطمة أيضا « إنها بنت العبيد بن ثعلبة من عذرة، وقال صاحب الخزانة عن البسياسة ابنة يشكر « إياها من بني أسد » .  
وإني لأميل إلى الرأي القائل بأن عزيزة لقلب لفاطمة لأن سياق المعلقة يرجح ذلك . كما أنني أميل أيضا إلى الرأي القائل بأن هرا جارية لحر بن عمرو وإحدى سراريه ، لأنه لا يمكنني أن أفهم أن امرأ القيس يصل به الفجش والعهر إلى هذا الدرك المنحط فيشب بزوجة أبيه وهو ابن ملك تأتي عليه أخلاقه ذلك، بل كل الأعراب في إباء مثل هذا سواء ، فإبائنا بأبناء الملوك منهم فما عرف عن العربي في يوم من الأيام أنه اعتدى على حرمة أبيه فتعشق نساءه وزوجاته لأن ذلك سبة وعار كبير ، وغاية ما عرف عن العرب القدامى في مثل ذلك أن الأب بعد موته إن ترك امرأة يكون أكبر أولاد ذلك الرجل من غير تلك المرأة وليا عليها فأن شاء تزوجها وإن شاء عضلها حتى تموت وإن شاء زوجها من غيره وقبض مهرها ولكن زواج الولد بزوجة الأب كان قليلا يستقبحه العرب ولذلك سموه نكاح المقت أما عن غضب حجر على ولده امرئ القيس فسيبه في نظري تلك الجارية (هر) وتشبيهها لأنه بذلك خرج عن حد اللياقة والأدب مع والده مما أغضبه عليه وجعله يمقته ويزدرية ويشرده في البلاد بعد ذلك أضف إلى هذا تلك الحياة الحليمة التي ارتضاها امرؤ القيس لنفسه وأنفها له أبوه وأعود فأقول مهما يكن من شيء فسواء علينا أن تكون هر هذه من نساء أبيه أو جواريه وأن تكون أخت الحصين أو أمه وأن تكون بنت سلامة بن

عند أبو بنت غيره. وسواء علينا أيضا أن تكون فاطمة من بنات عمه أم لا  
فقد عرف عن امرئ القيس أنه كان فاحشا مستهترا في فعله وقوله  
كثير العبث بالنساء كما يعرف عنه أنه قضى زهرة شبابه منعمسا في  
اللهم والمجانة يستتبع صعاليك العرب يغير بهم على الأحياء مما أثار عليه  
حفيظة والده.

وإن اختلاف الرواة والعلماء بالشعر في نسب هر وفاطمة إلى هذا  
الحديث يجعلني أجنح إلى القول برأى جرىء وهو أن اسم (هر) لم يكن علما  
على معشوقة واحدة لامرئ القيس وإنما كان علما على معشوقات وكذلك  
اسم (فاطمة) لم يكن علما على معشوقة واحدة وإنما كان علما على معشوقات  
ويرجح ذلك عندي ما كان من امرئ القيس في شبابه من كثرة تنقله في  
أحياء العرب وجره وراء المجانة والعبث إلى أقصى غاية وأبعد شوط



## منزلة امرئ القيس الشعرية

امرؤ القيس فحل من فحول شعراء الجاهلية ، وعلما البصرة يجعلونه رأس الطبقة الأولى وغيرهم متفق على أنه من الطبقة الأولى وإن كانوا يقدمون عليه سواء فاهل الكوفة يقدمون عليه الأعشى وعلما الحجاز والبادية يقدمون عليه زهيرا والنابغة وابن سلام قد قرنه بزهير والنابغة وأعشى قيس ولكن الغالبية مع امرئ القيس في زعامته وراثته لتلك الحلبة الجاهلية

وقد قيل للفرزدق من أشعر الناس فقال ذو القروح (يعنى امرأ القيس) حيث يقول

وقام جدم بنى أيهم وبالاشقين ما كان العذاب  
ومر لييد بالكوفة في بنى نهد فسألوه من أشعر الناس ؟ فقال الملك  
الضليل ( يريد امرأ القيس ) قيل له ثم من ؟ قال ابن العشرين ( يريد طرفة )  
قيل ثم من ؟ قال أبو عقيل ( يريد نفسه )

وقال سيدنا عمر بن الخطاب للعباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما  
وقد سأله عن الشعراء « امرؤ القيس سابقهم خسف لهم دين الشعر فافتقرت  
عن معان عور أصح بصرأ » وقد شرح السيوطى فى كتابه ( المازهر ) عبارة  
سيدنا عمر فقال خسف لهم من الخسف وهى البئر التى حفرت فى حجارة  
فخرج منها ماء كثير وقوله افتقر أى فتح من الفقر وهو فم القناة وقوله  
عن معان عور يريد أن امرأ القيس من اليمن وأن أهل اليمن ليست لهم فصاحة  
نزار فجعل لهم معانى عورا فتح امرؤ القيس أصح بصر فأن امرأ القيس يمانى

## النسب نزارى الدار والمنشأ

وفضله سيدنا على رضى الله عنه على شعراء الجاهلية بأن قال رأيت  
أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة وأنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة  
وقال الخطيئة امرؤ القيس أشعر العرب حيث يقول  
فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت يذب  
وقيل لكثير من أشعر العرب ؟ فقال امرؤ القيس إذا ركب وزهير  
إذا رغب والنابعة إذا رهب والأعشى إذا طرب  
وقيل لنصيب من أشعر العرب ؟ فقال لم أر لأحدهم الشعر بعد  
امرئ القيس ما لزهير والنابعة والأعشى فى النفوس  
وكان أبو عبيدة يقول افتتح الشعر بامرئ القيس وختم بابن هرمة  
وقالت طائفة . الشعراء ثلاثة جاهلي وإسلامي ومولد فالجاهلي  
امرؤ القيس والإسلامي ذو الرمة والمولد بن المعتز  
وقوم يرون مقدمة الشعر لليمن فى الجاهلية بامرئ القيس وفى الإسلام  
بحسان بن ثابت وفى المولدين بالحسن بن هانىء وأصحابه  
وقال ابن سلام إن امرأ القيس سبق العرب إلى أشياء ابتدعتها  
واستحسنتها العرب وأتبعته فيها الشعراء منها استيقاف صحبة والبكاء على  
الديار ورقة النسب وقرب المأخذ وشبه النساء بالظباء والبيض والخيل  
بالعقبان والعصى وقيد الأوابد وأجاد فى التشبيه . وتلك شهادة من ابن  
سلام لها ما قبلها وعلها ما بعدها



وقال الآمدي في الموازنة «... وبهذه الخلة دون مساواها فضل امرؤ القيس لأن الذي في شعره من دقيق المعاني وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة ، فوق ما استعار سائر الشعراء من الجاهلية والإسلام حتى إنه لا تكاد تخلو له قصيدة وأحدة من أن تشتمل من ذلك على نوع وأنواع ، ولولا لطيف الممانى واحتهاد امرئ القيس فيها وإقباله عليها لما تقدم على غيره وكان كسائر شعراء أهل زمانه ، إذ ليست له فصاحة توصف بالزيادة على فصاحتهم ولا بالأعماظه من الجزالة والقوة ما ليس لألفاظهم ألا ترى أن العلماء بالشعر إنما احتجوا في تقديمه بأن قالوا هو أول من شبه الخيل بالعصى وذکر الوحش والطيور وأول من قال قيد الأوابد وأول من قال كذا وقال كذا فهل هذا التقديم له إلا لأجل معانيه ، ويشهد الآمدي بعد ذلك أن امرأ القيس جمع الفضيلتين فضيلة جمال اللفظ والأسلوب وفضيلة جلال المعنى

وقد ذكّر ابن قتيبة في عيون الأخبار أن قوما قدموا على النبي صلوات الله وسلامه عليه من اليمن فقالوا يا رسول الله أقبلنا نريدك ولكننا ضلنا الطريق ومكثنا ثلاثة أيام بغير ماء فاستظلنا بالطلح والسمر فأقبل علينا راكب متلثم بعمامته فنظر إليه بعض القوم فأعجبه سير الناقة فقال متمثلا بيئين هما

ولما رأت أن الشريعة همها      وأن البياض في فرائصها دامي  
تيممت العين التي عند ضارج      نفىء عليها الظل عر مضها طامي

فقال الرائب من يقول هذا الشعر ؟ فقلنا امرؤ القيس فقال والله ما كذب هذا ضارج عندكم وأشار بيده إليه فجثونا على الركب إلى ماء غدق عليه يطلع والعرض والظل يفيء فشربنا حتى روينا وحملنا منه ما يكفيننا ويبلغنا الطريق . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها ، منسى في الآخرة حامل فيها . بجىء يوم القيامة ويده لواء الشعراء يقودهم إلى النار » وروى ذلك الخبر أيضا الألوسى في بلوغ الأرب وجاء في المزهرة أن النبي عليه الصلاة والسلام قال « امرؤ القيس أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار » يعنى الجاهليين

وقال يونس النحوى قدم علينا ذو الرمة من سفر وكان أحسن الناس وصفا للطير فأختار قول امرئ القيس :-

ديمة هطلاء فيها وطف طبق الأرض تحرى وتدر ١  
تخرج الود إذا ما أشجذت وتواريه إذا ماتعكر ٢  
وترى الضب خفيفا ماها ثانيا برثنه ماينعفر ٣  
وترى الشجرا فى ريقها كرموس قطعت فيها الخمر ٤  
ساعة ثم اتحاهها وابل ساقط الأكناف واه منهمر ٥

١ الديمة المطرة البائسة فى سحبا يوما وليلة . هطلاء مسلة . فيها وطف أى لها حواش وأهداب متدلية من جانبيها حتى لتكاد تمس الأرض وطبق الأرض أى تمم الأرض حتى تصير كالطبق وتحرى أى تتحرى بمعنى تقصد وتعتمد . تدر أى تصب ٢ الود الود . أشجذت أقلعت وكفت . تعكر تشتد ٣ البرثن الأصعب . ماينعفر أى ما يصبه التراب ٤ الشجرا الذابة الكثيرة الشجر . وريقها مستهلها أى أول المطر والخمر جمع خمار وهو ما ينطى ٥ الوجه ٥ اتحاهها قصدتها واعتمدها . والوابل المطر الشديد . والأكناف الواحى والواهى المنتشق . ومنه أى سائل شديد الموقع

راح تمر به الصبا ثم اتحى فيه شؤبوب جنوب منفجر ١  
ثج حتى ضاق عن آذيه عرض خيم فنخفاف فيسر ٢  
قد غدا يحملني في أنفه لاحق الأبطال مخبوك ٣  
وقد قال صاحب شعراء النصرانية إن هذا أحسن شعر جاء في  
وصف الغيث

وحكى البغدادي في خزائنه عن بعض العلماء بالشعر أن امرأ القيس  
أحسن الشعراء ابتداء في الجاهلية حيث يقول :

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي  
وكان امرؤ القيس كثير الأجداد في وصف الفرس حتى لا تكاد نجد  
قصيدة من قصائده تخلو من وصفه ومن أحسن ما وصفه به قوله :

وقد أعتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل  
مكرر مفر مقبل مدبر معا كجلود صخر حطه السيل من عل  
فقوله قيد الأوابد من الألفاظ الشريفة البالغة نهاية الحسن ومنتهى  
الجودة فقد عني بذلك أنه إذا أرسل فرسه على الصيد صار قيذا له وكان  
الصيد بحالة المقيد وذلك من شدة عدو هذا الفرس . وقد ذكر الأصبغى  
وأبو عبيدة وحماد وقبلهم أبو عمرو وذكروا جميعا أنه أحسن في هذا المعنى

---

١ راح أي عاد في آخر النهار تمر به الصبا أي تستدره ريح الصبا وشؤبوب جنوب أي مطر ريح الجنوب وهي  
التي تقابل الصبا وقوله منفجر أي غزير شديد ٢ ثج أي صب والآدى الموج . عرض رحاب وخيم وخفاف  
ويسر أما كن ٣ أنه أي أوله ولاحق الأبطال صامر الخصر والمخبوك المدح الشديد الخلق والممر المقبول  
المعطل غير مترهل اللحم

وأنه اتبع فيه فلم يلحق  
وقد قال خلف لم أر بيتا أفاد وأجاد وساد وزاد وقاد وعاد ولا أفضل  
من قول امرئ القيس  
له أبطالا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل  
فقد شبه أربعة أشياء بأربعة أشياء مع إحسانه في ذلك فما امتاز به  
امرؤ القيس حسن التشبيه ورقته وقد قال بشار بن برد لم أزل أحسد امرأ القيس  
على قوله :

كأن قابو الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي  
حتى قلت  
كأن مثار النقع فوق رموسنا وأسيافنا ليل تهاوى كوابه  
ولكن امرأ القيس قد سبق إلى صحة التقسيم في التشبيه ولم يتمكن  
بشار إلا من تشبيه إحدى الجملتين بالأخرى دون صحة التقسيم  
والتفصيل

ومن بديع تشبيهات امرئ القيس قوله  
وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى  
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكل كل  
ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلي بصبح وما الأصباح منك بأمثل  
فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت يئذبل  
كأن الثريا علقت في مصاءها بأمراس كتان إلى حمم جندل

فأنظر إليه كيف جعل الليل جملا له صدر ، ثقيل تنجيه ، بطيء تقضيه ،  
وجعل له تلكلا ينوء به وأعجازا كثيرة يردفها ، وجعل له صلبا يمتد ويتناول  
ثم بالغ في طول الليل فقال كأن نجومه شدت بحبال إلى جبال فكأنها لا تسير  
ولا تغور . وزاد على جلال هذا المعنى جمال اللفظ والأسلوب

ومن تشبيهاته الحسنة أيضا قوله

كأنني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحى ناقف حنظل  
وقوله

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب  
وقوله أيضا يصف المرأة

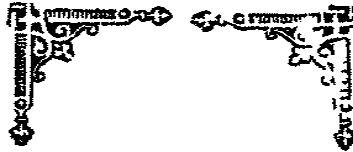
تصد وتبدي عن أسيل وتتقى بناظرة من وحش وجرة مطفل  
وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمعطل  
وفرع هزين المتن أسود فاحم أئيك كقنو النخلة المتعشکل  
غدائره مستشزات إلى العلا تفضل العقاص في مثنى ومرسل  
وكشح لطيف كالجديل منحصر وساق كأنبوب السقى المذلل

ويجب أن نذكر أن خيال امرئ القيس خيال شاعر عاش في البادية بين  
الوهاد والنجد ، والربا والآكام ، والظباء الوادعة والوحوش النافرة ،  
ولكل هذا جمال خاص وجلال يقف على حقيقته من طبع نفسه بطابع البيداء  
وجعلها مرآة لذلك العراء . فلا غرابة بعد هذا إن وجدنا لامرئ القيس  
في بعض تشايبه نزعة لا تروق أهل الحاضرة وسكان الأماصار

ومن أحسن غزل امرئ القيس الذي جمع إلى عدو به اللفظ ذرقة المعنى قوله :  
أفاطم مهلا بعض هذا التذلل وإن كنت قد أزمعت صرعى فأجلى  
أغرك منى أن حيك قاتلي وأنت مهما تأمرى القلب يفعل  
وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل  
وقد ذكر ابن قتيبة أن أشرافا من الناس والشعراء اجتمعوا عند  
عبد الملك فسألهم عن أرق بيت قالته العرب فاجتمعوا على قول امرئ القيس  
وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل  
وقد قال الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن « وأنت لا تشك في جودة  
شعر امرئ القيس ولا ترتاب في براعته ولا تتوقف في فصاحته . وتعلم  
أنه قد أبدع في طرق الشعر أمورا اتبع فيها من ذر الديار والوقوف عليها  
إلى ما يصل بذلك من البديع الذي أبدعه والتشبيه الذي أحدثه والتميح  
الذي يوجد في شعره والتصرف الكثير الذي تضادفه في قوله والوجوه  
التي ينقسم إليها كلامه من صناعة وطبع وسلاسة وعلو ومثانة ورقة وأسباب  
تحمد وأمور تؤثر وتمدح ، وتعرض الباقلاني بعد ذلك إلى معلقة امرئ القيس  
فایتقد منها آياتا كثيرة ليدل بهذا النقد على إعجاز القرآن الكريم  
وأنه فوق مقدور البشر وأن أبلغ شعر للعرب وأفصح كلام لهم لا يمتنع من  
النقص وأنه لا يصل إلى مرتبة القرآن الكريم في بلاغته وفصاحته وجمال  
لفظه وجلال أسلوبه وشرف معناه ونحن نوافق الباقلاني رضى الله عنه على أن  
القرآن في الذروة العليا من البيان العربي وأنه لا يلحق له غبار ولا يدانيه

شيء من كلام العرب وأنه قبيل آخر منقطع النظير فهو وحى يوحى ، نظمه  
مميز ، وأسلوبه مخصص . ولكنى آخذ على الإمام الباقلانى تعسفه فى نقد  
امرىء القيس وغلوه فى ذلك حتى جاوز حد انتقد البرىء فجاء كلامه مختلطاً  
ذا عوج غير مبين وسنبن ذلك مفصلاً عند كلامنا على أوهام نفاذ شعر  
امرىء القيس

وينتهى بنا القول إلى أن امرأ القيس جيد السبك رشيق المعنى قريب  
المأخذ إلا أنه أحياناً تخشن أعضاه وتجنف عباراته



## معلقة امرىء القيس

قال ذلك الشاعر

قفانبك من ذكرى حبيب وهنزل  
فتوضح فالمقراة لم يمف رسمها  
ترى بعرا الآرام فى عرصاتها  
كأنى غداة البين يوم تحملوا  
وقوفا بها صحبى على مطيمهم  
وان شفاىى عبرة مهراقة  
كدأبك من أم الحويرث قبلها  
إذا قامتا تضوع المسك منهما  
ففاضت دموع العين منى صباية  
وقال يصف يوم الغدير

ألا رب يوم لك منهن صالح  
ويوم عقرت للعذارى مطيى  
فظل العذارى يرتمين بلحمها  
إلى أن يقول :

ويوما على ظهر الكشيب تعذرت  
وفىها يقول أيضا مخاطبا ابنة عمه  
أفاطم مهلا بعض هذا التدلل  
وإن كنت قد أزمعت صرمى فأجلى



أغرك مني أن حبك قاتلي وأنتك مهبا تأمرى القلب يفعل  
وما ذرفت عيناك إلا لتضربى بسهميك فى أعشار قلب مقتل  
ثم مضى يقص ما كان منه مع معشوقته ويصفها بقوله :-

وييضة خدر لايرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل  
تجاوزت أحراسا إليها ومعشرا على حراسا لو يسرون مقتلى  
إذا ما الثريا فى السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل  
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفضل  
إلى أن يقول

ألا رب خصم فيك ألوى رددته نصيح على تعذاله غير مؤتل  
ثم خرج من ذلك إلى وصف الليل فقال

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليلتلى ١  
فقات له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وزاء بكل كل  
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وه الأصبح منك بأمثل ٢  
فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت يندبل ٣  
كأن الثريا عنقت فى مصاهها بأمراس كتان إلى صم جندل ٤  
وروى أبو سعيد السكرى بعد ذلك أربعة أبيات عدها من المعلمة وهى

قوله فى وصف الذئب

وقربة أفوام جعلت عصامها على كاهل منى ذلول مرهل ٥

---

١ ليلتى ليحتر ٢ نامتل أى بأفضل ٣ معار الصل شديد العتل ٤ ويردل حمل ٥ مصامها موضع وهوها  
والأمراس الحبال ٥ وصم حدىل أى حجارة صلبة ٥ عصام الفه سرها الذى تحما منه ٥ ذلول مندلل  
وهو على المرسل المومل أى على

وواد بكجوف العير قفر قطعته به الذئب يعوى كالخليع المعيل ١  
فقلت له لما عوى إن شأننا قليل الغنى إن كنت لما تمول ٢  
كلانا إذا مانال شيئاً أفاته ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل ٣  
ولكن الأصمى وأبا حنيفة الدينورى فى كتاب النبات وابن قتيبة فى  
أبيات المعانى رووها لتأبط شرا. والبغدادى عاق على هذه الآيات فى  
خزائنه بأنها أشبه بكلام اللص والصعلوك لا بكلام الملوك

ثم قال امرؤ القيس يصف الفرس

وقد أغتدى والطير فى وكناتها بنمجرد قيد الأوابد هيكل ٤  
مكر مفر مقبل مدبر معا كجلود صخر حطه السيل من عل ٥  
كفيت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل ٦  
على الذبل جيش كأن اهتراه إذا جاش فيه حميه غلى مرجل ٧  
مسح إذا ما السابحات على الونى أثرن الغبار بالكديد المركل ٨  
يزل الغلام الخف عن صهواته ويلوى بأثواب العنيف المشقل ٩  
درير كخذروف الوليد أمره تتابع كفيه بخيط موصل ١٠

١ الخليع الذى خلعه قومه وطرده والمعيل ذو العيال ٢ لما تمول أى لما تصب مالا ٣ أماته أضعه والمراد بالحرف هنا الفعل والسعى ٤ اشدى اخرج أول النهار والمجرد الفرس القصير الشعر والأوابد الوحوش والمراد بهيكل طويل ٥ مكر مفر أى معاود للكر والفر والجلود الصخر الاصم ٦ الفرس الكفيت هو الذى فى لونه حمرة ضاربة إلى السواد والصفواء الصخرة الملساء والمتنزل المطر ٧ الذبل هو الذبول جيش أى يزداد فى الجرى والاهتزاز الصوت والمراد بحميه شدة جريه والمراد بالفرد ٨ مسح كثير الجرى والمراد بالسابحات الخيل والونى الاعياء والكديد ماصاب من الأرض والمركل الذى ركفته الخيل بحميرها ٩ الخف الخفيف الحاذق بالر وب ويلوى يذهب والمراد بالهيف المنقل الذى لا يحسن الركوب ١٠ درير سريع الجرى والخذروف قال البغدادي هم الفرارة التى تلعب بها الصنان بسمع لها صوت

له أبطالا ظي وساقا نعادة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل ١  
ضايح إذا استدبرته سد فرجه يضاف فويق الأرض ليس بأعزل ٢  
كأن على المتنين منه إذا اتحى مدالك عروس أو صلاية حنظل ٣  
كأن دماء الهاديات بنجره عصارة حناء بشيب مرجل ٤  
فعن لنا سرب كأن نعاجه غدارى دوار فى هلاء مذيل ٥  
فأدبرن كالجزع المفصل بينه بجيد معم فى العشيرة مخول ٦  
فألحقنا بالهاديات ودونه جواحرها فى صرة لم تزيل ٧  
فعادى عداء بين ثور ونعجة دراكا ولم ينضح بماء فيغسل ٨  
فظل طهاة اللحم ماين منضج صفيف شواء أو قدير معجل ٩  
ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه متى ماترق العين فيه تسفل ١٠  
فبات عليه سرجه ولجامه وبات بعينى قائما غير مرسل ١١

وقال بعد ذلك يصف البرق والمطر ومرح الطائر وطربها بصفاء السماء  
بعد تسكاب الماء :

١ أبطالا ظي خاصرتيه لانفراجها وإرخاء المرحان سرعة الدثب وانقريب وضع الرجلين الخلفيتين موضع  
الرجلين الأماميتين فى العدو والتفل ولد التعلب ٢ ضليح قوى الأضلاع واستدبرته نظرت اليه من خلف  
والأعزل الذى يميل عظم دبه الى احد الشفين ٣ مدالك العروس الحجر الذى يسحق عليه الطيب لها الصلاية  
الحجر الذى يدق عليه الحنظل وكلاهما يكون صلبا براقا ع الهاديات أوائل الصيد والوحش والمرجل المسرح بالمشط  
ه عن ظهر والسرب قطع البقر والنعاج البقر الوحشية والدوار صنم كانت العرب تنصبه وتدور به والملاء جمع  
ملاء وهى ثوب ذا لفقين والمذبل الطويل الذيل ٦ الجزع الخرز ٧ والجواحر المتخلفات  
والصرة الجماعة لم تزيل أى لم تتفرق ٨ عادى أى والى الجرى دراكا أى سريما ينضح يعرق ٩ الصفيف ترايح  
اللحم المرققة والقدير المطبوخ فى القدر ١٠ متى ماترق العين فيه تسفل أى متى ما ارتفعت عين الناظر الى اعلى خلقه  
تسفلت فبادرت بالنظر الى قوائمه ١١ بات بعينى أى بحيث أراه

أصاح ترى برقاً أريك وهضيه  
يضىء سناه أو مصاييح راهب  
قعدت وأصحابي له بين ضارج  
على قطن بالشهم أيمن صوبه  
فأضحى يسح الماء حول كثيفة  
ومر على القنان من نفيانه  
وتيماء لم يترك بها جذع نخلة  
كأن ثيرا في عرائن وبله  
كأن ذرى رأس المجيمر غدوة  
وألقى بصحراء الغبيط بعاعه  
كأن مكاكى الجواء غدية  
كأن السباع فيه غرقى عشية  
فأنت ترى أنه بدأ هذه القصيدة العالية بما عده الأدباء بحق من أجود

١ الحبي المكلل السحاب المتراكم ٢ السليت الزيت ٣ المعنى في قوله بعد ما منأ على بضم الباء على ما قاله التبريزى  
يا بعد ما تأملت ٤ الشهم النظر إلى البرق وصوبه مطر ٥ كثيفة موهنح يبلاد باهلة وقوله يكب على الأذقان دوح  
الكنهيل أى يقتلع شجر الكنهيل من أصوله وبقية على أم راسه لشد نسجه ٦ القنان اسم جبل لبنى اسد والنفيان  
ما يتطاير من فطر المطر والعصم جمع أعصم وهو الوعل الذى فى احدى دماراض ٧ الاطم العصر ٨ ثبير جبل  
والعرائن الانوف وقد استعيرت هنا لائل المطر والبهاد كساء مخاض ٩ الغناء ماجاء به السيل من الحشيش  
والشجر والكلاء والتراب وغير ذلك ١٠ البعاع الثقل ١١ المكاكى جمع كما وهو ضرب من الطير حسن التفريد فى  
المساح ١٢ الانايش اصول الذات والعنصل الصل البى

مطالع الشعر الجادلى بل الشعر العربى جملة وضربوا بحسنه المثل فقالوا  
أحسن من قفانبك وإن كانوا يريدون القصيدة كلها، وقد جمع فى شطر  
هذا المطلع بين أشياء عدها الناس من أولياته لأنه وقف واستوقف وبكى  
وأبكى معه صاحبه وذاكر الحبيب والمازل ثم جعل يذكر صواحيبه ويصفهن  
بالطيب والنعمة فى عذوبة ورشاقة وأخذ يتحدث عن قصته مع صاحبه  
يوم الغدير وما كان من تحالفه وقسمه الممزوج بمطوعة الشباب وكان فى مثل  
عذوبة السلاف حين رقق الغزل فى قوله :

أغرك منى أن حبك قاتلى وأنك مهما تأمرى القلب يفعل  
وما ذرفت عينك إلا لتضربى بهميك فى أعشار قلب مقتل  
وحين رققه أيضاً عندما وصل إلى وصف الديب والاستهتار فى الحب  
والتعرض للهلكة فى مخاتلة الأحراس الحراس على قتله والفتك به، ثم  
انتحى نحو آخر فى وصف الليل ووصف الفرس بما هو فيه أول بالأجماع  
ثم جرد من الذئب شخصاً خيالاً وخاطبه فى قوة خيال وروعة تصوير  
ثم وصف البرق والمطر وجعل الطيور وهى المكاكى من شدة سرورهن  
بصفاء السماء بعد نزول المطر كأنما شرين سلافاً من رحيق مفلقل وكل هذا  
مفرغ فى ذوب من ماء العربية بين الجزالة والعذوبة . نستطيع أن نحكم بعد  
ذلك على هذه المعلقة بأنها من أجل الآثار التاريخية لتلك الفصاحة العربية

---

(١) يقول صاحب الشهاب الراصد ان قصيدة الفريدى فى أحد أعضاء أكاديمية فرنسافى ( موت الذئب )  
لا تضارع فى مجموعها آيات امرئ القيس ثم يقول ان فكرة الشاعر العربى هى التى اوحى بلاذنى ريب  
إلى الشاعر الفرنسى قصيدته الشبيبة

في ذلك العصر الجاهلي وهي في جملة أغراضها وأوصافها ونسيبها وكناياتها  
المثال الذي احتذى عليه الشعراء بعده وجعلوه رئيس فخروهم والمقدم عليهم  
غير مدافع في ذلك وليس في شعراء الجاهلية من نشعر بقوة شخصيته في  
شعره مثل امرئ القيس وهو يعتبر من شعراء العالم الذين طبقت شهرتهم  
الآفاق ، ولئن جاز في عقل أحد أن يشك في شيء من أشعار الجاهلية  
ليكونن امرؤ القيس آخر من يتطرق إليهم الشك أو تتصل بحياتهم التهمة  
ولقد روى شعره ثمانية من ثقة الرواة ودونوه وتناولوه بالنقد والشرح وهم  
أبو عمر بن العلاء وأبو سعيد الأصمعي وابن السكيت وأبو عباس الأحول  
وأبو عبيده وأبو سعيد السكري ومحمد بن حبيب وخالد بن كلثوم وتناوله  
أيضا العلماء المستشرقون ونقدوه وحلّوه وهؤلاء جميعا لم يمكنهم أن ينكروا  
شعر امرئ القيس ولا شخصيته ويكفي أن نذكر شهادة المستشرق (نيكلسون)  
لهذه المعلقة فقد قال « أما معلقة امرئ القيس فقد تسابق النقاد  
الأوربيون إلى التعنى بجمال تعبيرها والتحدث بفاخر تصويرها وحلاوة تدفق  
أبيانها وسحر تمثيلها المنوع ومما زاد إعجابهم بها ذلك الشعور بأفراح الحياة  
وتمجيد الشباب الذي أوحى إلى الشاعر معانيها الخلابه ومبانيها البالغة أعلى  
درجات الفصاحة » أما ما ذهب إليه الدكتور طه حسين من إنكار شعر  
امرئ القيس وشخصيته فسند هذا الرأي وبنين وجه الخطأ فيه في فصل  
مقبل إن شاء الله تعالى

## رأينا في المعلقة

قال ابن قتيبة « كان امرؤ القيس طرده أبوه لما صنع بالشعر بفاطمة  
ما صنع وكان لها عاشقا فطلبها زنا فلم يصل إليها وكان يطلب غرة حتى  
كان منها يوم الغدير بدارة جلجل ما كان ، فقال قفانبك من ذكرى حبيب  
ومنزل فلما بلغ ذلك حجراً أباه دعا . ولى له يقال له ربيعة فقال له اقتل  
امراً القيس واتنى بعينيه فذبح جوذرا فأتاه بعينه فندم حجر على ذلك فقال أبيت  
اللعن إني لم أقتله قال فأتنى به فانطلق فإذا هو قد قال شعر آفي رأس جبل وهو قوله:  
فلا تتركني ياربيع لهذه      وكنت أراني قبلها بك وانقا

فرده إلى أبيه فنهاه عن قول الشعر ، ثم إنه قال ألا عم صباحا أيها  
الطلل البالي فبلغ ذلك أباه فطرده فبلغه مقتل أبيه بدمون ،

ومن تلك الرواية التي تحدث بها ابن قتيبة نعلم أن امرأ القيس قد قال  
معلته وقصيدته الثانية ( ألا عم صباحا أيها الطلل البالي ) في أيام شبابه  
ولهوه قبل أن يغالبه القدر وينازعه الدهر وعلى هذا فنحن ندرس هاتين  
القصيدتين على أنهما تمثلان امرأ القيس في طوره الأول طور الشباب

أما قصة الغدير فقد قالت الرواة في أنبائها إن امرأ القيس كان عاشقا  
لعنيزة ابنة عمه شرحيل وكان قد منع من الاجتماع بها وحيل بينه وبينها  
خربيا على مألوف العرب في عدم تمكين العاشق من الاجتماع  
بمعشوقته وعدم تزويجه إياها وأيضا لأن امرأ القيس كان مهتكا مشهورا  
بالفواحش ، ولكنه كان يمني نفسه بملاقاتها والوقوف بين يديها يتمتع

نظره برؤيتها ويستمتع إلى حديثها العذب المشتهى وشاء القدر أن يظعن  
حيهما وكان من عادة العرب في ظعنهم أن يتقدم الرجال وتتبعهم النساء  
فتخلف امرؤ القيس عن الرجال وتربص يترقب النساء مستخفيا حتى ظعن  
فمشى على إثرهن وهن لا يشعرن به . وكان في طريق الظاعنين غدير  
يسمى دارة جلجل من منازل كندة بنجد فلما ورد العذارى هذا الغدير  
نضون عن جسومهن ثيابهن ونزلن إلى الماء يستحمن وكانت فيهن عنيزة  
فبرز إليهن امرؤ القيس من مكمنه وجمع ثيابهن وجلس عليها فلما شعرن  
به وأدركن مكيدته تضرعن إليه وتلطفن في المقال معه لعله يعطين ثيابهن  
فأقسم أنه لن يعطى واحدة منهن ثيابها حتى تخرج إليه عارية فخاصمته  
ساعات من النهار فأبى إلا إبرارا بقسمه ووفاء بيمينه وأستمسك بهذا  
وأصر فخرجت إليه أوقحن فرمى إليها ثيابها ثم تتابعن عليه ولم يبق في  
الغدير إلا عنيزة معشوقته فأقسمت عليه وتوسلت إليه أن يعدل عن شرطه  
فأبى مطاوعتها وقال لها لا بد لك من أن تفعلى مثل ما فعلن وما زال بها حتى  
خرجت إليه وهى عارية فأبى أن يعطيها ثيابها إلا إذا رآها مقبلة مدبرة  
ففعلت فدفعت إليها ثيابها فلبستها ثم اجتمعت عليه النسوة وأخذن في عذله  
وتعنيفه على تلك الفعلة الشنعاء وقلن له لقد جوعتنا وأخرتنا عن الحى فقام  
إلى ناقتة فعقرها لهن وجمعت الأمام الحطب وأوقدن النار وطفق النسوة  
يشوين اللحم ويأكلن إلى أن شبعن وكانت مع امرئ القيس ركوة من  
خمر فسقاهن منها . ولما تأهبن للرحيل قسمن أمتعته بينهن فحملنها على



رواحلهم ولم يكن لعنيزة نصيب من هذا المتاع وبقي امرؤ القيس ولا  
مركب له فقال لعنيزة لا بد لك من أن تحمليني وألحت عليها صواحبها أن تحمله  
على مقدم هودجها فحملته مرغمة فجعل يدخل رأسه في الهودج يقبلها  
ويغازلها ويحادثها أحاديث الهوى والصبابة ثم نظم هذه المعلقة وذكر في  
أثنائها تلك القصة

ومهما يكن من تحدث الرواة عن يوم الغدير وجعله سببا لتلك المعلقة  
فالباعث الحق على هذه القصيدة هو اللهو والعبث والرغبة في قول الشعر  
لأنها لم تقتصر على النسيب والتشبيب بل تناولت عدة فنون وأغراض وذلك  
معناه أن الباعث على تلك القصيدة إنما هو الرغبة في الشعر بمختلف فنونه  
جريا على سنة الشعراء في أشعارهم

ولا مرية في أنها من شعر امرئ القيس أيام الشباب أيام زهوه بخفض  
العيش وخلو قلبه من هموم الحياة وأثقالها التي أناخت عليه بكلكلها بعد  
موت أبيه .

والمؤثرات في تلك القصيدة هي مناظر تلك الأماكن التي رادها والمياه  
التي وردها والصحارى التي ضرب فيها والجبال التي شاهدها حيث الدخول  
وحومل وتوضح والمقراة ودارة جابل وبطن خبت ووجرة وظبي ودوار  
وضارج والعذيب وقطن والستار ويذبل وكثيفة والقمزان وتيما وثبير  
والمجير وصحراء الغبيط . يدل على ذلك قوله :-

قفانبك من ذكر حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها      لما نسجتها من جنوب وشمال  
وقوله :-

الأرب يوم لك منهن صالح      ولا سيما يوم بدارة جليل  
وقوله :-

لما أجزنا ساحة الحى وانتحى      بناطن خبت ذى حفاف عقنقل  
وقوله :-

تصد وتبدي عن أسيل وتتقى      بناظرة من وحش وجرة مطفل  
وقوله :-

تعطو برخص غير شثن كأنه      أساريع ظبي أو مساويك إسحل  
وقوله :-

فيالك من ليل كأن نجومه      بكل مغار القتل شدت يئذبل  
وقوله :-

فعن لنا سرب كأن نعاجه      عذارى دوار فى ملاء مذبل  
وقوله :-

قعدت وأصحابى له بين ضارج      وبين العذيب بعد ما متأمل  
على قطن بالشيم أيمن صوبه      وأيسره على الستار فيئذبل  
فأضحى يسح الماء حول كثيفة      يكب على الأذقان دوح الكنهبيل  
ومر على القنان من نفيانه      فأنزل منه العصم من كل منزل  
وتياء لم يترك بها جزاع نخلة      ولا أطما إلا مشيدا بجندل

كأن ثبيراً في عرائن وبله كبير أناس في بجاد مزمل  
كأن ذرى رأس المجير غدوة من السيل والغناء فلكة مغزل  
وألقى بصحراء الغبيط بعاعه نزول اليماني ذى العياب المحمل  
أما أغراض تلك القصيدة فأربعة :-

أولها التشبيب بالنساء حتى يقول :-

تسلت عمايات الرجال عن الصبا وليس فؤادى عن هواها بمنسل  
وثانيها الشكوى ووصف الليل وطوله إلى قوله . -

وقد أعتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل  
وثالثها وصف الخيل والصيد إلى قوله :-

أصاح ترى برقاً أريك وميضه كلعع اليمين في حبي مكلل  
ورابعها وصف الغيث وسيوله حتى ينتهي إلى قوله . -

كأن السباع فيه غرقى عشية بأرجائه القصوى أنابيش عنصل  
وقد أطال في الغرض الأول لأنه شاب ناعم مترف أحب شيء إليه النساء  
وأعذب حديث عنده ذكرهن فجمال القول له فيهن واسع . وأقل في الثاني  
لأن الشكوى من المعانى التي لا يهتم بها مثله في ذلك الحين لأنه إذ ذاك لا يشعر  
بشيء ينغص عليه عيشه ويكدر صفوه فهو لا يطيل القول في شيء لا يحسه  
وأطال في الثالث حتى قرب من الأول لأن ركوب الخيل عند الفتيان لذة  
تكاد تعدل حب النساء والهيام بهن ولا سيما عند أمثال امرئ القيس  
وأما الغرض الرابع فإنه كان فيه وسطاً بين الثاني والثالث في الكثرة لأنه وإن

يكن من ضروب اللذات لما فيه من لهو وطرب إلا أنه في نفس ذلك الشاعر  
الفتى لا يعدل حب النساء والخيل فلم يبعد الشوط فيه إبعاده فيهما على أنه  
أظهر لنفسه فيه ميزة لا يلحقه فيها شاعر إذ كان كالمصور الماهر أخذ ريشه  
التصوير ورسم بها على لوحة الخيالة الناطقة ما أوحته إليه شاعريته وأملاه  
عليه خياله في وصف تلك الطبيعة ثم عرضها على سمعك وبصرك معا، وهو  
في وصفه للمرأة والفرس أيضاً فارس لا يلحق غباره

وما امتازت به هذه القصيدة أن كلماتها متجانسة متجاذبة أخذ بعضها  
بحجز بعض حتى أنك إذا بدأت بأول كلمة في البيت تتابعت على مسمعك  
بقية الكلمات قبل أن تكلف لسانك نطقها، فاعرض أي بيت شئت على سمعك  
تجد له رنة موسيقية وحلاوة إيقاع وإن تحس إلا ما ذكرت لك .  
ولقد أظهر امرؤ القيس في هذه القصيدة نعمة النبلاء وترف السادة  
المالكيين كقوله .

فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المقتل  
وقوله أيضاً .

فظل طهارة اللحم ما بين منضج صفيق شواء أو قدير معجل  
ولأعجاب المتأخرين بفاخر تصوير امرئ القيس في معلقته وتقديرهم  
لجمالها وجلالها وتذوقهم لعذوبة ألفاظها وروعة معانيها كان بعضهم  
يضمن أبياتها وأشطارها في قصائدهم ومن هؤلاء صلاح الدين الصفدي الذي  
قال بخاطب ابن نباتة المصري مضمنا بعض المعلقة

أفى كل يوم منك عتب يسوءنى  
وترمى على طول المدى متجنيا  
فأمسى بليل صاح جنح ظلامه  
وأعدو كأن القلب من وقدة الجوى  
وسالت دموعى من هموعى ولوعتى  
إذا عاين الأخوان ما بنى من الآسى  
ترفق ولا تجزع على فائت الوفا  
ولى فيك ود طالما قد شدته  
فكر على جيش الجناية عائدا  
تجد خفرات الأنس منها كواعبا  
وخل الجفا وارجع إلى معهد الوفا  
حلا ودك الماضى وإن لم تعد أعد  
ومنهم أيضا ابن نباتة المصرى الذى قال يرد على قصيدة صلاح

الدين الصفدى

فطمت ولائى ثم أقبلت عاتبا  
بروحى ألقاظ تعرض عتبا  
فأحييت ودا كان كالرسم عافيا  
تعفى رياح العذر منك رقومه  
نعم قوضت منك المودة وانقضت  
أمولاي لا تسلك من الظلم والجفا  
( أفاطم مهلا بعض هذا التدلل )  
( تعرض أثناء الوشاح المفصل )  
( بسطة اللوى بين الدخول فحومل )  
( لما نسجتها من جنوب وشمال )  
( فيا عجبا من رحلها المتحمل )  
( بنا بطن خبت ذى حقاف عقتقل )

## ماتمثلة القصيدة

### من أحوال الاجتماع

أول ماتعطيه القصيدة من أحوال الاجتماع أن الشاعر يشب فيم  
بنساء من البدو حياتهن بين الحل والترحال ، وسكنى الخيام بين الجبال  
والآكام على أنهن كن على شيء من النعمة التي نراها في هذه الأيام من  
نحو النوم إلى الضحى ونض الثياب عند النوم إلا لبسة المتفضل وتعطير  
الفراش بالروائح العطرة ويظهر ذلك في قوله

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها    تؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل  
وقوله . -

بجئت وقد نضت لنوم ثيابها    لدى الستر إلا لبسة المتفضل  
وأن الملابس عند الأعراب أيام امرئ القيس كانت على شيء من  
الرقش مثل الذي نراه الآن يؤخذ ذلك من قوله . -

خرجت بها أمشى تجروراءنا    على أثرينا ذيل مرط مرحل  
فذلك يعطيك أن ثوبها وهو المرط كان مرقشا بصورة رحال الأبل كما  
تفعل مناسب أوربا اليوم في نقش الصور المختلفة على الثياب  
ومن ذلك عاداتهم في الميسر لقوله

وماذرفت عيناك إلا لتضربى    بسهميك فى أعشار قلب مقتل  
ومنها أن نساء العرب كن يصفرن بعض شعورهن ويرسلن بعضه يؤخذ  
ذلك من قوله

وفرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعشك  
غدائره مستشزرات إلى العلا تضل العقاص في مثنى ومرسل  
وأن الرهبان كانوا أشهر الناس بأيقاد المصاييح وإشعالها يبين ذلك  
في قوله

تضىء الظلام بالعشاء كأنها منارة مسمى راهب متبتل  
وقوله :

يضىء سناه أو مصاييح راهب آمال السليط بالذبال المقتل  
وأن ألوان النساء الحسان في تلك الجهات يياض تقاينه صفرة كنساء  
أهل مصر الوسطى اليوم ، ومن أدواتهن السجنجل ، يؤخذ ذلك من قوله :

مهفهفة ييضاء غير مفاضة ترائها مصقولة كالسجنجل  
كبكر المقناة البياض بصفرة غذاها نيمر الماء غير المحلل  
ولعب أطفالهم بالخذروف ( لعبة الخيطين والزر ) قال :  
درير كخذروف الوليد أمره تتابع كفيه بخيط موصل  
والخضاب بالخناء قال :

كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مرجل  
والالتحاف بالملاء قال

فعن لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار في ملاء مذيل  
وتقليد أطفالهم العقود ونسائهم الوشح المفصلة بالذهب قال  
إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل

وقال أيضا

فأدبرن كالجزع المفصل بينه بجيد معم في العشرة مخول  
وأنهم كانوا يشوون اللحم على الطريقة المعروفة اليوم ( البفتيك )  
وهو صفيف الشواء في قوله

فظل طهاة اللحم ما بين منضج صفيف شواء أو قدير معجل  
ولبسهم البجاد وهو العباءة المخططة قال

كأن ثيرا في عراقين وبله كبير أناس في بجاد مزمل  
وأن تجار الأقمشة يرتحلون في بيعها من مكان إلى آخر في الأحياء  
والقبائل وأن البنيين هم الذين اشتهروا بالتجارة يؤخذ ذلك من قوله  
وألقى بصحراء الغبيط بعاعه نزول اليماني ذى العياب المحمل  
وأنهم كانوا يعلقون التمام للأطفال قال

فمثلك جبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذى تمام محول  
وأنهم كانوا يستعملون الحرير قال

فظل العذارى برتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المقتل  
وأنهم كانوا يستعملون المغازل يغزلون عليها الخيط قال

كأن ذرى رأس المجيمر غدوة من السيل والغناء فلكة مغزل  
وغير ذلك من الشؤون المختلفة والأمور الكثيرة التي سجلوها أدب  
القصيدة على من يطالعها بأمعان ، وإنما جئنا بنموذج في ذلك على ما اقتضاه  
نظر التاريخ والأدب



## قصيدة امرئ القيس الثانية

( ألا عم صباحا أيها الطلل البالي )

قال ذلك الشاعر التاريخي العظيم

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي

وهل يعمن إلا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت بأوجال ١

وهل يعمن من كان أحدث عهده ثلاثين شهرا في ثلاثة أحوال

ديار لسلمى عافيات بذى الخال ألح عليها كل أسحم هطال

ثم استمر في غزله الفاحش وتشبيهه وجعل يصف معشوقته ويذكر

موقفا من مواقمه معها إلى أن يقول

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى ولست بمقل الخلال ولا قالى

ثم خرج من ذلك إلى ذكر صبوته وفتوته ونبله فقال

كأننى لم أركب جوداً للذة ولم أتبطن كأعبا ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لخيلى كرى كرة بعد إجمال ٢

ولم أشهد الخيل المغيرة بالضحى على هيكل نهد الجزيرة جوال ٣

ثم انتقل من ذلك إلى الصيد ووصف فرسه وتشبيهه بالعقاب في شدة

هويه وسرعة كره فقال

١ المخاد الذى ابطأ عنه الشيب أو هو الصبي الذى أندس القرط والأوجال جمع وجل وهو الخوف ؛ اسبأ أى

اشترى والروى الذى يروى من ثمره ٣ المراد بالهيكل الفرس العظيم ونهد الجزيرة أى غليظ عصب القوام

والجوال السريع فى كره وكره

سليم الشظاعبل الشوى شنج النساء  
وصم صلاب مايقين من الوجى  
وقد أعتدى والطيرفى وكناتها  
تحاماه أطراف الرماح تحاميا  
بعجلزة قد أترز الجرى لحما  
ذعرت به سربا نقيا جلوده  
كأن الصوار إذ يجاهدن غدوة  
نخر لروقيه وأمضيت مقدا  
فعادى عداا بين ثور ونعجة  
كأنى بفتحاء الجناحين لقوة

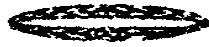
له حجبات مشرفات على الفال ١  
كأن مكان الردف منه على رال ٢  
لغيث من الوسمى رائده خال ٣  
وجاد عليه كل أسحم هطال ٤  
كमित كأنها هراوة منوال ٥  
وأكرعه وشى البرود من الخال ٦  
على جمد خيل تجول بأجلال ٧  
طوال القرا والروق أخنس ذيال ٨  
وكان عداا الوحش منى على بالى  
صيود من العقبان طأطأت شمال ٩

١ الشظى عظم لازق بالذراع عبل الشوى أى غليظ عصب اليدين والرجلين والشنج المنقبض والنساء عرق من الفخذ الى الكعب ومتى كان الفرس شنج النساء لم تسترخ رجلاه وهذا دليل العتق . والحجبات رموس عظام الوركين الفال والغائل ايضا عرق عن يمين عجب الذنب أى اصله وعن يساره ٢ المراد بالصم الصلاب حوافر الفرس ويقين يهبن والوجى الحفا او اشد منه والردف الراكب خلف الراكب والرال فرخ النعام ٣ المراد بالنيث الكلاء على سبيل المجاز والوسمى اول مطر الخريف والرائد الباحث عن الكلاء والخالى الذى يكون فى الخلال ٤ الاسحم السحاب الأسود والهطال الماطر السال ٥ العجلزة الفرس الشديدة وترز ايبس والكमित الفرس التى لوسها بين السواد والحرة والمراوة الامرا والمنوال خنسة تسمع عليها وينتد عليها التوب وقت النسخ وانما حصا هراوة المنوال لأنها لا تتخذ الا من اصاب الخشب وهذا وجه الشبه ٦ الاكرع جمع كراع وهو مستدى الساق والخال صرب من برود العين الموشاة ٧ الصوار هو السرب والقطع من بقر الوحش والجمد المكان الصاب المرتفع والاجلال جمع جل ٨ الروق القرن وطوال بمعنى طويل والقرى الظهر والخنس المنخفض قصبة الأنف والذبال طويل القد والذيل المتبختر فى مشيته ٩ فتحاء الجناحين عقاب لينة الجناحين طويلتهدا والقوة السريعة التى تحتطف كل شئ وصيود أى حادقة فى الصدمه تادته طأطأ فرسه أى نحره فتخذه وحر كهو الشمال الفرس السريعة

تخطف خزان الشربة بالضحي وقد حجرت منها ثعالب أورال ١  
كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى  
ثم ختمها بما يطلبه أمثاله من أبناء الملوك من مجدد وسؤدد فقال  
فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليل من المال  
ولكنها أسعى لمجد مؤثـل وقد يدرك المجد المؤثـل أمثالى  
وما المرء مادامت حشاشة نفسه بمدرك أطراف الخطوب ولا آلى  
فهذا الحديث المترقق فى ماء الحلاوة والرقـة فيما يشبه أن يكون قصصا  
شعريا ، وتلك السلاسة والتدفق المعجب ، وهذه الفتوة ولطافة المخالعة ،  
وذلك الابتكار فى التشبيه ، وهذه اللذات العجيبة التى وصفها من الركوب  
والشراب والديب والعشق ، هى امرؤ القيس فى حياة صبوته . وامرؤ القيس  
فى ذلك الوقت هو هذه الأشياء أو هو ذلك الشعر الذى لم تشهده جزيرة  
العرب قبل هذا الأمير السادر فى بجموحة الترف وظلال النعم والمملك

---

١ الخزان جمع لخزول والخزول ذكر الأرنب والشربة موضع وحجرت بالبناء للمجهول أى منعت فلا تخرج  
من الخوف وأورال موضع



## رأينا في قصيدة امرئ القيس الثانية

سبق أن قلنا إن هذه القصيدة قالها امرؤ القيس في طوره الأول وهو في شبابه قبل مقتل أبيه ، وأنها جاءت بعد المعلقة بشهادة ابن قتيبة ويؤيدنا في ذلك قوله فيها

ألا زعمت بسباسة اليوم أننى كبرت وألا يحسن السر أمثالى  
فهو لم يتعرض لذكر الكبر ولا لتعيير النساء له به في المعلقة وهذا مما  
يصح اعتباره دليلا على أن هذه القصيدة جاءت بعد المعلقة  
ولقد ذكر بعض المؤرخين كصاحب معاهد التنصيص أن ابنة قيصر  
أحبت امرأ القيس وأحبها وراسلها فأجابته إلى ما سأل وذلك حيث يقول لما  
وصل إليها

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسى ليدىك وأوصالى  
والبستانى أورد ذلك أيضا في دائرة معارفه ولعله نقله عن معاهد  
التنصيص وإنى لا أعجب من هذا أشد العجب فأين ابنة قيصر في هذه القصيدة  
وأين منها في قوله بعد البيت السابق

وقد علمت سلمى وإن كان بعلمها بأن الفتى يهذى وليس بفعال  
فالمرأة التى يتحدث عنها امرؤ القيس اسمها سلمى وهى ذات بعل فلا  
شك أنها إحدى خليلاته من نساء الأعراب ويؤيد هذا قوله قبل ذلك  
تتورتها من أذرعات وأهلها ييثر ب أذنى دارها نظر عال  
فأهل تلك المعشوقة كانوا حلولا ييثر ب وهى المدينة فضلا عن هذا

أن ابن قتيبة ذكر أن امرأ القيس قال هذه القصيدة قبل مقتل والده أى قبل رحلته إلى قيصر

فالحق أن أصحاب هذا الرأى مخطئون فى زعمهم وأن هذه القصيدة قالها امرؤ القيس قبل مقتل حجر وقبل أن يرحل إلى القسطنطينية وقبل أن يتصل بقيصر وابنته كما يزعمون والقصيدة فى سياقها من أولها إلى آخرها تنهض حجة لنا وعليهم فليس فيها ما يشتم منه رائحة ابنة قيصر بل القصيدة فى جملتها وتفصيلها تقطع بفساد هذا الرأى وتنفيه نفيا باتا

أما الباعث على تلك القصيدة فهو اللهو العام والعبث والرغبة فى قول الشعر ، والمؤثرات التى ظهرت آثارها فى هذه القصيدة هى عين المؤثرات التى تآثر بها فى المعلقة لأن الأماكن التى ذكرها هنا فى هذه القصيدة هى من معاهد البلاد التى جاء ذكرها فى المعلقة فذو الخال جبل مما يلي نجد من ناحية البحرين وكذلك وادى الخزامى من أودية البحرين وأوعال هضبة هناك بالقرب منها الدخول وحومل وتوضح والمقراة وأيضا أزرعات بالشام حيث قطن والستار ويذبل وكذلك الشربة وأورال فى بلاد غطفان وكذلك يثرب وهى المدينة من البلاد التى ضرب على أقدامه فيها . ويظهر أثر هذه المعاهد فى قوله

ديار لسلى عافيات بذي الخال      ألح عليها كل أسحم هطال

وفى قوله أيضا

وتحسب سلى لاتزال كعهدنا      بوادى الخزامى أوعلى رأس أوعال

وكذلك فى قوله

تورتها من أذرعاء وأهالها بيثرت أدنى دارها نظر عال

وفى قوله

تخطف خزان الشربة بالضحى وقد حجرت منها ثعالب أورال

أما أغراض هذه القصيدة فائنان

أولها التشبيب بالنساء إلى أن يقول

كأنى لم أركب جوادا للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

وثانيهما الصيد ووصف الفرس حتى يقول

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى

وبعد ذلك انتهى به القول إلى ما يتطلبه مثله من مجدد وسؤدد

ودرجة هذه القصيدة من البلاغة على سنته المعروفة من الابتداع

وجودة التشبيه من نحو قوله

إذا ما استحمت كان فيض حميمها على متنتها كالجمان لدى الحالى

وقوله

سموت إليها بعد مانام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال

وقوله

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى

وتمتاز هذه القصيدة بظهور أثرها بينا فى شعر عمر بن أبى ربيعة فى قصيدته

التي مطلعها

أمن آل نعم أنت غاد فبكر غداة غمد أم رائح فهجر  
وقد ذكر صاحب كتاب (شرح شواهد الـكشاف) شيئاً من غزل قصيدة  
امرئ القيس ثم علق عليه بعد ذلك بقوله إنه أورد هذه الأبيات لحلاوة  
الفاظها ولطافة فحواها ثم قال إن قصيدة عمر بن أبي ربيعة ( أمن آل نعم )  
مشابهة لقصيدة امرئ القيس بمعناها مشابهة اليوم للأمس ومطابقة لها  
مطابقة الخمس بالخمس

ومن تأثر بهذه القصيدة من المتأخرين وأعجب بها ابن عبدون الأندلسي  
فقد قال مضمناً شطورا منها في دار أنزله بها المتوكل بن الألفطس وكان  
سقفها قديماً فهطل عليه منها المطر

أيا ساميا من جانبيه إلى العـلا ( سمو حباب الماء حالاً على حال )  
لعبدك دار حل فيها كأنها ( ديار لسلى عافيات بنى الخال )  
يقول لها لما رأى من دثورها ( ألا عم صباحاً أيها الطلل البالى )  
فقلت ولم تعباً برد جوابه ( وهل يعمن من كان في العصر الخالى )  
فر صاحب الأنزال فيها بعاجل ( فأن الفتى يهذى وليس بفعال )

وأما أخلاق امرئ القيس في هذه القصيدة فالتهتك والفجور والفحش

بدرجة أشد منه في المعلقة وقد شهد هو على نفسه بالفجور فيها فقال

حلفت لها بالله حلقة فاجر لنا موا فإنا من حديث ولاصال

## صفات امرئ القيس وأخلاقه

في شيء من أخباره وحوادثه

كان امرؤ القيس جميل الوجه ، طلق المحيا حسن البزة ، وسيم الحلقة وقد ذكر بعض الرواة أن ابنة قيصر عشقته وعشقها لحسنه وجمالها حتى أضغى يرأسها ويختلس غفلة من أبيها فتأتيه ويأتيها قال ذلك ابن قتيبة وصاحب معاهد التنصيص

ولقد شهد ابن سلام على امرئ بأنه كان عاهرا فاحشا في شعره ومسلکه قال « كان من الشعراء من يتأله في جاهليته ويتعفف في شعره ولا يستهتر بالفواحش ولا يتهم في الهجاء ومنهم من كان يبغى على نفسه ويتعبر ومنهم امرؤ القيس والأعشى »

وقد وقفنا على شيء من هذا الفحش وذلك العهر عند دراسة معلقته وقصيدته الثانية « ألا عم صباحا أيها الطلل البالي » حتى لقد صور إلينا هذا الشاعر في شعره امرأة بلغت من الجمال غايته ومن الحسن نهايته ثم أبرزها إلينا في تلك الصورة البارعة الفاتنة نروح علينا وتغدو عارية

ولقد روى الجاحظ في البيان والتبيين أن سائلا سأل أبا القيس ما أطيب، عيش الدنيا فقال « بيضاء رعبوبة ، بالطيب مشبوبة ، بالشحم مكروبة » ولئن صح ما قاله الرواة عنه يوم الغدير ليكون هذا أبعد غايات العهر وأقصى درجات الفحش ويكفي أن يشهد هو على نفسه بالفجور في قوله :



حلفت لها بالله حلقة فاجر      لناموا فما إن من حديث ولا صاك

وأى قول أفسح من قوله

فتملك حبلى قد طرقت ومرضع

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له

وقوله

هصرت بفودى رأسها فتمايات

أو قوله

سموت إليها بعد ما نام أهلها

وقوله

إذا ما الضجيج ابتزها من ثيابها

كحقف النقا يمشى الوليدان فوقه

وقوله يصف قلف قيصر وكان قد دخل معه الحمام فرآه على ما تحدث

به الرواة

إني حلفت يمينا غير كاذبة

بأنك أقلب إلا ماجنى القمر

إذا طعنت به مالت عماءته

أو قوله يصف موفها من موافف صبوه

يعز عليها ريبتى ويسوءها

بعثت إليها والنجوم ضواجع

فخاءت فطوف المشى هامة السرى

بكاه فتنى الجيد أن يتضوعا

حذارا عليها أن تهب فنسمعا

بدافع ركنها كواعب أدبعا

يزجينا مشى الزيف وقد جرى صباب الكرى في مخها فتقطعا  
تقول وقد جردتها من ثيابها كما رعت مكحول المدامع أتلاعا  
وجدك لو شيء أتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا  
تصد عن المأثور بيني وبينها وتدنى عليّ السابري المضلعا  
إذا أخذتها هزة الروح أمسكت بمنكب مقدم على الهول أروعا  
وما أجمل تصويره للمرأة في قوله

وإذ هي تمشى كمشى الزيف يصرعه بالكشيب البهر  
برهرة رودة رخصة كخرعوبة البانة المنفطر  
فتور القيام قطع الكلام تفتت عن ذى غروب خصر  
كأن المدام وصبوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر  
يعل به برد أنيابها إذا طرب الطائر المستحر

وامرؤ القيس وإن وسبها جميلا فاحشا عاهرا يشبب بالنساء ويعبث بهن  
إلا أنه كان مفركا فقد روى الميداني عن المفضل الضبي أن امرأ القيس  
ابن حجر الكندي كان رجلا مفركا لا تحبه النساء ولا تكاد امرأة تصبر  
معه فتزوج امرأة من طيء فابتنى بها فأبغضته من تحت ليلتها وكرهت مكانها  
معه فجعلت تقول يا خير الفتيان أصبحت أصبحت ! .. فيرفع رأسه فينظر  
فإذا الليل كما هو فتقول المرأة أصبح ليل . فلما أصبح قال لها قد علمت  
ما صنعت الليلة وقد عرفت أن ما صنعت كان من كراهية مكاني في نفسك  
فإذا كرهت مني ؟ فقالت ما كرهتك ، فلم يزل بها حتى قالت كرهت منك

أنك خفيف العجز ، ثقيل الصدر ، سريع الأراقة ، بطيء الأفاقة . فلما سمع ذلك منها طلقها وذهب قولها « أصبح ليل ، مثلاً يضرب في الليلة الشديدة التي يطول فيها الشر

وفي نزهة ذوى الكيس والموشح أن تلك المرأة هي أم جندب زوجة امرئ القيس الطائية وأنه لم يطلقها بعد أن أبانت له ماكرهته منه وأنها لم تزل عنده حتى أتاه علقمة بن عبدة فتذاكرا الشعر عندهما فقال هذا أنا أشعر وقال هذا أنا أشعر ثم تحاكما إليها فقالت لهما قولاً شعراً على روى واحد وقافية واحدة يصف فيه كل منكما فرسه وينعت الصيد فقال امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها

خليلي مرابي على أم جندب لنقض لبانات الفؤاد المعذب  
وقال علقمة قصيدته التي مطلعها

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم يك حقا كل هذا التجنب  
فقالت المرأة لامرئ القيس علقمة أشعر منك لأنك زجرت فرسك  
وحررته بساقك وضربته بسوطك ورأيت علقمة أدرك الصيد ثانياً من  
عنانه بمر كمر الرايح المتحلب . فغضب عليها امرؤ القيس وقال لها ليس كما  
قلت ولا كنتك هويته ثم طلقها فتز وجها علقمة بعد ذلك وقد جاء في بعض  
الأهوال أنه سعى علقمة الفحل لهذا

وسأل امرؤ القيس مرة إحدى نساءه عما يكره النساء منه فقالت إنك  
إذا عرقت فحت يريح كلب فقال أنت صدقتي ، إن أهلي أدرعوني لن كلب

ولم تُصبر عليه من زوجاته إلا امرأته من كندة وكان أكثر ولده منها  
أما ذكاء هذا الشاعر وحدة خاطره وسرعة بديهته فنحن نقف على ذلك  
في شعره وفيما ذكره الرواة فقد قص علينا علي بن ظافر ( صاحب كتاب  
بدايع البداية ) في أنبائه قصة ذكرها غيره أيضا كصاحب شعراء النصرانية  
واحتج بها الأستاذ ( أحمد أمين ) في كتابه فجر الإسلام على ما كان عند  
أغراب الجاهلية من الألغاز والأحاجي التي استعملوا فيها الشعر . ولئن صحت  
تلك القصة وصدق علي ومن تابعه فأنها تنشر بين أيدينا صحيفة من ذكاء هذا  
الشاعر الخالد . أنظر إليه وقد أقبل عليه عبيد بن الأبرص يسأله ما معرفتك  
بالأوابد ؟ فقال قل ماشئت تجدني يا أحببت فأخذ عبيد يلقي عليه ألغازا في  
أبيات من الشعر وأمرؤ القيس يحل تلك الألغاز على البديهة في شعر أيضا  
وتلك مقدرة فائقة وذكاء متوقد نعهدهما في فتي كندة

قال عبيد

ما حية مية قامت بميتها درداء ما أنبتت سنا وأضراسا

فقال امرؤ القيس

تلك الشعيرة تسقى في سنا بلها فأخرجت بعد طول المكث أكدا سا

فقال عبيد

ما الأسود والبيض والأسماء واحدة لا يستطيع لهن الناس تمساسا

فقال امرؤ القيس

تلك السحاب إذا الرحمن أرسلها ، ويها من محول الأرض أباسا

فقال عبيد

ما مرتجات على هول مراكبها

يقطعن طول المدى سيرا وأمراسا

فقال امرؤ القيس

تلك النجوم إذا حانت مطالعها

شبهتها في سواد الليل أقباسا

فقال عبيد

ما القاطعات لأرض لا أنيس بها

تأتي سراعا وما يرجعن أنكاسا

فقال امرؤ القيس

تلك الرياح إذا هبت عواصفها

كفى بأذيالها للترب كناسا

فقال عبيد

ما الفاجعات جهارا في علانية

أشد من فيلق مملوءة باسا

فقال امرؤ القيس

تلك المايا فما ييقين من أحد

يكفتن حمقى وما ييقين أكياسا

فقال عبيد

ما السابقات سراع الطير في مهل

لا يشتكين ولو طال المدى باسا

فقال امرؤ القيس

تلك الجياد عليها القوم قد سبجوا

كانوا لهن غداة الروع أحلاسا

فقال عبيد

ما القاطعات لأرض الجوفى طلق

قبل الصباح وما يسرين قرطاسا

فقال امرؤ القيس

تلك الامانى يتركز الفتى ملكا      دون السماء ولم ترفع له راسا

فقال عبيد

ما الحاكوم بلا سمع ولا بصر      ولا لسان فصيح يعجب الناسا

فقال امرؤ القيس

تلك الموازين والرحمن أنزلها      رب البرية بين الناس مقياسا

وقد روى صاحب الأغاني عن محمد بن القاسم حديث الحق لا حديث

الباطل كما يقول فقال

إن امرأ القيس آلى بألية ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة

وثنتين فجعل يخطب النساء فأذا سألن عن هذا قلن أربعة عشر فبينما هو

يسير في جوف الليل إذ هو برجل معه ابنة له كأنها البدر ليلة تمامه فأعجبته

فقال لها يا جارية ما ثمانية وأربعة واثنتان فقالت أما الثمانية فأطباء الكلبة

وأما الأربعة فأخلاف الناقة وأما اثنتان فنديا المرأة فخطبها إلى أبيها فزوجه

إياها وشرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال فجعل لها

ذلك ، وعلى أن يسوق إليها مائة من الأبل وعشرة أعبد وعشر وصائف

وثلاثة أفراس ففعل ذلك ثم إنه بعث عبداً له إلى المرأة وأهدى إليها نحيا

من سمن ونحيا من عسل وحلة من قصب فنزل العبد ببعض المياه فنشر

الحلة ولبسها فتعلقت بشعره فانشقت وفتح النحيين فأطعم أهل الماء منهما

ففقصا ثم قدم على حى المرأة وهم خلوف فسألها عن أبيها وأمها وأخيها

ودفع إليها هديتها فقالت له أعلم مولاك أن أبى ذهب يقرب بعيدا ويبعد

قريبا وأن أحي ذهبت تشق النفس نفسين وأن أخي يراعى الشمس وأن  
سما كم انشقت وأن وعاء يكمن نضبا فقدم الغلام على مولاه فأخبره، فقال امرؤ القيس  
أما قولها إن أبى ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا فإن أباه ذهب يحالف قوما  
على قومه، وأما قولها ذهبت أحي تشق النفس نفسين فإن أمها ذهبت تقبل  
امرأة نساء، وأما قولها إن أخي يراعى الشمس فإن أخاها فى سرح له  
يرعاه فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به، وأما قولها إن سما كم انشقت  
فإن البرد الذى بعثت به انشق، وأما قولها إن وعاء يكمن نضبا فإن النحيين  
الذين بعثت بهما نقصا، فأصدقنى ! .. فقال يا مولاي إني نزلت بماء من مياه  
العرب فسألونى عن نسبي فأخبرتهم أنى ابن عمك ونشرت الحلة فانشقت  
وفتحت النحيين فأطعمت منهما أهل الماء . فقال أولى لك . ثم ساق مائة من  
الأبل وخرج نحوها ومعه الغلام فنزلا منزلا نخرج الغلام يسقى الأبل  
فعجز فأعانه امرؤ القيس فرمى به الغلام فى البئر، وخرج حتى أتى حى المرأة  
بالأبل وأخبرهم أنه زوجها فقيل لها قد جاء زوجك فقالت والله ما أدري  
أزوجى هو أم لا ؟ ! انحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذبها ففعلوا  
وأكل، فقالت اسقوه لبنا حازرا وهو الحامض فسقوه فشرب، فقالت  
افرشوا له عند الفرث والدم ففرشوا له فنام . فلما أصبحت أرسلت إليه  
إنى أريد أن أسألك، فقال سلى عما شئت . فقالت مم تختلج شفتاك ؟ قال  
لتقبيلى إياك . قالت فمم تختلج كشحاك ؟ قال لا لتراعى إياك . قالت فمم  
يختلج نغزاك ؟ قال لتوركى إياك . قالت عليكم بالعبد فشدوا أيديكم به

ففعّلوا . ومر قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر فرجع إلى حيه فاستاق مائة من الأبل وأقبل إلى امرأته فقيل لها قد جاء زوجك فقالت والله ما أدري أهو زوجي أم لا ؟ ولكن انحروا له جزورا فاطعموه من كرشها وذنبا ففعّلوا فلما أتوه بذلك أبي أن يأكل وقال وأين الكبد والسنام والملحاء ؟ فقالت اسقوه لبنا حازرا فأبى أن يشربه وقال فأين الصريف والرثيثة . فقالت افرشو له عند الفرث والدم فأبى أن ينام وقال افرشوا لي فوق التلعة الحمراء واضربوا لي عليها خباء . ثم أرسلت إليه هلم شريطتي عليك في المسائل الثلاث فقال لها سلى عما شئت فقالت له مم تختلج شفتاك ؟ قال لشربي المشعشات ، قالت مم تختلج لشحاك ؟ قال للبسي الحبرات قالت فمم يختلج ، فخذاك قال لركضى المطيات . قالت هذا زوجي لعمرى فعليكم به واقتلوا العبد ، فقتلوه وتزوج امرؤ القيس بالمرأة

ونحن وإن كنا نأخذ بالحیطة في شأن هذه القصة فلا ندعيها حديث الحق لا حديث الباطل إلا أنه قد يكون لها نصيب من الصحة في جملتها لا في تفصيلها وهي إن صحت - وهذا ما نشك فيه - تدل على أن امرأ القيس ينشد في زوجته وشريكة حياته الجمال والدكاء ، كما يبدو في خلاها أيضا ذلك الشاعر حين فهم المراد من رسالة خطيبته مع مولاه وخادمه ، ونلح فيها أيضا شمه ونبله حين عاف أن يأكل الكرش والذنب ويشرب حازر اللبن وينام على الفرث والدم ، وأبى إلا أن يكون الكبد والسنام والملحاء له طعاما والصريف والرثيثة له شرابا ، ولم ينم إلا على فراش فوق التلعة



الجرء وقد ضرب عليها خباء . ونقف أيضا على نبه وعزه عندما أخذت  
زوجته تاقى عليه مسائلها وهو يجيها بشرب المشعشات ولبس الخبرات  
وراض المطيات على حين غيره جعل نفسه فخا يناع على الابل تختلج  
شفتاه من تقيلها وكشحا من التزامها وفخذاه من توركها

وليس أدل على شجاعة امرئ القيس وإقدامه من تلقيه لنعى أبيه بجأش  
رابط وقلب ثابت لم يعرف إليه الجزع سيلا ثم إيلائه على نفسه بعد ذلك  
أن لا سكر ولا خمر ولا لهو ولا طرب حتى يثأربا أبيه من بنى أسد ، وهب  
إليهم فأنهل سيفه من دمائهم وأعله وصاح فيهم صيحة قذفت عاليهم  
على سافلهم

يطعنهم سلكى ومخلوجة كرك لامين على نابل

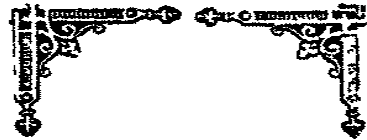
بعد ذلك أباح لنفسه ما كان منع فقال

حلت لى الخمر ولنت امرأ عن شربها فى شغل شاغل  
قاليوم أسقى غير مستحقب إثمنا من الله ولا واغل  
وكان امرؤ القيس شديد الظنة فى شعره كثير المنازعة لأهله مدلا فيه  
بنفسه محبا للظهور على أقرانه كارها أن ينتصر عليه غيره . قابل التوأم  
اليشكرى فقال له إن كنت شاعرا فأجز أنصاف ما أقول فقال التوأم  
فل ماشئت

فقال امرؤ القيس : أصاح ترى بريقا هب وهما

فقال التوأم كئار مجوس تستعر استعارا

فقال امرؤ القيس : أرقت له ونام أبو شريح  
فقال التوأم إذا ماقت قد هداً استطارا  
فقال امرؤ القيس كأن هزيمة بورا غيب  
فقال التوأم عشار ولها لاقت عشارا  
فقال امرؤ القيس فلما أن علا كنفى أضاخ  
فقال التوأم وهت أعجاز ريقه فخارا  
فقال امرؤ القيس فلم يترك بذات السرظيا  
فقال التوأم ولم يترك بجلهتها حمارا  
وتلك الحكاية رواها أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء وقد ذكر أن  
امراً القيس لما رأى بماتنة التوأم له آلى على نفسه ألا ينازع أحدا بعده  
ولو نظرنا إلى الكلامين كما يقول ابن رشيق في عمدته لو وجدنا التوأم  
أشعر في شعرهما هذا لأن امرأ القيس مبتدىء ماشاء هو في فسحة مما أراد  
والتوأم محكوم عليه بأول البيت مضطر في القافية التي عليها مدارهما جميعا  
ومن ههنا والله أعلم عرف له امرؤ القيس من حق الماتنة ما عرف



## عقيدة امرىء القيس الدينية

قبل أن نأخذ في دراسة عقيدة امرىء القيس نلم بشيء من بيئته الدينية ونذكر في حدود الأيجاز ما كانت عليه ديانات العرب في ذلك العصر الجاهلي فقد كانت عقيدتهم واهنة ، ودينهم شتى ، ونحلهم مختلفة ، ومذاهبهم متباينة فجاء الإسلام والنزعات الدينية لديهم ترجع إلى ثلاثة أصول كان لها الأثر الأكبر في نظمهم الاجتماعية ، وحياتهم العقلية ، وفي أخلاقهم وعاداتهم وهذه الأصول الثلاثة هي اليهودية والنصرانية والوثنية والأخيرة كانت الدين الغالب إذ ذاك حتى عم انتشارها جل أصقاع الجزيرة العربية . فالعرب القدامى منهم الصائبة عبدة الكواكب والأجرام السماوية . ومنهم عبدة الأوثان والأصنام ، ومنهم عبدة الملائكة والجن.... فالشمس معبودة حمير ، والقمر والدبران إلهان ثنائة ، والمشتري إله الحنم وجزام ، وسهيل إله طيء وعطارد إله أسد ، واللوات إله ثقيف ، ومناة إله هذيل وقضاة ، وود إله بني كلب... وغير ذلك من الكواكب والأصنام التي اختلفت بعبادتها قبائل بأعيانها . وإنه ليطول بنا القول إن نحن أسندنا إلى كل قبيلة إلهها وتقصيدنا جميع أسماء تلك الآلهة ، وعلى الجملة فقد جعلت العرب آلهة في الشمس والقمر والشعري والثيا والجوزاء والجدى والحمل والدرار وسهيل والمشتري والعبور وعطارد... ومن أصنامهم ود وسواع ويعوث ويعوق ونسر واللوات والعزى ومناه والهبل الأكبر وأساف ونائلة وغيرها مما ورد ذكره في كتاب الأصنام . وكان في الكعبة تمثالان

لأبراهيم الخليل وولده إسماعيل وكل منهما قابض على نبال الحكمة  
ومعرفة المستقبل

ومن شعائرهم الدينية القرابين يذبحونها على النصب ويتزلفون بها إلى  
أصنامهم وآلهتهم ، وكانوا يحجون ويعتصرون ويحرمون ويطوفون  
ويسعون بين الصفا والمروة ملبين إلا أن كثيرا منهم كان يشرك في تلييته  
وكانوا يقفون مواقف الحج كلها ويهدون الهدايا ويرمون الجمار ويعظمون  
الأشهر الحرم فلا يكون فيها عدوان ولا قتال إلا قبائل طيء وخثعم  
وبعض بني الحارث بن كعب فأنهم ما كانوا يحرمون ولا يعتصرون ولا  
يحرمون الأشهر الحرم ولا البلد الحرام

ويقال إن عمرو بن لحي أول من أدخل عبادة الأصنام إلى بلاد العرب  
وإنه أتى بها من اللقاء حين خروجه إلى الشام في بعض شأنه

أما اليهودية فشعائرها وتعاليمها تستمد من التوراة وأشعار العهد القديم  
والتلمود وبقية الأسراليات ، وقد دخلت تلك الديانة بلاد العرب لقربها  
من فلسطين مهد هذا الدين وأيضا لأن اليهود طالما نزحوا إلى بلاد  
العرب مما يلي بلادهم إما فرارا من القتل وإما التماسا للرزق وقد سكن كثير  
منهم بلاد العرب فانتشر دينهم حتى بلغ بلاد اليمن في أيام ذي نواس  
الحميري وفي السيرة لابن هشام أن اليهودية دخلت بلاد اليمن على عهد تبع  
وأن بعض القبائل العربية في غير هذا الأقليم قد عرفت هذا الدين قبل عهد تبع  
والنصرانية مرجعها الإناجيل ورسائل الحواريين والمهد الأول لهذا

الدين بلاد فلسطين المتاخمة للجزيرة العربية ولذلك نرى أن المسيحية تدخل بلاد العرب ، وفوق ماتقدم - على ما يقولون - فإن القديس توما دان أول من بشر بها في بلاد اليمن كما بشر بها بولس الرسول في أطراف الشام وما تاخامها فاعتنقها كثيرون من عرب الحيرة وغان وكندة وغيرهم وفي سيرة ابن هشام أن أول من بشر بهذا الدين في نجران من بلاد العرب فيميون وحواريه عبد الله بن الثامر ولما اضطهد النصارى في القرنين الثالث والرابع في مختلف الأقطار التي ناوت المسيحية هاجر فريق منهم إلى بلاد العرب وأقاموا فيها

وقد قال أستاذى الدكتور « العنانى » فى محاضراته عن تاريخ الفلسفة العربية إنه ليس فى شعائر الأسرائيليين والمسيحيين ولا فى كتبهم شىء من مجهود العقل العربى بخلاف الوثنية العربية فأن أساطيرها وليدة الفكر العربى وإن كان فى أصل نشأة الكثير منها عامل النقل والتقليد

والعقائد الوثنية العربية غير محكمة التأسيس وغير قائمة على نظريات عقلية واضحة أو معتقدات عامة شاملة ، فقد اختلفت وجهة نظرها فى المبدأ الأول أو الخالق فتارة تركز على أساس من التوحيد وتقول بأله واحد هو الألب وأن الآلهة الأخرى ليسو سوى وسيلة يتوسل بها إليه وأن عبادتها لا يقصد بها سوى التقرب من ذلك الواحد الأحد والزلفى إليه ، وطورا وهو الشائع تخص كل إله بنفوذه الخاص وتطلب عبادته لذاته وهى مع ذلك فى حالة إضطراب فى أمر المعاد فتراها أحيانا دهرية لا يهلكها

إلا الدهر وليس النشر عندها بعد الموت سوى حديث خرافة . كما نراها في مواطن متعددة تؤمن بالبعث والنشور والثواب والعقاب وكما أن الوثنية كانت غير قائمة على نظريات عقلية واضحة كانت أيضا غير مهذبة النواحي والتكزين العام لهذا لم تصل إلى تكوين ديانة راقية نوعا ما تهذب النفوس وتؤثر في تحديد نظم الاجتماع شأن الوثنيات الأخرى لدى قدماء المصريين والجرمان واليونان والرومان و كان من جراء ذلك أن بقيت القبائل العربية بدوية في حياتها الاجتماعية محافظة على أخلاقها وعاداتها المكتسبة من طبيعة البلاد معتزة بمجد القدماء وشرف القبيلة جانحة للغزو والسلب وسفك الدماء لأوهى الأسباب

وقد كانت مقاليد الوثنية العربية وأزمة أساطيرها بيد الكهنة والعرافين فكان العرب يعتقدون في الكاهن أنه قديسهم الديني وقدوتهم الصالحة وعالمهم الحكيم الذي يرجع إليه في أمر الخصومات وتحديد المعاملات وهو طبيهم القادر على شفائهم فكانوا يتلقون عنه أصول الشريعة وقواعد الدين ويستفتونه في كل ما يشكل عليهم ويستنبئون عنه عن مستقبلهم وهم في ذلك يؤمنون إيمانا صادقا بكل ما يقول لأن قوله عندهم غيب ووحى حق يصل إليه عن الأرواح المشرفة على أسرار الطبيعة والتي تظهر أحيانا في الأصنام . وكانت للكهانة عند العرب لغة خاصة تمتاز بنوع من السجع الغريب المؤثر وتعرف بالغموض والتعقيد لتكون صالحة لكل ما سيحدث وقادرة على صدق الدعوى بأن ما حدث إنما هو ما تنبأت به وأشارت إليه

وقد اشتهر في العرب عدد كبير من الكهان كشق وسطيح وخنافر  
الحيرى وسواد بن قارب الدوسى . ومن الكهان من كان ينسب إلى قبيلته  
أو بلده ككاهن قريش وكاهن حضرموت وشاع ذلك على الخصوص في  
العرافين كالأباق السعدى عراف نجد ورباح بن عجلة عراف اليمامة فقد  
ذرها عروة بن حزام بدون اسم في قصيدته التي مطلعها  
خليلي من عليا هلال بن عامر بصنعاء عوجا اليوم واتطرائى  
حيث يقول

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد إن هما شفيانى  
وأیضا نبغ في الكهانة والعرافة عند العرب عدد كثير من النساء  
ككاهنة اليمى التي أنذرت بخراب سد مأرب ومجىء سيل العرم وزبراء  
وسليمى الحيرية وفاطمة الخثعمية وزرقاء اليمامة وغيرهن من ذوات التجارة  
والاحترام

وعلى حاشية هذه الأديان الثلاثة ساق القدر إلى الجزيرة العربية دينا  
طفيليا لم يلق من العرب رواجاً ولم يجد منهم نفوساً تصلح لنمائه وانتشاره  
ذلك الدين هو دين الزندقة ومهده الأول بلاد الفرس ويعرف بدين  
المزدكية نسبة إلى الزنديق مزدك ذلك الرجل الفارسى الذى وجد على عهد  
قباد وانتحل هذا الدين وذهب فيه إلى إباحة الأموال والنساء والمتاع  
وجعل الناس شركة فيها فهو دين إباحى اشتراكى . وقد قدمنا عند كلامنا  
على ( أسرة امرئ القيس ) أن كسرى قباد تعصب لمزدك ودعا الناس إلى

اعتناق مذهبه وحمل رجاله على التشيع له راجيا أن يستولى بذلك على مافى  
أيدى رعيته من الأموال والمتاع وكان ممن شايعه من العرب الحارث  
الكندى جد امرىء القيس وملك لئدة فحمل هذا الدين إلى البلاد العربية  
لامقتنعا به ولا راضيا عنه ولكن لأمر سياسي وشهوات خاصة بسبب  
ماكان بينه وبين المنذر ملك الحيرة الذى حاق به مكر قباذ وشرده فى البلاد  
حين ازور عن دين مزدك ونأى بجانبه ولم يتشيع لمبادئه

على أن هذا الدين لم يكد يتجاوز عتبة الجزيرة العربية ويخطو فيها  
خطوة يسيرة حتى نكص على عقبيه وأرتد خائبا مدحورا فقد فعلت فيه  
السياسة أفاعيلها فقضت عليه وهو فى مهده فأن قباذ أكبر أشياع المزكية  
أدرسته منيته وجلس بعده على عرش الكسروية ابنه أنوشروان وكان  
ساخطا على هذا الدين وصاحبه وأشياعه ، فكان نصيب قباذ القتل مع طائفة  
كبيرة من المزدكيين وكان نصيب الحارث الكندى التشرذ فى البلاد

وتتم

ولفسرغ إلى القول فى عقيدة امرىء القيس الدينية بعد أن أخذنا  
بيدك وتخطينا بك القرون ثم طوفنا بك فى أنحاء الجزيرة العربية وأوقفناك  
على ماكان فيها من نحل ومذاهب ، وأهواء وعقائد . فهاودين امرىء القيس  
بين ذلك ياترى ؟ أكان على النصرانية أم دان بالمزكية أم اعتنق الوثنية  
أم اتلمى إلى اليهودية ؟

أما تهود ذلك الشاعر العظيم فلم يقل به أحد ولم يقم عليه أى دليل



فلم يبق إلا أن يكون نصرانيا أو مزدكيا أو وثنيا ، آراء ثلاثة قال بها الباحثون  
ولكل حجة يدلى بها ودليل يستند إليه ويعتمد عليه

فأما أصحاب وثنيته فأهم تستندون إلى تسميته وإلى حادثة من حداثته  
قالوا إن اسمه امرؤ القيس وقيس صنم من أصنام الجاهلية فيكون المعنى  
إنسان القيس أو عبد القيس كما يقال عبد اللات وعبد العزى وفي هذا -  
على زعمهم - دلالة على وثنية هذا الشاعر . ومن أدلتهم أيضا ملرواه  
الإغاني وغيره من أن امرأ القيس حين خروجه لغزو بني أسد مر بتبالقوفها  
صنم تعظمه العرب يقال له ذو الخلصة فاستقسم عنه بقداحه الثلاثة إلا امر  
والناهي والمتربص قالوا ولو لم يكن امرؤ القيس وثنيا لما استقسم بهذه  
القداح عند ذلك الصنم

وذا نك رهايان مردودان فأن « قيس » وإن كان من أسماء أصنام عرب  
الجاهلية إلا أنه جاء في القاموس واللسان والتاج وغيرها من معاجم اللغة  
أن ( القيس الشدة ومنه امرؤ القيس أى رجل الشدة ) وورد في أشعار  
العرب أيضا لفظة قيس بمعنى الشدة قال الشاعر :

وأنت على الأعداء قيس ونجدة وللطارق العافى هشام ونوفل  
وعلى ذلك يكون معنى امرؤ القيس أو عبد القيس عبد الشدة كما يقال  
عبد الجبار وعبد الفوى وعبد الحق وعبد المنين وغير ذلك من أسماء المعاني  
التي تصدق على الله سبحانه وتعالى ويضاف إليها كلمة عبد ولهذا جوز  
الأصمعي أن يقول في روايته للمعاقمة ( يا امرأ الله فانزل ) بدل ( يا امر

القيس فانزل ) لأن المعنى في نظره واحد ولو لا ذلك لما اختار الأصمعي تلك الرواية التي تمنع اللبس وتفرق بين قيس الصنم وقيس بمعنى الشدة على أننا لو سلمنا أن المراد من قيس الصنم فأن ذلك لا ينهض حجة على وثنية هذا الشاعر لأن استنباط الديانات من الأسماء قد لا يكون له قيمة ولا يوصل إلى نتيجة فأننا نرى بين المسلمين الآن من يتسمى بعبد الرسول فهل معنى ذلك أنه يعبد الرسول ولا يعبد الله ، وقد نجد أسماء مشتركة بين المسلمين والنصارى واليهود كأبراهيم وهوى فلم لا يكون الأمر كذلك في الجاهلية ؟ ولقد تسمى جد النبي عليه الصلاة والسلام في الجاهلية بعبد المطلب ومع ذلك فهو لم يكن يعبد عمه المطلب بن عبد مناف القرشي ولا سولت له نفسه ذلك ولا جال بخاطره شيء من هذا ، فضلا عن كل هذا فأن لا مرء القيس عم اسمه عبد الله وفي ذلك كاه ما يقرع توهمهم ويسقط دليلهم

أما عن دليلهم الثاني فيكفى لأبطال زعمهم أن امرأ القيس لما أجال القداح ثلاث مرات وخرج له الناهي في كل مرة جمعها وحطمها ثم قذف بها في وجه الصنم وقال له « مصصت بظر أمك لو أبوك قتل ماعقتني » فلو كان امرؤ القيس ممن يعبد الأصنام ويعظمها لما ألقى بالقداح في وجه الصنم ولا سبه ذلك السباب المقذع

أما استقسامه بالقداح فأنه فعل ذلك أخذاً بعادات الجاهلية ومثل تلك العادة شائعة الآن بين كثير من الأمم الراقية ذات الأديان السماوية

أما عن الرأي الثاني وهو مزدكية امرئ القيس فزعيمه « الأب أنستاس الكرملي » الذي ذهب في مجلة المشرق إلى أن امرأ القيس كان على دين مزدك واستند في ذلك إلى ما وقع لهذا الشاعر مع النساء من تطلق وزواج وما ارتكبه من الفواحش وإلى أن المزدكية كانت تستحل كل منكر سوى القتل وبعض أمور لا يؤبه لها وأورد قول ابن النديم في الفهرس بأن مزدك زعيمهم أمرهم بتناول اللذات والانعكاف على بلوغ الشهوات والأكل والشراب والمؤانسة والاختلاط وترك الاستبداد بعضهم على بعض ولهم مشاركة في الحرم والأهل لا يمنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمنعه . وقال بعد ذلك أنستاس إن المزدكيين مرءون في دينهم فهم وفاقون كل من يصادفهم بدون أن يبينوا له ماهية دينهم ولكونهم كانوا مبغضين من الجميع لم يدع امرؤ القيس في أشعاره ما يشتم منه رائحة مذهبه وجعل أنستاس أكبر دليل له على مزدكية امرئ القيس. أن جده الحارث اعتنقها أيام كسرى قباذ ولم يذكر عن امرئ القيس ولا عن أبيه ما يشعر بأن واحدا منها ترك دين الحارث، وتمسك بأهداب دين آخر كلام وجيه ولكنه غير خالص في الحق والرد عليه أوجه ومناقضته ألد وأعذب فأن استناد أنستاس إلى سيرة امرئ القيس وأعماله تلك السيرة التي لا يستحلها دين مستقيم ليس كافيا للدلالة على مزدكية ذلك الشاعر وإلا صح أن يقول إن أبا نراس ومن على شاكلته من شعراء المجون في الجاهلية والأسلام كانوا على دين مزدك ثم إن مزدك على ما رواه الطبري

والشهرستاني وابن الاثير وغيرهم كان ينهى عن قتل الحيوان زعما منه أن ذلك من الكبائر وأن الاقتيات لا يجوز إلا من النبات ولكن امر القيس كان على غير ذلك فلقد كان صائدا ماهرا نصف ديوانه في وصف خروجه لصيد الأوابد وقتص الوحوش وتعاطى لحومها. أما عن إفراط امرئ القيس في الزواج فإنه فعل ذلك جريا على عادة العرب في الزواج بأكثر من زوجة وكذلك تابع العرب في استباحة الطلاق وليس في ذلك حجة على من يقول بنصرانية امرئ القيس فأن بعض فرق النصارى تبيح الطلاق والزواج مرارا

أما عن مزدكية جده الحارث فأننا نعلم أنه اعتنقها على عهد قباد وبعد أن شب ونشأ على دينه القديم اعتنقها لأغراض سياسية حتى يستولى على الحيرة وينزل عن سريرها منافسه المنذر وكان سبيله إلى ذلك أن يشاع قباد على ما يبتغيه والغاية تبرر الوسطة ، على أن بعض المؤرخين ذكر أن قباد نفسه لم يعتنق هذا المذهب إلا لأغراض سياسية وأطاع قامت بنفسه وهي أن يصل إلى مافي أيدي رعيته وأتباعه من الأموال والمتاع فقد كان أعيان الفرس وأشرفهم يحرزون أموالا كثيرة وعقارات كبيرة القيمة فأراد قباد أن يستعين بهذا المذهب على مشاركتهم فانتحله وتعصب لصاحبه ، فقباد اعتنق هذا المذهب لأغراضه وشهوته وتابعه عليه الحارث الكندي لأغراضه وشهوته أيضا فآذا زال السبب زال المسبب فأن قباد قد توفي وتولى بعده ابنه أنوشروان وعاد المنذر إلى عرشه على الحيرة

وشرد الحارث في البلاد فلم يعد في حاجة أن يظهر بمظهر ديني يخالف عقيدته الأولى التي نشأ عليها آباؤه منذ الطفولة فلا بد أنه قد ارعوى عن ضلاله ورجع عن غوايته أما غضب أنو شروان عليه فما كان إلا اتصارا وتعصبا للمنذر الذي أحبه أنو شروان حبا جما وأيضا لما كان قد أضمره من بغض شديد للحارث منذ كان على عهد والده الذي كان أنو شروان ساخطا على مسلكه ومسلك من كان من أعوانه وشيعته، وما نسي أنو شروان حادثة قباز مع أمه ويوم قبل الأرض بين يدي ذلك الزنديق الفاحش

ومهما يكن من شيء فأن الحارث كان وقت اعتناقه للزردكية ملكا على كندة والحيرة وابنه حجر كان بمنأى عنه فقد كان ملكا على بني أسد وملحقاتها وإنه ما كان لحجر ولا لامرئ القيس غرض يبتغيانه من وراء اعتناق هذا المذهب الذي شهد عليه أنستاس نفسه بأنه كان مبغضا من الجميع ولذلك فنفسهما لا تحدهما يوما من الأيام باعتناق مبادئه ولقد كان الحارث نفسه مرآيا في عقيدته التي ظهر بها أمام قباز لائه حاكم مسلط والناس على دين ملوكهم والسياسي الحازم من لبس لكل حالة لبوسها ثم إننا نعلم تلك الحروب الطاحنة التي أثارها امرؤ القيس مطالبا بثأر أبيه ونعلم أيضا تلك المواقع الحربية التي كانت بين عميه سلمة وشرحيل والتي قتل فيها كثير من الأئفس وأنجحت عن قتل سلمة وشرحيل مع أن المزديكية تحرم القتل والحرب فقد قال الشهرستاني في الملل والنحل « كان

مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال فأحل النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيها ، ذلك مذهب مزدك الاجتماعى الذى يحرم القتل وسفك الدماء فأين أثر ذلك الدين فى نفس امرئ القيس وفى نفس عمومته وهم أصحاب تلك الحروب المبيرة ، وما يدل أيضا على أن المزدكية لم تتغلغل فى قلب الحارث نفسه ولم يعتنقها اعتناق المؤمن الموقن وإنما كان مرائيا فى تظاهره بها وتشيعه لها تلك الحروب التى قام بها الحارث نفسه فى بلاد العرب يبنى بها إذلال منافسيه والقضاء عليهم . على أن هذا المذهب المزدكى لم يلق بين العرب رواجا ولا يكاد يعرفه منهم أحد لأن العربى لا يرضى لنفسه أن يباح عرضه وماله وهو صاحب الشمم والآباء والعزة والائتفة المضروب بها المثل

فلا يمكن بعد هذا أن يكون امرؤ القيس مزدكيا ولا بد أنه كان نصرانيا . ولقد عده الآب لويس شيخو فى شعراء النصرانية . وليس أدل على نصرانية هذا الشاعر من أننا نجد فى شعره كثير من إقراره بالله وقدرته وحسابه وغير ذلك من عقائد النصارى والأديان السماوية التى لا يعرفها ولا يقرها الوثنى ولا المزدكى وإنما يقول بها من كان متألها فامرؤ القيس هو القائل :

أرى لىلى والحمد لله أصبحت      ثقالا إذا ما استقبلتها صعودها  
وقال أيضا :

اليوم أسقى غير مستحقب إنما من الله ولا واغل  
وقال :

والله أنجح ماطلبت به والر خير حقية الرجل  
وقد قال النعالي في كتابه الأعجاز والأيجاز هذا يدت من جوامع الكلم  
فأن فيه الاستتجاح بالله ومدح البر والحث عليه

وقال امرؤ القيس أيضا

تلك الموازين والرحمن أنزلها رب البرية بين الناس مقياسا  
حين سأله عبيد بن الأبرص  
ما الحاكمون بلا سمع ولا بصر ولا لسان فصيح يعجب الناسا

وقال أيضا

تلك السحاب إذا الرحمن أرسلها روى بها في محول الأرض أياسا  
عند ما سأله عبيد

ما السود والبيض والأسماء واحدة لا يستطيع لهن الناس تمسسا  
وفي شعر امرئ القيس كثير من الأشارات النصرانية فمن ذلك قوله في

مصاييح الرهبان

نظرت إليها والنحوم كأنها مصاييح رهبان تشب لقفال  
وقوله

تضىء الظلام بالعشاء كأنها منارة مسمى راهب متبتل  
وقوله

يضيء سناه أو مصاييح راهب أمال السليط بالذبال المفتل  
ومن ذلك أيضا قوله في مصاحف الرهبان  
أتيت جججبعدى عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان  
وقال يصف كلاب صيد قد أدركت قنيصة ذا كرا أن حاج بيت المقدس  
يتبرك بثوبه ولدان النصارى ومثل تلك العادة لا يعرفها إلا من نشأ في  
بيثة نصرانية

فأدر كنه يأخذن بالساق والنسا كما شبرق الولدان ثوب المقدس  
وقال ذا كرا الأران وهو تابوت النصارى  
وعنيس كألواح الأران نسأتها على لاحب كألبرد ذى الحبرات  
حتى في ساعة فجوره وفخشه ما كان ينسى دينه وربيه . أنظر إليه حين  
يقص موقفا باغ فيه غاية الفحش والعبث وهو مع ذلك يظهر تأله في قوله  
سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال  
فقباليت سبك الله إنك فاضحى ألسيت ترى السمار والناس أحوالى  
فقليت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطه وارأسى لديك وأوصالى  
حلفت لها بالله حلقة فاجر لنا موقفا إن من حديث وإصال  
ولأجل أن يفهم القارىء مقدار فحش هذا الموقف نذكر له أن بعض  
شراح ديوان امرىء القيس فسروا البيت الأول بما يلتئم مع تغيير كلمة  
( إليها ) بكلمة ( عليها )

هذا استدلال على نصرانية امرىء القيس أخذنا من قوله وأشعاره . أما



من جهة التاريخ فأن المؤرخين ذكروا أن النصرانية كانت منتشرة في كندة  
ومن الدلالات التاريخية التي لا يمكن أن يتطروا الشك إليها ما ذكره ياقوت  
في معجم البلدان عن عمه امرئ القيس هند بنت الحارث المعروفة بهند  
الكبرى زوجة المنذر بن ماء السماء<sup>١</sup> وأم عمرو بن هند ذكر ياقوت عنها  
أنها ابنت ديرا يعرف بدير هند الكبرى وكتبت في صدره « بنت هذه  
البيعة هند بنت الحارث بن عمرو وأمة المسيح وأم عبده وبنت عبيدة، وأنت  
تجد في شهادة ياقوت نصرانية هند ونصرانية ولدها عمرو ونصرانية أبيها  
الحارث بن عمرو الكندي طريد أنو شروان والمنذر بن ماء السماء والذي  
شاع المزدكية مرثيا حينما من الدهر وتلمح فيها ضمنا نصرانية امرئ القيس  
ونصرانية أجداده الذين لا بد أن يكون امرؤ القيس نشأ على دينهم . ثم إن  
فاطمة بنت ربيعة أم امرئ القيس من تلعب وتغلب كلها على دين النصرانية  
ومن كل هذا نقف على حقيقة دين ذلك الشاعر وهو النصرانية . ولئن  
قلنا بنصرانية امرئ القيس فلا يمكننا أن نقول إنه كان متمسكا بدينه  
تمسك البررة الأطهار والقسس والرهبان ، بل إنها كانت نصرانية شخص  
مستتر لا يبالي كثيرا بالدين وفرائضه والله أعلم

---

١ قدمنا في غير هذا الموضع ان المنذر هنا زوج هند بنت الحارث الكندي هو عمه عدو الحارث ايضا ومنامه

## امرؤ القيس بعد مقتل أبيه

قدمنا فيما سبق أن حجرا أباه كان ملكا على أسد وغطفان وأنه قد عتا  
عتوا كبيرا في بني أسد وبغى عليهم وأذاقهم العذاب وسامهم الخسف  
وأنواعا من الذل والهوان حتى قعدوا يتنابدون به ويبغون عليه غائلة الدهر  
ويبيتون له الشر حتى اغتاله أحدهم على حين غفلة . ولما احتضر أوصى  
بمناعه وسلاحه لمن لا يجزع عليه من بنيه فكلهم جزع وبكى إلا امرؤ القيس  
فقد جاءه النذير بدمون وهي تلك القرية التي ألقى فيها عضاة بعد أن شرده  
أبوه ونفاه ، أتاه الناعي وهو على شراب مع نديم له بلاعبه النرد ، فقال  
له قتل حجر فلم يلتفت إليه وأمسك نديمه عن اللعب فقال له امرؤ القيس  
اضرب ، فضرب حتى إذا فرغ قال له ما كنت لأفسد عليك دستك ثم  
سأل الرسول عن أمر أبيه فقص عليه القصص ودفع إليه بالوصية . عندئذ  
قال امرؤ القيس ضيعني صغيرا وحماني دمه كبيرا ، لاصحو اليوم ولا سكر  
غد ، اليوم نمر وغدا أمر

خليلي ما في اليوم مصحى لشارب ولا في غد إذ ذاك بالكأس نشرب  
ثم شرب سبعا حتى لعبت بلبه الخمر ولما أفاق من غشيته آلى على نفسه  
الآء يأكل لحما ولا يشرب خمرا ولا يدهن بطيب ولا يلهو بلمو ولا يصيب  
امرأة ولا يغسل رأسه من الجنابة حتى يدرك ثأر أبيه . ولما جن عليه الليل  
رأى برقا تلمع ضياؤه ويخطف الألبصار سناؤه ، وبات ليلته أرقا متملما  
كأنما يحمل بين جنبيه أتونا يتقد ويتقلب على نار تستعر ومما جاثت به

شاعريته في تلك الليلة قوله :

أرقت لبرق بليل أهل يضيء سناه بأعلى الجبل  
أتانى حديث فكذفته بأمر تززع منه القل  
بقتل بنى أسد ربهم الأكل شيء سواء جلال ١  
فأين ريبة عن ربهما وأين تميم وأين الخول ٢  
ألا يحضرون لدى بابي كما يحضرون إذا ما استهل ٣  
وقال أيضا

تطاول الليل علينا دمون  
دمون ! إنا معشر يمانون  
وإنا لأهلها محبون

وقال أيضا

أتانى وأصحابي على رأس صيلع حديث أطار النوم عى فأنما ٤  
فقات لهجلى بعيد ماآبه ابن لى وبين لى الحديث المجمعاه  
فقال أبيت اللعن عمرو وكاعل أباحا حى حجر فأصبح مسلما ٦  
مضى طور الخلاعة واللهم على فتى كندة وعاجلته الحوادث بهمومها  
ولما يزل غض الشباب ناضر العود فأنقت عليه عبئا ثقيلأ أصلد ز نده وحملأ  
فادحا ينوء به فشمم عن ساعده مطالآ بثأر آيه واسترداد ملكه وأخذ بجمع

١ جلال حقير ٢ الخول الاتباع ٣ استهل نى بانعطايا والمدح ٤ أعم أى أبعده المجمع الذى لا تكاد

تدنيه ٦ مسلم أى ماح

الجوع ويعد العدة فلما بلغ بنى أسد ذلك أوفدوا عليه وفدا من رجالهم كهول وشبان فيهم عبيد بن الأبرص والمهاجر بن خدّاش وقبيصة بن نعيم ودارق قبيصة مشهورا بالبصر في الأمور والنظر في العواقب ، فلما علم امرؤ القيس بمكانهم أمر بأنزالهم وتقدم في إكرامهم والأفضال عليهم واحتجّب عنهم ثلاثا ، فقالوا لمن يبأه من رجال كندة ما بال الرجل لا يخرج إلينا فقال هو في شغل بأخراج ما في خزائن حجر من العدة والسلاح فقالوا اللهم غفرا ! إنما قدمنا في أمر نتناسى به ذكر ما فات ونستدرك ما فرط فليبلغ ذلك عنا فخرج عليهم في قباء وخف وعمامة سوداء وكانت العرب لاتعم بالسواد إلا في الترات فلما رأوه نهضوا له وبدر قبيصة فقال

إنك في المحل والقدر والمعرفة بتصرف الدهر وما تحدّثه أيامه وتنتقل به أحواله بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ ولا تذكرة مجرب ولك من سوّد من صبك وشرف أعراقك وكرم أصلك في العرب محتد يحتمل ما حمل عليه من إقالة العثرة والرجوع عن الهفوة ولا تتجاوز الهمم إلى غاية إلا رجعت إليك فوجدت عندك من فضيلة الرأي وكرم الصفح ما يطول رغباتها ويسعروا طلبانها ، وقد كان الذي كان من الخطب الجليل الذي عمّت رزيته نزارا والعبين ولم تخصص به كندة دوننا للشرف الدارع الذي كان لحجر

كان لحجر التاج والعمّة فوق الجبين الكريم وإخاء الحمد وطيب الشيم ولو كان يفدى هالك بالأنفوس الباقية بعده لما بنّحت كرائمنا على مثله يبذل

ذلك ولقد يناله منه ، ولاكن مضي به سبيل لا يرجع أولاه على أخراه ولا يلحق أقصاه أدناه . فأحمد الحالات أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال ثلاث

إما أن تختار من بني أسد أشرفها بيتا وأعلاها في بناء المكرمات صوتنا نعوده إليك بنسعة فذهب مع شفرات حسادك فيقال رحل امتحن هلك عزيز عليه فلم تستل سخيمته إلا بتمكينه من الانتقام أو فداء بما يروح على بني أسد من نعمها فهي ألوف تجاوز الحسبة وكان ذلك فداء ترجع به القضب إلى أجفائها لم يردده تسليط الأحن على البراء

وإما أن توادعنا حتى تضع الحوامل فسدل الأزر ونعقد الخمر فوق الرايات

فبكي امرؤ القيس ساعة ثم رفع طرفه إليهم فقال  
قد علمت العرب أن لا كفء لحجر في دم . وإني لن أعتاض به ناقة  
أو جملا فأكتسب بذلك بسة الأبد وفت العصيد . وأما النظرة فقد أوجحتها  
الإجنة في بطون أمهاتها ولن أكون لعطيتها سببا وستعرفون طلائع لندة  
من بعد تحمل في القلوب حنقا وفوق الأسننة علقا

إذا جالت الخيل في ماءزق تدافع فيه المنايا النفوسا  
أتقيمون أم تصرفون ؟ قالوا بل نصرف بأسوأ الاختيار وأبلى  
الاجترار لما كروه وأذية وحرب وبلية ثم نهضوا وقبصة يقول متمثلا .

لعلك أن تستوخم الموت إن غدت كئائبنا في مأزق الموت تمطر  
فقال امرؤ القيس لا والله لا أستوخمه فرويدا ينكشف لك دجاها عن  
فرسان كندة وكتاب حمير . ولقد كان ذر غير هذا أولى بي إذ كنت نازلا  
بربعي ومتحرما بزمامي ولاكنك قلت فأجبت  
فقال قبيصة إن ماتوقع فوق قدر المعاتبة والأعتاب . قال امرؤ القيس  
فهو ذاك وارتحلوا عنه

أما امرؤ القيس فقد رحل بعد هذا إلى بكر وتغلب وسأهم النصر على  
بنى أسد فسيروا معه جيشا فزحف به على بنى أسد وأرسل وراءهم العيون كي  
يعلم أمرهم ومكان نزولهم وكانوا نازلين بكنانة فقال واحد منهم وهو علباء  
ابن الحارث يا بنى أسد إن عيون امرئ القيس بيننا ولا بد أن يخبروه بنا  
فأرحلوا بليل ولا تعلموا بنى كنانة بذلك . ففعلوا ما أشار به عليهم علباء  
ثم أقبل امرؤ القيس بمن معه على كنانة وهو يحسبهم بنى أسد فأوقع بهم  
فوضع فيهم السلاح وقال يا ثارات الملك يا ثارات الهمام ، فرزت عليه  
عجوز من بنى كنانة وقالت له أبيت اللعن لسنا لك بثائر نحن من كنانة  
فدونك ثأرك فاطلبهم فإن القوم قد ساروا بالأمس . فتبع امرؤ القيس  
بنى أسد ابتغاء للحاق بهم ففاتوه في تلك الليلة ولم يستطع إدراكهم فحزن  
لذلك وقال :

ألا يالهف هند إثر قوم هم كانوا الشفاء فلم يصابوا  
وقام حدم بيني أبيهم وبالاشقين ما كان العقاب

وأفلمتم <sup>١</sup> وعلباء جريضا ولو أدركته صفر الوطاب <sup>١</sup>  
وقال أيضا

بالهف هند إذ خطئن كاهلا  
القاتلين الملك الحلا حلا <sup>٢</sup>  
تالله لا يذهب شيخي باطلا <sup>٣</sup>  
حتى أيد مالكا وكاهلا  
خير معد حسبا ونائلا <sup>٤</sup>  
وخيرهم قد علموا شمائلا  
نحن جلبنا القرع القوافلا <sup>٥</sup>  
يحملننا والأسل النواهلا  
وحي صعب والوشيج الذابلا <sup>٦</sup>  
مستفرمات بالحصى جوافلا <sup>٦</sup>  
يستشرف الأواخر الأوائلا

ثم أدركهم ظهرا وقد تقطعت خيله وبلغ به الظمأ وبمن معه كل مبلغ  
وبنو أسد حامون على ماء وراحة فقاتلهم قتالا شديدا حتى كثر القتلى

---

١ الجريض الغاص بريقه ٢ الملاحل السيد الشريف ٣ يعنى بشيخه أباه ٤ يقصد أن بنى أسد الذيز  
هم خير معد حسبا ونائلاهم كفا. دم أبيه حجر ٥ القرع الخيل والقوافل الضامرة ٦ حى صعب من  
أحياء بنى أسد ولكنهم كانوا فى جاب امرى القيس والوشيج الرماح ٧ مستفرمات بالحصى يريد أن الخيل  
تصرف الحصى بها تكها وظاير من حلهها حتى بلغ ٨ وحها وهو مكان الاستفرام والجواهل  
المراع .

والجرحي وأصيب من الفريقين عدد كبير ثم حجز الليل بينهم فكفوا عن  
المقاتلة وفر بنو أسد من وجه امرئ القيس فلما أسفر الصبح أراد أن  
يتبعهم فأبت عليه ذلك بكر وتغلب وقالوا له قد أصبت تأرك فقال والله  
ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحدا قالوا  
بلى قد أصبت واكنك رجل مشثوم وأسفوا أشد الأسف على ما كان  
منهم من مقاتلة كنانة وهم لا ذنب لهم ولا جريرة ثم أنفضوا من حول امرئ القيس  
فسار من فوره إلى اليمن فأستنصر ببني أزد شنوءة فأبوا أن ينصروه  
وقالوا: بنو أسد إخواننا وجيراننا فنزل بقليل يدعى مرثد الخير بن ذى جدن  
الحميري وكانت بينهما قرابة فأستنصر به واستعداه على بني أسد فجهز له  
خمسمائة من حمير ومات مرثد الخير قبل رحيل امرئ القيس بهم وقام  
بالمملكة بعده رجل حميري يقال له قرمل بن الحميم وكانت أمه أمة سوداء  
فماطل امرأ القيس وطول عليه حتى هم بالانصراف وقال :

وإذ نحن ندعو مرثد الخير ربنا وإذ نحن لاندعى عبيدا لقرمل

وأخيراً أنفذ له قرمل ذلك الجيش الذي كان على أن يمدّه به مرثد  
الخير قبل موته وتبعه أيضاً شذاذ من العرب واستأجر من بعض القبائل  
رجالاً ثم سار بهم جميعاً إلى بني أسد ومر في مسيره ببلدة تباله وفيها صنم تعظمه  
العرب يقال له ذو الخلصة فاستقسم عنده بقداحه وهي ثلاثة الآمر والناهي  
والمتربص فأجالها فخرج له الناهي ثم أجالها فخرج الناهي ثم أجالها مرة  
ثالثة فخرج الناهي أيضاً فجمع امرؤ القيس القداح ولسرها وضرب بها وجه



الصنم وقال « مصصت بظر أمك لو أبوك قتل ماعقتني » ثم مضى على سبيله  
حتى ظفر بيني أسد فقال

يادار ماوية بالحائل فالسهب فالخبتين من عاقل  
صم صداها وعفارسمها واستعجمت عن منطق السائل  
قولا لدودان عبيد العصا ماغر كم بالأسد الباسل  
قد قرت العينان من مالك ومن بنى عمرو ومن كاهل  
ومن بنى غنم بن دودان إذ نقذف أعلام على السافل  
نطعنهم سلكي ومخلوجة كرا لا أمين على نابل ١  
إذهبن أفساط كرجل الدبا أو كقطا داظمة الناهل ٢  
حتى تر كناهم لدى معرك أرجلهم كالحشب الشائل ٣  
حلت لي الخمر و كنت امرأ عن شرها في شغل شاغل  
فالיום أسقى غير مستحقب إنما من الله ولا واغل ٤  
فأتكر عليه ذلك عبيد بن الأبرص ورد عليه في عدة قصائد منها القصيدة  
التي يقول فيها

ياذا المخوفنا بقتل أبيه إذلالا وحيننا  
أزعمت أنك قد قتلت سراتنا كذبا ومينا  
هلا على حجر بن أم قطام تبيكي لاعلينا

١ سلكي مسهية ومخلوجة معوجة وكرك لا أمين أي رذك سهمين ٢ أفساط جماعات ورجل الدبا  
ورق الحراد والناهل الدارل على الماء ٣ الحشب الشائل الذي قد أتقى عصه على بعض وارتفع الى فوق  
٤ مستحقب أي حامل والواغل الذي دخل على الفوم وقت سرهم لا إذب

إننا إذا عض الثقا فبرأس صعدتنا لوينا  
نحى حقيقتنا وبعض القوم يسقط بين بيننا  
هلا سالت جموع كندة يوم ولوا بن أينا  
أيام نضرب هامهم يواتر حتى انحنينا  
وجموع غسان الملو ك أتينهم وقد انطوينا  
لحقا أيا طهين قد عاجن أسفارا وأينا  
نحز الاولى فاجمع جموعك ثم وجههم إلينا  
واعلم بأن جيانا آلين لا يقضين دينا  
ولقد أبجنا ما حميت ولا مبيح لما حمينا  
هذا ولو قدرت عليك رماح قومي ما انتهينا  
حتى تنوشك نوثة عاداتهم إذا انتوينا  
نغلي السباء بكل عا ثقة شمول ما صحونا  
ونهبين من لذاتنا عظم التلاد إذا انتشيننا  
لا يبلغ الباني ولو رفع الدعائم ما بنينا  
كم من رئيس قد قتلناه وضمهم قد أبننا  
ولرب سيد معشر ضخم الدسيعة قد رمينا  
عقبانه بظلال عقبان تتم مانوينا  
حتى تركنا شلوه جزر السباع وقد مضينا  
وأوانس مثل الدمى حور العيون قد استبيننا

أنا لعمرك ما يضا م حليفنا أبدا لدينا  
وإذا وازنا بين عبيد بن الأبرص وامرئ القيس في هذا الشعر نجد  
أن عبيدا أشد أسرا وأعظم روعة .  
ولما أسرف امرؤ القيس في قتال بني أسد فزعوا إلى المنذر كي ينصرهم  
عليه ويكفيهم شره ويوقفه عند حده فأهدر المنذر دم امرئ القيس وطلبه  
من القبائل وأعانه على ذلك كسرى أنوشروان ملك الفرس  
فانفضت حمير وجموع امرئ القيس من حوله فلجأ في عصابة من قومه  
إلى الحارث بن شهاب اليربوعي ومعه أذراعه الخمسة الفضفاضة والضافية  
والمحصنة والخربق وأم الذبول التي كن لبنى آكل المرار يتوارثونها ملكا عن ملك  
فما لبثوا غير قليل عند الحارث بن شهاب حتى أرسل إليه المنذر مائة من  
أصحابه يتهدده ويتوعده بالحرب إن لم يسلم إليه بني آكل المرار ، والحارث  
اليربوعي لا طاقة له ولا قبل بهذا الملك الجبار الواسع الساطان فأسلمهم  
إليه صاغرا ولكن امرأ القيس تمكن من النجاة إذ فر هاربا ومعه ابن  
عم له يسمى يزيد بن معاوية بن الحارث، ومعه أيضا ابنته هند وأذراعه  
وسلحه وماله ونزل على ابن عمته عمرو بن هند بنت الحارث بن عمرو  
الكندى وابن هند هذا هو أيضا ابن المنذر مطارد امرئ القيس وكان  
نائباً عن أبيه بيقه فكث امرؤ القيس عنده حيناً من الزمر مستخفياً ولا  
يعلم بذلك المنذر حتى أحس عمرو أن أباه قد علم باختباء ابن خاله عنده  
فأخبر امرأ القيس بذلك وأنذره بطش والده فتحول عنه إلى هانيء بن مسعود

( وكان هانيء هذا أفوه شاخص الأسنان ) فأبى أن يحيره فسار إلى إياد  
ونزل على سعد بن الضباب الأيادي سيد قبيلته وعظيم قومه وكانت بينه  
وبين امرئ القيس صلة ورابطة فأن أم سعد بن الضباب كانت تحت حجر  
والد امرئ القيس فطلقها وهي حامل وهو لا يعرف هذا فتزوجها الضباب  
فولدت سعدا على فراشه فلحق نسبه به . لتلك الوشيحة التي تحدث بها  
الرواة والنسابون والتي يمت بها امرؤ القيس إلى سعد أجاره الأخير  
وأكرم مشواه فقال في ذلك شعرا يمدح فيه سعدا ويهجو هانيء بن  
مسعود .

لعمر ك ما سعد بخلة أتم      ولا نأنا يوم الحفاظ ولا حصر ١  
لعمرى لقوم قد نرى في ديارهم      مرابط للأمهار والعكر الدثر ٢  
أحب إلينا من أناس بقنة      يروح على آثار شائهم النمر ٣  
يفا كهنا سعد ويغدو لجمعنا      بمثنى الزقاق المترعات وبالجزر ٤  
لعمرى لسعد بن الضباب إذا غدا      أحب إلينا منك يافرس حره ٥

١ الخلة الصداقة والمودة والنائنا الضعيف المقصر في الأمور ويوم الحفاظ يوم الجد والكريمة والحصر ضيق الصدر عن  
الاضطلاع بالعظام ٢ العكر المال الكثير ولا يطلق إلا على الأبل وقال الخليل العكر ما زاد على خمسمائة من الأبل  
والدثر الكثير ٣ القنة رأس الجبل . وشائهم غنمهم ٤ يفا كهنا بمازحا ويضحكنا . ويغدو ويكر . مثنى  
الزقاق أي يائنا بزقاق الخرم مثنى . والمترعات المتلات . والجزر ما يجره من البهائم الأكل . قال  
الوزير أبو بكر من تمام القرى عندهم السمرة وطلاقة الوجه والمحادثة مهم فاستوفى في هذا البيت جميع  
مسرات القرى ه يافرس حر أي يامتن القم فان الفرس إذا حر تن فوه والفرس الحر هو الذي  
أكل شعيرا كثيرا حتى سنق وأنخم

وتعرف فيه من أبيه شمائله  
وسماحة ذا وبرذا ووفاء ذا  
وقال أيضا يمدح سعدا

منعت الليث من أكل ابن حجر  
وكاد الليث يودى بآبن حجر  
منعت فأنت ذا من ونعمى  
على ابن الضباب بحيث ندرى  
سأشرك الذى دافعت عنى  
وما يجزيك منى غير شكرى  
فما جار بأوثق منك جارا  
ونصرك للفريد أعز نصر

ثم تحول امرؤ القيس عن سعد بن الضباب إلى المعلى بن تيم الطائى  
وأقام عنده حميد المثنوى عزيزا محترما مكرما فقال يمدحه

كأنى إذ نزلت على المعلى  
نزلت على البواذخ من شمام ١  
فما ملك العراق على المعلى  
بمقتدر ولا ملك الشام ٢  
أصد نشاط ذى القرنين حتى  
تولى عارض الملك الهمام ٣  
أقرحشا امرؤ القيس بن حجر  
بنو تيم مصاييح الظلام ٤

ثم نزل بعد ذلك بينى نبهان فأغار على أبله قوم من بنى جديلة فيهم

---

١ البواذخ من شمام هي جبال شمام الشواهدق ٢ المراد ملك العراق المنصور بن ماء  
الماء والمراد بملك الشام الحارث بن أبي سمر الغساني ٣ أصد أى رد والنشاط السحاب المرتفع  
وذو القرنين قال الوزير أبوبكر هو المنذر الأكبر سمي ذا القرنين لضفيرتين كانتاه ، والعارض السحاب  
المعترض في السماء والمراد بقوله تولى عارض الملك الهمام أى انهزم جيش المنذر ، أقرسلن وطامن وبنو تيم سموا  
مصاييح الظلام وغلب عليهم هذا اللقب الحسن منذ لقبهم به امرؤ القيس في بيته هذا

رجل يقال له باعث بن حويص ولما عرف امرؤ القيس نبأ تلك الغارة  
فزع إلى جاره خالد بن سدوس وشكى إليه أمره وكان لامرئ القيس  
رواحل مقيدة أمام البيوت خوفاً من أن يدهمه أمر فيسبق عليهن فقال  
له خالد أعطني رواحك ألحق بها القوم فأرد إبلك فأعطاه إياها فركبها  
خالد ونفر معه وساروا حتى لحقوا بيني جديلة فقال لهم خالد يا بني جديلة  
أغرتم علي جاري . قالوا ما هو لك بجار قال بلى إنه جاري ووالله ما هذه  
الأبل التي معكم إلا كالرواحل التي تحتنا . قالوا أكذاك ؟ قال نعم . فرجعوا  
إليه وأنز لوه ومن معه عن تلك الرواحل وذهبوا بها أيضاً فلما علم  
امرؤ القيس بهذا قال :

دع عنك نهبا صيح في حجراته      ولكن حديثا حديث الرواحل ١  
كأن دثارا حلقت بلبونه      عقاب تنوفي لأعقاب القواعل ٢  
تلعب باعث بجيران خالد      وأودى عصام في الخطوب الأوائل ٣  
وأعجبني مشى الحزقة خالد      كشي أتان حلئت بالمناهل ٤  
أبت أجا أن تسلم العام جارها      فمن شاء فلينهض لها من مقاتل ٥

١ النهب الغنيمه . والحجرات النواحي . والرواحل النوق ٢ دثار راعي ابل امرئ القيس . واللون  
النوق . وتنوفي ثنية مشرفة والمراد بقوله عقاب تنوفي أى عقاب ساقطة محلقة من ثنية مشرفة ذاهبة في الهواء  
القواعل جبال صفار ٢ باعث هو ابن حويص الجدبلى الذى أغار برجاله على ابل امرئ القيس .  
أودى هلك . وعصام راع آخر لابل امرئ القيس قتل عند الفارة على إبله ٤ الحزقة القصير  
الضخم البطن الضيق الباع . والاتان الاثنى من الحجر . وحلئت منعت أن تبرد الماء مرة بعد مرة . والمناهل موارد الماء .  
٥ أجا جبل في بلاد طي . والمراد أهل أجا

تبيت لبونى بالقرية أمنا وأسرحها غبا بأكناف حائل ١  
بنو ثعل جيرانها وحماها وتمنع من رجال سعد ونائل ٢  
تلاعب أولاد الوعول رباعها دوين السماء فى رءوس المجادل ٣  
مكلاة حمراء ذات أسرة لها حبك كأنها من حبائل ٤  
ففرق عليه بنو نهبان فرقا من معزى يحلبها فقال

إذا الم تجد إبلا فمعزى كأن قرون جلتها العصى ٥  
إذا مقام حالبها أرنت كأن القوم صبحهم نعى ٦  
تروح كأنها بما أصابت معلقة بأحقيا الدلى ٧  
فتملاً بيتنا إقطا وسمننا وحسبك من غنى شبع ورى ٨

ثم ارتحل إلى عامر بن جوين الطائى واتخذ عنده إبلا وعامر يومئذ أحد  
الخلعاء الفتاك وقد تبرأ قومه من جرأته فمكث امرؤ القيس عنده ز منا حتى  
همَّ عامر أن يغلبه على ماله وأهله وأحس بذلك امرؤ القيس من شعر كان  
عامر ينشده وهو

---

١ القرية مكان بجبل أجأ وأسرحها أرسلها ترعى نهارا . وغبا أى ترسل يوما وتترك يوما . وحائل جبل  
وأكنافه جوانبه ٢ سعد ونائل من بنى نهبان ٣ الوعول الزيوس الجلية . والرابع الفصلان . والمجادل الجبال  
٤ مكلاة حمراء يعنى أن رموس الجبال كللتها السحب . والأسرة الطرائق والخطوط . والحبك الطرائق أيضا  
والحبائل ضرب من البرود ملونة مخططة ٥ الجلة المسن الكبير . أرنت صاحت ٦ تروح تعود الى خطايرها  
فى المساء بأحقيا أى ما بين نخديها والدلى جمع دلو والمراد بها الحوالب المستكة باللبن ٨ الاقط ضرب من اللبن  
يتخذ من اللبن المخيض

فكم بالصحيح من هجان مؤبلة تسير صحاحا ذات قيد ومرسله  
أردت بها فتكا فلم أرتعض له ونهبت نفسي بعد ما كدت أفعله  
وكان عامر ينشد الشعر أيضا يعرض بهند ابنة امرئ القيس فلما  
أحس شاعرنا بكل هذا وبدا له الغدر من هذا الفاتك الخليع الذي  
لا يراعى إلاّ ولا ذمة رحل على حين غفلة منه إلى رجل من بني ثعل يقال  
له حارثة بن مر فأجاره وأكرم وفادته ثم وقعت الحرب بين عامر الطائي  
وحارثة الثعلبي بسبب امرئ القيس فلما رأى أن ذلك من أجله تحول إلى  
عامر بن جابر الفزاري وطلب منه أن يجيره حتى يرى ذات غيبه فقال له  
الفزاري يا بن حجير إني أراك في خلل من قومك ، وإني أنفس بمثلك من  
أهل الشرف ، وقد كدت بالأمس توكل في ديار طيء ، وأهل البادية أهل  
وبر لا أهل حصون تمنعهم ، وبينك وبين الين ذؤبان من قيس ، أفلا أدلك  
على بلد تلجأ إليه ؟ فقد جئت قيصر وجئت النعمان فلم أر لضييف نازل ولا  
لمجند مثله ولا مثل صاحبه . فقال امرؤ القيس من هو وأين منزله ؟  
فأجابه إنه السمومل بتباء ، وسوف أضرب لك مثله ، هو يمنع ضعفك حتى  
ترى ذات غيبك ، وهو في حصن حصين وحسب كبير . فقال له امرؤ القيس  
وكيف لي به ؟ قال عامر أوصلك إلى من يوصلك إليه ثم صحبه إلى رجل  
من بني فزارة أيضا يقال له الربيع بن ضبع الفزاري ممن يأتي السمومل  
فيحمله ويعطيه . فلما صار امرؤ القيس عند الربيع قال له الأخير إن  
السمومل يعجبه الشعر فتعال تتناشد له أشعارا فقال امرؤ القيس قل حتى



أقول فقال الربيع :

قل للنية أيّ حين نلتقى بفناء بيتك في الحضيض المزلق

وهي طويلة يقول فيها

ولقد أتيت بني المصاص مفاخرا وإلى السموم زرتة بالأبلق

فأتيت أفضل دن تحمل حاجة إن جئت في غارم أو مرهق

عرفت له الأقسام كل فضيلة وحوى المكارم سابقا لمن يسبق

فقال امرؤ القيس

طرتك هند بعد طول تجنب وهنا ولم تك قبل ذلك تطرق

قال صاحب الأغاني « وهي قصيدة طويلة وأظنها منحولة لأنها لا تشاكل

كلام امرئ القيس والتوليد فيها بين ومادونها في ديوانه أحد من الثقة

وأحسبها مما صنعه دارم لأنه من ولد السموم »

ثم وفد الفزاري وركبه بامرئ القيس على السموم وبينها هم سائرون

في الطريق إذ ببقرة وحشية صريعة بسهم تعالج الموت فلما رأوها

هموا بها فذبجوها ، وإذا يقوم قناصين من بني ثعل ففقال لهم الفزاري

وأصحابه من أتم ؟ فأتسبوا له فاذا هم من جيران السموم فانصرفوا جميعا

إليه وقال امرؤ القيس يصف أولئك الصيادين

رب رام من بني ثعل متلج كفيه في قتره ١

---

١ بنو ثعل قبيلة من طيء كانوا مشهورين بالخلق في المائة و متلج مدحج والقتر جمع قتره وهو بيت

الصائد الذي يكن فيه للوحش لئلا تراه فتفر منه قال الوزير أبو بكر ويروي مخرج كفيه من شتره والشر

جمع شتره يريد الكم ومعناه على هذه الرواية أنه مخرج كفه من كفه لئلا يراه القوس ويرمي به

عارض زوراء من نشم	غير باناة على وتره ١
قد آتته الوحش واردة	فتنحى النزع في يسره ٢
فرماها في فرائصها	بأزاء الحوض أو عقره ٣
برهيش من كناته	كتلظى الجمر في شرره ٤
راشه من ريش ناهضة	ثم أمهاه على حجره ٥
فهو لاتنحى رميته	ماله لاعد من نفره ٦
مطعم للصيد ليس له	غيرها كسب على كبره ٧
وخليل قد أفارقه	ثم لا أبكى على أثره ٨
وابن عم قد تركت له	صفو ماء الحوض عن كدره ٩
وابن عم قد فجعت به	مثل ضوء البدر في غرره
وحديث الركب يوم هنا	وحديث ما على قصره ١٠

١ الزوراء يريد بها القوس المنحنية والنشم شجر تعمل منه القسي - غير باناة أى غير منحج على وتره قال أبو الخطاب يقال رجل باناة وهو الذى يتحنى صلبه إذا رمى فيذهب سهمه على وجه الأرض وذلك عيب  
٢ فتحنى أى قال وقصد النزع وهو الرمي ويسره قبائله ٣ فرائصها أى جنبها الذى به القلب واراء الحوض  
٤ صب الماء فيه والمقر مكان الشارفة ٤ الرهيش سهم ضامر والكنانة جعبة السهام والتلظى التوقد والتوهج  
٥ راشه أى ركب فى السهم الريش والناهضة الصقرة أو الصقر والتاء للبالغة كما يقول الوزير أبو بكر  
وأمهاه أى سقاه الماء وذلك عند أبي عبيدة وعند غيره أمهاه أرقه ٦ لاتنحى رميته أى لاتذهب عن مكانها  
يعنى أن رميته صابئة وقوله ماله لاعد من نفره دعا عليه بالموت ولم يرد حقيقة إذا عد أهله لم يعد منهم بل  
هو على جهة التعجب كما تقول قاتلك الله ٧ المطعم المرزوق فى الصيد الذى لا يكاد يخطئ - إذا رمى ويقال قوس  
مطعمة إذا كان سهمها لا يخطئ ٨ يعنى وصف نفسه بالجلادة والصبر وقلة الجزع عند ما يجزع الناس عنده من  
فرقة الخلان وإن كانت أعظم مصائب الزمان ٩ يقصد أنه كريم العشرة حتى لو أن ابن عمه أتى ما يستحق عليه  
العقوبة قابلة بالصفح والاحسان وجعل له بدل الكدر الذى كان يستوجه منه صفوا من الماء الذى كان  
لا يستحقه ١٠ يوم هنا فيه أقوال قال الوزير أبو بكر يريد يوم الكلاب الأول وقيل هو يوم معروف وقيل  
هو يوم لحو ولعب وقيل هو اسم موضع وهو منون - وما فى قوله وحديث ما رائدة وتدلى على التعجب والتعظيم

ولما قدم القوم على السموءل أكرم مشواهم وأحسن لقاءهم وعرف لهم  
مقدارهم ثم إن امرأ القيس طلب منه أن يكتب إلى الحارث بن أبي شمر  
الغساني بالشام ليوصله إلى قيصر ففعل السموءل ذلك ، ومضى امرؤ القيس  
إلى الحارث بعد أن أودع عند السموءل أهله وسلاحه ثم سار من الحارث  
إلى قيصر و كان معه في تلك الرحلة جابر بن حنا وعمرو بن قميئة وعمرو  
هذا هو الذي يقول فيه امرؤ القيس

أرى أم عمرو دمعتها قد تحذرا      بكاء على عمرو وما كان أصبرا  
وفيه يقول أيضا

تقطع أسباب اللبانة والهوى      عشية جاوزنا حماة وشيزرا  
بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه      وأيقن أنا لاحقان بقيصرا  
فقلت له لا تبك عينك إنما      نحاول ملكا أو نموت فنعدرا  
أما جابر فهو الذي يقول فيه امرؤ القيس

فأما تريني في رحالة جابر      على حرج كالحق تخفق أكفاني ١  
فيارب مكروب كررت وراه      وعان فكسكت الغل عنه ففداني ٢

ولما وصل امرؤ القيس إلى قيصر أحسن لقاءه وأكرم ضيافته ثم ضم  
إليه جيشا كثيرا فيه جماعة من أبناء الملوك . ولكن بني أسد قوم لا تنام لهم

---

١ الرحالة هنا خشبات صمها له جابر بن حنا من تغاب وحنا يقال له يحيى أيضا والخرج سرير يحمل عليه  
المزني والقر مركب من مراكب اللسان واكفاني يريد ثيابي ٢ المكروب من احاق به الكرب والمعاني  
الأسير والنل الوثاق في الحق فداني أي قال لي فذاك نفسي وانى وامى وطارفي وثأدى

عين ولا يغفلون عن الدس إلى عدوهم والكيده فقد أرسلوا خلفه الطماح  
البنى وشى به لدى قيصر فقال له إن امرأ القيس غوى فاجر  
ولأنه لما فصل بالجيش من عندك ذكر أنه يرأس ابنتك وهو قائل في ذلك  
أشعارا يشهرها بها في العرب فيفضحها ويفضحك فأثر ذلك القول في نفس  
قيصر حتى فكر في خذلان امرئ القيس والخلاص منه

ويقول بعض المؤرخين والرواة إن قيصر بعث إلى امرئ القيس بحلة  
من الذهب مسمومة وكتب يقول له ماترجمته «إني أرسلت إليك حلتى التى كنت  
ألبسها تكرمه لك فأذا وصلت إليك فألبسها باليمن والبركة والتب إلى بخبرك  
من منزل إلى منزل» فلما وصلت الحلة إلى امرئ القيس لبسها واشتد  
سروردها فأسرع فيه السم وسقط جلده ولذلك سمي ذا القروح وقال  
في ذلك :

لقد طمخ الطماح من نحو أرضه      ليلبسنى من دائه ماتلبسا  
فبدلت قرحا داميا من بعد صحة      فيالك من نعمى تحولن أبؤسا  
فلو أنها نفس تموت جميعه      ولكنها نفس تساقط أنفسا

هذا ما قال به بعض المؤرخين في سبب وفاة امرئ القيس ونحن  
لا نعرف حلة مسمومة كهذه الحلة لها هذا التأثير العجيب ولذلك فهى فى  
نظرى أشبه بالخيال منها بالقول اليقين بل إنها من خرافات التاريخ وليس فى  
شعر امرئ القيس ما يدل على أن موته كان بسبب حلة مسمومة وكل ما دل  
عليه شعره أنه قد تقرح بدنه وأن الطماح وشى به إلى قيصر لا غير . والرأى

عندى أن امرأ القيس مات بالجدرى - كما ذكر ذلك نونوز المؤرخ الرومانى -  
وكانت وفاة ذلك الشاعر فى سنة ٥٦٥ ميلادية بأنقرة . ويروى أنه قال عند  
احتضاره

رب خطبة مسحفرة ١

وطعنة مشعجرة ٢

وجفنة متحيرة ٣

حلت بأرض أنقرة

ورأى قبر امرأة من بنات الملوك ماتت هناك فدفنت فى سفح جبل  
يقال له عسيب فسأل عنها فأخبر بقصتها فقال

أجارتنا إن المزار قريب وإنى مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا إنا غريبان هنا وكل غريب للغريب نسيب

فأن تصلينا فالقراة بيننا وإن تهجرينا فالغريب غريب

ثم مات فدفن إلى جنب المرأة فقبره هناك

وقد جاء فى شعراء النصرانية أن قيصر لما بلغه وفاة امرىء القيس أمر بأن

ينحت له تمثال وينصب على ضريحه ففعلوا وكان تمثال امرىء القيس هناك

إلى أيام المأمون وقد شاهده هذا الخليفة عند مروره هناك لما دخل بلاد

الروم ليغزو الصائفة

هذا ما انتهت إليه حياة امرىء القيس التاريخية مع شيء مما اقتضته

شؤونها من الشعر

## أثر الحوادث

في

## شعر امرئ القيس

إن حياة امرئ القيس على ما رأيت كانت طورين ، طور قبل مقتل أبيه و طور بعد مقتله . وهو في الطور الأول شاعر لهُ ووصف لا يعنى بغير ما تمليه عليه الفتوة ويوحى به إليه الشباب من تشيب ونسب ووصف للخيل وللشباب وذكر لمجالس الأئس والشراب وشعره في هذا الطور نسج العذوبة وحوك الفطرة السليمة فيه فصاحة البداوة الممزوجة بنعيم الملك وترف الغنى

وكانت بك تسائلى عما آل إليه أمر قى كندة وخليعها بعد مقتل أبيه أبقيت شاعريته على ما كانت عليه من نهتك وتصابي و لهُ و غرام ؟ أم استحالت شاعريته بعد أن تنكرت له الأيام والليالي وعصفت به رياحها الهوج فأصبح شريدا طريدا تتناوح برقابها أحياء العرب تنبو به الديار ويشط المزار وتلفظه الأرض هنا وهناك وتتناطح فيه أطماع الفتاك وهو بين هذا وذاك غرض الختوف ومرمى الردى من المنذر ذلك الملك القوى الصولة الشديد البطش الذى لا يجير عليه من العرب مجير ولا يقوم لأحد منهم دونه نصير . وكل ذلك مؤثرات جديدة فى شاعرية امرئ القيس وعوامل مستحدثة انتزعتة من بين البواعث اللهوية وقذفت به بين دواعى الهموم والأحزان وهذا تحول فجائى يقتضى ركودا فى الملكات وفتورا

في القريحة يحتاج إلى زمن تختمر فيه المعاني الجديدة في صدر ذلك الشاعر  
المحزون الذي تداعت أيام لهوه فقد انقلب طفرة من حال الزهو والمرح  
إلى مقام البؤس والشجن يشكو حاله ويندب ما له . أرأيت شاعر يوم دارة  
جلجل وكم كان طروبا لاهيا فأذابه اليوم كاسف الببال عابس الوجه  
حايف هم وحزن شتيت يقول

ظلت ردائي فوق رأسي قاعدا أعد الحصى ماتنقضي عبراتي  
أعنى على التهام والذكريات يبتن على ذى الهم معتكرات ١  
بليل التمام أو وصلن بمثله مقايسة أيامها ذكريات ٢  
نزلت به الحوادث عن الملك وعزته إلى ذل التشريد ومهاته فتنازه  
عاملان ذاك عامل اللهو والطرب وهذا عامل الهم والحزن والأول من  
سليقته والأخير عارض له جدته فلا شك أن شاعريته ترتطم بين هذين  
المؤثرين فيسقط شعره بتناقضهما . ومهما يكن من أمر ذلك الشاعر فإنه في  
هذا الطور الأخير محزون يتفرق الحزن بين ثنايا كلماته وإذا عاوده  
ذكر اللهو جاء به ممزوجا بدموع البكاء لأن حياته بعد  
مقتل أبيه كانت صارفة لمثله عن اللهو والعبث والمجون . ولقد كان طول  
تقلبه في الأحياء وأكثره مالاقيه من المحن مما زاد في تجاربه وجعله يقف

---

١ أعنى أى ساعدنى . والتهام الهم والذكريات جمع ذكرة من التذكرة . ومعتركات أى نازلات متاسات

٢ ليل التمام أطول ليلى العام . ومعايسة أى أن طول النهار فى قداس طول الليل والسكرات الشديرات

ويريد الشاعر أن ليله قد تطاول حتى صار الليل موصولا بمله وكذلك أيامه سل أيامه فى الطول والحزن

على ما في طبائع الناس من وفاء وخدر ونشكاً تسوة الزمان وتذكراً لأخوان  
وخرج عن طبعه وفطرته إلى المدح والمجاء والنفجع والبكاء . وأول باعك  
نازعه في هذا الطور الجديد هو الرثاء - والتمنيان لا يجيدونه - فقد جاءه  
نعي أبيه بغتة وهو في مسارح الحمرة ومجالس أنسه لا يحس بما وراء ذلك  
اللهم وهذا الأوس فبهتت قريحته وعقل لسانه إلا عن ذلك النزر اليسير الذي  
قسر نفسه عليه قسراً فجاء فيه منصرفاً

ولما قتل أبوه انحارت أخته هند بنت حجر رقطينها إلى عوير بر شحنة  
من بني زيد مناة فقال له قومه ظلم فأنهم ما كولون فأبى أن يخنر ذمته  
وخرجها ليلاً حتى أبلغها نجران ثم قال لها لست أغنى عنك شيئاً وراء هذا  
الوادي وهذه أرض قومك وقد برئت حفارتى ثم رجع فلما بلغ ذلك  
امراً القيس قال بمدحه . -

ألا إن قوماً كنتم أدس دونهم  
عوير ومن مثل العوير وردطه  
ثياب بني عوف طهاري نقيه  
هم أبلغوا حتى المضلل أهلهم  
فقد أصبحوا والله أصفاهم به  
وقال بمدحه أيضاً

١ آل غدران أي يا آل الدهر يريد بهم بني أسد الذين قتلوا أباهم وخبروا ذمته ٢ عوير وصفوان سيدا بني  
عوف والبلابل المرموم ٣ المتساعد الحروب وغران طاقة ببناء سملة ٤ حتى المسال يريد أسله ومن هنا  
سمى الملك الضليل ٥ أصغاهم به استاره لهم



إن بنى عوف ابتنوا حسبا ضيعة الدخلون إذ غدروا ١  
أدوا إلى جارهم خذارتهم ولم يضع بالمغيب إذ نصرهوا ٢  
لم يفعلوا فعل آل حنظلة إنهم جير بأس ما أتمروا ٣  
لا حميرى وفى ولا عدس ولا است غير يحكمها الثفر ٤  
لكن عوير وفي بذمتيه لاعور شانه ولا قصره ٥  
هذا أول عهده بالمديح والمديح ليس من صناعة الملوك فهم لا  
يمدحون ولا يمدحون لذلك جاء امرؤ القيس مقصرا في مديحه  
كما جاء مقصرا في رثائه لأن ذلك ليس من سليقته ولا طبعه . على أن  
الحوادث التي نزلت به قلبته في بعض أقواله شاعرا حكما يأتي بالحكمة  
البالغة والمثل الرائع إذا شكاه له أشكى غيره وإن كى أمره أنكى سواه معه  
انظر إليه وقد فكر في عاقبة أمره فأظلم تغيب أمام عينيه وأشكلت عليه  
نهايته فشكى دهره وبكى على ما ألم بذمته وتوقع ما غاب آباءه من قبله فقال  
أرانا هوضعين لأمر غيب ونسبحر بالطعام وبالشراب ٦

١ الدخلون يريد الخاصة من دوى قرانته ادلم يصروه على ادلك تأمره ٢ جارهم يريد نفسه واحتة  
الخطاه الائمة والهمد وتووه لم يضع بالمغيب أى من غاب عن ادله وأصاره فهو لا يصروه ٣ بنو  
حنظلة هم الذين خذلوا نرحيل عم ادري القيس . وجر بمنى . قما . حميرى وعدس رجلان  
من بنى حنظلة تولوا العدر بشه حمل . وانشر الحمير فى مرجح المرج وقوته ولا است غير يحكمها الثفر  
احتقار واستهزاء واستخفاف به لا الادره شام أى شابه ٦ موضعين سمين والابصاع ضرب من السير  
ولا مرغيب أى لامر لا علم لانه ونسجر أى تدهنى

عصافير وذبان ودود وأجراً من مجلحة الذئاب ١  
فبعض اللوم عاذلى فانى ستكفيني التجارب وانتسابى ٢  
إلى عرق الثرى وشجت عروقى، وهذا الموت يسلبنى شبابى ٣  
ونفسى سوف يسلبها وجرى فيلحقنى وشيكا بالتراب ٤  
ثم تذكر ما كان له أيام عزه ولهوه فقال  
ألم أنض المطى بكل خرق أمق الطول لماع السراب ٥  
وأركب فى اللهام المجر حتى أنال ما كل القحم الرغاب ٦  
وكل مكارم الأخلق صارت إليه همتى وبه اكتسابى ٧  
وانتقل بعد ذلك إلى التفجع على آباءه والحكم على الدهر بالقسوة  
وإلى أنه عما قريب سيلقى منيته كما لقيها من سبقه فقال : -

---

١ الذبان الذباب والعصافير ضعاف الطيور وصغارها والمجلحة المصممة من التجليح وهو الاقدام والصميم  
٢ العاذلة الائمة ٣ عرق انثرى مادة التراب فى الأرض وقال القتيبي عرق انثرى آدم عليه السلام . وشجت  
أى اتصلت وانتبكت : الجرم الجسد وقوله وتيكا أى سريعاً وانظر كيف أبدع فى تقسيمه السلب فابتدأ  
أولاً بسلب الشباب ثم سلب النفس ثم سلب الجسد حسبما يكون . انض المطى أى اهزل المطايا من طول  
السير والعمل . والحرق الفلاة الواسعة . والامق الطويل . والسراب ما يبدو وقت الظهيرة للمسافر فى الصحراء  
كأنه ماء ٦ اللهام الجيش الكثير العدد . والمجر النقيط المتند فى سيره والقحم جمع قحمة وهى الدفنة  
الكثيرة من المال او غيره . والرغاب الواسعة ٧ لما طال عليه تمدد الفضائل فى الاميات السابقة اجملها  
فى هذا البيت بأن قال كل خلق كريم وفعل جميل احبته همتى واكتسبتنى اياه وهذا بيت فاضل من احسن  
ما قيل فى الشعر العربى

وقد طوفت في الآفاق حتى      رضيت من الغنيمة بالآياب  
أبعد الحارث الملك بن عمرو      وبعد الخير حجر ذى القباب ١  
أرجى من صروف الدهر لينا      ولم تغفل عن الصم المضاب ٢  
وأعلم أننى عما قليل      سأنشب في شبا ظفر وناب ٣  
كما لاقى أبى حجر وجدى      ولا أنسى قتيلا بالكلاب ٤  
ومما يستحسن له من شعره في هذا الطور قصيدته التي يمدح فيها سعدا  
ابن الضباب قال

لعمرك ما قاي إلى أهله بحر      ولا مقصر يوما فإتبنى بقره ٥  
ألا إنما الدهر ليال وأعصر      وليس على شيء قوهم بمستم ٦  
ليال بذات الطالع عند محجر      أحب إلينا من ليال على أقر ٧  
أغادى الصبوح عند هر وفرتنا      وليدأ وهل أفنى شبابي غير هر ٨  
إذا ذقت فها قلت طعم مداة      معتقة مما تجيء به التجر ٩  
هما نهجتان من نهج تبالة      لدى جوذرين أو لبعض دمي هكر ١٠

١ لم تدل القباب، معروفة في الحاملية إلا اللوك ٢ الصم الصلبة المصمتة . والحصاب الصحور المخدمة  
الراسية ٣ سأنشب أى سأعاق على أمر لا انفكك منه . وأشبا الحد . يعنى ستشعب المنية في أظفارها  
وأنيابها ٤ قبل الكلاب هو شرح حيل عم الرى . العيس ٥ بحر أى أن قلبه لم يصر . ولا مقصر أى ولا  
أزاع عما هو عليه من الحب . واقر نقرار . بن الأبتزار ٦ قره أى مستقيم ٧ ذات الطلح أرض فيها  
شجر الصلح . ومحجر موضع بلاد ظبي . وأقر و- واسم ٨ الصبوح شرب المداة وقوله أغادى الصبوح  
أى أشرب الخمر في الغداة أى أول النهار ٩ المداة الخمر والمعتقة القديمة والتجر جمع التجر والتجر جمع  
تاجر ١٠ تبالة مدينة خصه اليمين وهكر مدينة أيضا اليمن . والحوذر ولد البقر . والدمى جمع دمية وهي  
الصورة المحسنة

إذا قامتا توضع المسك منهما  
كأن التجار أصدوا بسيئة  
فلما استطابوا صب في الصحن نصفه  
بماء سحاب زل عن متن صخرة  
لعمرك بما إن ضرتني وسط حمير  
وغير الشقاء المستبين فليتني  
برائحة من اللطيمة والقطر ١  
من الحص حتى أنزلوها على يسر ٢  
وشجت بماء غير طرق ولا كدر ٣  
إلى بطن أخرى طيب ماؤها خصر ٤  
وأقوالها إلا المخيلة والسكره  
أجر لساني يوم ذلكم مجر ٥

ثم انتقل إلى مدح سعد اقتضابا فقال : -

لعمرك ما سعد بخلة آثم  
لعمري لقوم قد نرى في ديارهم  
أحب إلينا من أناس بقنة  
يفاكنا سعد ويندو لجمعنا  
لعمري لسعد بن الضباب إذا غدا  
وتعرف فيه من أيه شمائلنا  
سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا  
ولا نأنا يوم الحفاظ ولا حصر  
مرابط للأمهارة والعكر الدثر  
يروح على آثار شائمهم النمر  
بمثنى الزقاق المترعات وبالجزر  
أحب إلينا منك يا فرس حمير  
ومن خاله ومن يزيد ومن حجر  
ونائل ذا إذا صحا وإذا سكر

١ توضع فاح وانتشر . واللطيمة ضرب من المسك الأزفر والقطر العود ٢ أصدوا ساروا . والسبيئة  
الخمر التي اشترت ثملات . والحص مدينة بالشام كانت مشهورة بالخمر الجيد . ويسر بلد كان يسكنه امرؤ  
القيس ٣ استطابوا أي أخذوا أطيب الماء واعذبه . والصحن قده كبير شبه العس العظيم . وشجت مزجت .  
والماء الطرق الذي بالت فيه الابل ، الخمر الباردة ، الأقوال الملوكة الصمار كالإقيال والمخينة الخيلاء والتكبير  
٤ المستبين الواضح . والجرحشق لسان الفصيل لتلا يرضع والمراد بقوله ليتني أجر لساني أي فليتني كان  
لساني محبوبا أو مقطوعا . والمجر هو فاعل الجر

عاد في هذه القصيدة إلى لهوه ولكنه لم يستطع المضى فيه من غير أن  
تعاوده ذكريات الهموم التي أصابته إذ يقول  
لعمرك ما إنضرتني ووسط حمير وأقوالها إلا المخيلة والسكر  
وغير الشقاء المستبين فليتنى أجر لساني يوم ذلكم فجر  
فهو في هذين البيتين بين علة فشله في استنجاد حمير وأقوالها ويدعو على  
نفسه دعاء المحرور النادم ولقد مال في هذه القصيدة إلى الهجاء ولكن  
عاطفة النبيل غلبت عليه ولبحت جموحه فترفع عن الأقداع على مقتضى  
أخلاق الملوك فلم يتجاوز حداً لا إشارة والتعريض في قوله  
أحب إلينا من أناس بقنة يروح على آثار شائهم النمر  
وقوله أحب إلينا منك يا فرس حمر

يريد بذلك هاني بن مسعود

على أننا في بعض الأحيان نجد شديداً الوطأة على خصومه مقدعاً في  
سبابه فمن ذلك قوله يذم البراجم ويربوعاً ودارماً وآل مجاشع لخذلانهم  
إياه ولخذلان عمه شرحبيل من قبله

ألا قبح الله البراجم كلها وجدع يربوعاً وعفر دارماً ١  
وآثر بالملاحاة آل مجاشع رقاب إماء يقتنين المفارماً ٢  
فما قاتلوا عن ربهم وريبيهم ولا آذنوا جاراً فيظعن سالماً ٣

---

١ البراجم هم قوم من بني حنظلة بن مالك بنهم خمسة أخوة الظالم وكلفة وغالب وعمر ووقيس وهم مرام  
واحدة ولهم أخوة لا يبيهم . - مدع يربوعاً أي قطع أنوفهم والمراد إذا الله وكذلك وعفر دارماً أي اذله وجعل  
وجوهها في العفر والتراب ٢ آثر احتص والملاحاة الملاماة ٣ ربهم سيدهم شرحبيل والريبب الناشئ في ذنوبهم  
وكان امرؤ القيس مسترضاً فيهم آذنوا جاراً أي أعلوه بأنهم غير ناصريه . ويظعن يرحل

ولا فعلوا فعل العوير بجاره لدى باب هند إذا تجرد قائما ١  
فما أشد قوله

رقاب إماء يقتنين المفارما

فأنه لم يقتصر في سباب آل مجاشع على جعلهم رقاب نساء بل جعلهم  
رقاب إماء وذلك أبلغ في الذل والدناءة ثم غلا في هذا السباب إلى أن أقذع  
وأفحش فأكد دناءة من شبههم بهن بأن جعلهن يتخذن المفارم وهي خرق  
تأخذها النسوة في فروجهن لتضييق ولا يصنع هذا إلا الفواجر العواهر  
لكثرة ما يفعل بهن

ومن محاسن شعره أيضا في هذا الطور قصيدته التي قال فيها :

رب رام من بنى ثعل متاج كفيه في قتره  
عارض زوراء من نشم غير باناة على وتره  
قد آتته الوحش واردة فنحى النزاع في يسره  
..... الخ

فقد مدح فيها الرامي ووصف الرماية وصفا لا يجيده إلا من كان مثله  
وقد جرى بعض أبياتها مجرى الأمثال لقوله .

فهو لا تنمى رهيته ماله لاعد من نفره

وقوله :-

وخليل قد أفارقه تم لا أبكى على أثره

وقوله . -

وابن عم قد تركت له صفو ماء الحوض عن لدره  
ولما سار امرؤ القيس إلى أرض الروم عارده ذكرى الشباب واللهم

فعبث في شعره وقال قصيدته التي يقول فيها

سمالك شوق بعد ما كان أقصرا      وحلت سليمان بطن قو فعرعرا ١  
كناينة بانة وفي الصدر ودها      مجاورة غسان والحى يعمرأ ٢  
بعينى ظعن الحى لما تحملوا      لدى جانب الأفلاج من جنب قيمرا ٣  
وجعل يصف الظاعنين بقوله  
فشبتهم فى الآل لما تكشوا      حدائق دوم أو سفينا مقيرا ٤  
أو المكروعات من نخيل ابن يامن      دوين الضفا اللانى يلين المشقرا ٥  
سوامق جبار أثيث فروته      وعالين قنوانا من البسر أحرا ٦  
حمته بنو الربداء من آل يامن      بأسياهم حتى أقر وأوقرا ٧  
وأرضى بنى الربداء وأعتم زهره      وأكاهه حتى إذا ماتهرأ ٨  
أطافت به جيلان عند قطاعه      فردت عليه الماء حتى تحيرا ٩  
وأخذ بعد ذلك فى وصف حبايبه بالطيب والنعمة وذكر ما كان له مع

١ سما ارتفع واقصر ترك وقو وعمره موضعان ٢ بانة أى بعدت وافترقت وكتابة أى منسوبة لكتابة  
وهى قبيلة مصرية ويعمر بطن من كنانة وغسان اسم ماء وبه سميت قبيلة غسان ٣ بعينى أى يعمر أى عيني  
ويروى بعينيك والظمن لارتحال والأفلاج الأهار الصغيرة وقيمير مدينة ٤ الآل السراب وتكشوا اخذوا  
فى سيرهم وحدوا به ٥ المكروعات من النخل التى على الماء وابن يامن صاحب نخيل بهجر والمشقر قصر  
بناحية اليمامة ٦ سوامق مرتفعات والجار الفتى من النحل وهو الذى فات الأيدى فلم تله والأثيث الملتف  
بعضه على نهض والقنوان المذوق والبسر ما أحر من الثمر ٧ بنو الربداء قوم من شق البحرين ولهم بصر  
بالنخيل وأقر استقر وأوقر حل ثمره ٨ اعتم زهره أى بدأ صلاح بصره وتم وأكاهه اقاعه وتهصر تذلل  
٩ جيلان قوم من اندية كان كسرى يرسلهم عمالا على البحرين واقطاع صرام النحل حتى تحيرا أى تحير فيه  
الماء من كثرة واصل ما يكون النخل اذا رسخ فى الوحل فى رواية اخرى تردد فيه العين والعين هنا هى عين الماء  
المعروفة بعين علم بالبحرين

سليمى فى سالف الدهر وجعل يعتب، على أسماء ويقول لها إن الجزاء من  
جنس العمل فقال

كان دمي سقف على ظهر مرمر كسا مزبد الساجوم وشيامصورا

نقراثر في كن وصون ونعمة يحلين باقوتنا وشذرا مفقرا

إلى أن يقول :-

أسماء أمسى ودهاقد تغيرا سنبدل إن أبدات بالود آخرا

ألاهل أناها والحوات جمه بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا ١

وانتقل بمد ذلك إلى تذكره أهله وماهو عليه من سفر واغتراب فقال :

تذكرت أهلى الصالحين وقدأتت على خملى خوص الركاب وأوجرا ٢

فلما بدا حوران والآل دونه نظرت فلم تنظر بعينيك منظرأ ٣

تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا ٤

يسير يضج العود منه يمنه أخو الجهد لايلوى على تعذراء ٥

ولم ينسنى ماقد لقيت ظعائنا وخملا لها كالقر يوما مخدرا ٦

كأثل من الأعراض من دون بيشة ودون الغميم عامدات بغضورا ٧

وخرج من هذا إلى وصف ناقته والفخر بنفسه فقال

---

١ يقرب هذه الكلمة معان كثيرة وأولها بالسياق هنا انه خرج هائما على وجهه لا يدري ما غبه لان ذلك  
المننى يتفق وحال امرئ القيس ٢ خملى وأوجر موضعان والخوص العائرات العيون واحدها اخوص  
او خوصا ٣ حوران جبل بالشام والآل المراب ٤ حماة وشيزر مدينان بالشام ٥ العود المسن من الأمل  
ويمنه يضعفه وأخو الجهد أى المتهجد الشديد. لايلوى على لاياتمت الى والتعذر تقديم العذر ٦ الظعائن النساء  
فى الهودج والخل الطعينة والقر الودج والمخدر المستور ٧ الأثل شجر والأعراض الأودية وييشة موضع كثير  
الأسد وقيل ناحية الطائف والغميم واد بديار حنظلة وغضور موضع



فدع ذا وسل الهم عنك بحسرة      ذمول إذا صام النهار وهجرا ١  
تقطع غطيانا كأن متونها      إذا أظهرت تكسى ملاء منشرا ٢  
بعيدة بين المنكبين كأنما      ترى عند مجرى الضفر هرام شجرا ٣  
تطير ظران الحصى بمناسم      صلاب العجى ملثومها غير أمعرا ٤  
كأن الحصى من خلفها وأمامها      إذا نجلته رجلها حذف أعصرا ٥  
كأن صليل المرو حين تشده      صليل زيوف ينتقدن بعقرا ٦  
عليها قى لم تحمل الأرض مثله      أبر بميثاق وأوفى وأصبرا ٧  
هو المنزل الآلاف من جونا ناط      بنى أسد حزنه من الأرض أوعرا ٨  
ولو شاء أن الغزو من أرض حير      وليكنه عمدا إلى الروم أنقرا ٩  
وذكر بعد ذلك جزع صاحبه عمرو بن قبيصة وكان في ركابه إلى قيصر  
وأردف ذلك بوصف الفرس فقال

١ الجسرة الناقة القوية الطويلة وذمول أى سرية وصام النهار أى قامت الظهيرة وهجر من الهجرة عند اشتداد الحر ٢ الغيطان واحدها غائط وهو المطنن من الأرض . أظهرت أى دخلت في وقت الظهيرة والملاء المنشر الثوب المذبذب ٣ المنك رأس العضد والضفر جبل يقتل من شعر وهو من أطاب المودح والهر القطع والمشجر المربوط المعلق ٤ الظران قطع من الحجارة محدودة والمعجى جمع عجاية وهى عصابة فى باطن يد الناقة وملتومها يريد خفها أى تلته الحجارة وغيره أى لم يذهب شعره ٥ نجلته أى رمته بمناسمها وأحذف الروم والأعصر الذى يعمل بيديه جميعا ٦ صليل المرو صوت الحجارة وتشده تطيره والزيوف الدراهم الخالية من الفضة وعقير موضع باليمن كانت دراهمه زيوف وزعموا أن عقرا وأد كثير الجن ٧ قوله قى يعنى نفسه والميثاق العهد ٨ ناطط جل باليمز فى أرض همدان والحزن الوعر من الأرض ٩ العمدا القصد وقوله أنقرا أى أنقرا أصحابه يريد اغترابهم يقول لو شاء أن يغزوهم من أرض حير أفضل وليكنه أراد أن يستعمل من بالروم . العاقبة فطلب تأ .

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه      وأيقن أنا لاحقان بقيصرا  
فقلت له لا تبك عينك إنما      نحاول ملاحكا أو نموت فنعدرا  
وإني زعيم إن رجعت ملاحكا      بسير ترى منه الفراتق أزورا  
على لاحب لا يهتدى بمناره      إذا سافه العود النباطى جرجرا  
على كل مقصوص الذنابى معاود      يريد السرى بالليل من خيل بربرا  
أقرب كسرحان الغضى متمطر      ترى الماء فى أعطافه قد تحدرا  
إذا زعته من جانبيه كليهما      مشى الهيدى فى دفه ثم فرفرا  
إذا قلت روحنا أرن فراتق      على جلعد واهى الأباجل أبترا  
وبعد ذلك أخذ فى شكاية حاله وذكر مآله وجعل يبكي على أيامه

### الخوالى فقال

١ زعيم أى كفيل والفراتق الأسد والأزور المائل ٢ الاحب الطريق الواضح والمزار العلامة توضع على الطريق للاهتداء بها وقوله لا يهتدى بمناره أى ليس له منار يهتدى به والعود الجبل المسن وسافه أى شمه والنباطى الضخم وجرجر أى رغا وضحج ٣ مقصوص الذنابى أى محذوف الذنب وقد كانت العادة ان تحذف اذنان خيل البريد ليكون ذلك علامة لها . معاود أى معتاد السير . ويريد السرى رسول السير ليلا ويرى قبيلة معروفة بالقيام على خيل البريد ٤ الاقرب الضامر والسرحان الذئب والغضى شجر ومتمطر أى ساق واعطائه نواحيه ويريد بالماء العرق • الزوع الجذب باللجام واليهيدى ضرب من المشى السريع ودفه جنبه وفر فرغض رأسه ٦ روحنا ارحنا من تعب السير . ارن فراتق أى صاح اسد والجلعد القوى العليظ والاباجل جمع ابجل وهو عرق الاء كل وابتر أى محذوف الذنب وقوله واهى الأباجل أى مدود عروق الاء كل

لقد أنكرتني بعلبك وأهلها  
نشيم بروق المزن أين مصابه  
من القاصرات الطرف لودب محول  
له الويل إن أهسى ولا أم هاشم  
أرى أم عمرو دمعا قد تحدرا  
إذا نحن سرنا خمس عشرة ليلة  
إذا قلت هذا صاحب قد رضيته  
كذلك جدى ما أصاحب صاحبا  
وكنا أناسا قبل غزوة قرمل  
وما جبت خيلي ولاكن تذكرت  
الأرب يوم صالح قد شهدته  
ولا مثل يوم في قذاران ظلمته  
ونشرب حتى نحسب الخيل حولنا

ولا بن جريج في قرى حمص أنكرا ١  
ولا شىء يشفى منك يا ابنة عفزرا ٢  
من الذرفوق الأتوب منها لا ترا ٣  
قريب ولا البسباسة ابنة يشكرا  
بكاء على عمرو وما كان أصبرا  
وراء الحساء من مدافع قيصر ا ٤  
وقرت به العينان بدلت آخرها  
من الناس إلا خاتني وتغيرا ٥  
ورثنا الغنى والمجد أكبر أكبرا  
مرابطها بن بربعيص وميسرا ٦  
بناذف ذات التل من فوق طرطرا ٧  
كأني وأصحابي على قرن أعفرا ٨  
نقادا وحتى نحسب الجون أشقرا ٩

١ بعلبك مدينة بالشام وقوله لقد أنكرتني أي لم يعرف فيها قدرى ٢ شيم نظر وبروق المزن لمعان السحاب  
وأي مصابه أي أين يقع مطر ٣ من القاصرات أي من النساء اللاتي حين اعينهن على ازواجهن والمحول الذي  
أتى عليه حول الحساء مواضع سهلة يستمتع فيها الماء ومنردها حتى والمدافع المواضع التي يحمرها ويدفع  
عنها ومعنى البيت إذا توغلنا في بلاد قيصر ٤ جدى أي حظى ٥ بربعيص وميسر موضعان ٧ ناذف وطرطرا  
موضعان بالشام أوقع فيهما بمدوره وقد وصف اليوم بالصلاح لأنه نال فيه ما أثنى ٨ قذاران موضع كان ظهره  
فيه أكثر من ظهره بناذف وثلمته أي ظلمته وقرن أعفرا أي قرن ظلي يبر إلى الحدر والاحتد الحرة وإلى  
وأصحابه كانوا في هذا الموضع على غير استقرار وظلمة ٩ نسرت نسكر والنقاد صغار الضأن والجون الأبيض  
خباطة سوادها الأسماء ما حه ساخر بهم كأنهم كاهن شمر من حته ذهب تمددهم من الأشجار المنسابة

وقد جمعت هذه القصيدة صفات شعره في الطور الأول فإنه شبب فيها  
وذكر المعاهد والأماكن التي مر عليها في طريقه  
وأنت تجد أن هذا الشعر صادر عن نفس نبيلة لا تلهيها قسوة الزمن  
عن الحديث عن الشرف والمجد والنبالة ألا ترى إلى قوله وهو يعالج هما  
ويتقلب على أشواك غربة ومحنة

فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعدرا

ومن شعره في هذا الطور أيضا قصيدته التي مطلعها

الما على الربع القديم بعسعسا      كأنى أنادى أو أظلم أخرسا ١  
وفيهما يقول

فلو أن أهل الدار فيها كعهدنا      وجدت مقبلا عندهم ومعرسا ٢

فلا تذكروني إني أنا ذاكم      ليالى حل الحى غولا فألعسا ٣

تأوبى دأى القديم فعلسا      أحاذر أن يرتد دأى فأنكسا ٤

فأما تُربنى لا أغمض ساعة      من الليل إلا أن أدب فأنعسا ٥

---

١ الماى انزلا وعسعس موضع مقيلا المراد انزلا فى ادبار الليل وآخره ٢ كعهدنا أى كما عهدناهم نزولا فيها وإنما قيل موضع النزول فى نصف النهار والمعرس موضع النزول فى آخر الليل ٣ غولا وألعس موضعان ٤ تأوبى أى جاء مع الليل وقوله فليس أى فى الغلس وانكس أى يعاودنى دأى القديم وفى هذا البيت يشير امرؤ القيس إلى أن انتقرح الذى أصابه عند اقتراب منيته كان قد أصابه قبل ثم عاد إليه وهذا يرجح ما ذهبنا إليه من أن وفاته كانت بالجدرى وأن الحلة المسمومة من مزاعم التاريخ ٥ اكس

فيارب مكروب كررت وراهه ١ وطاعنت عنه الخيل حتى تنفيسا ١  
ويارب يوم قد أروح مرجلا ٢ حبيبا إلى البيض الكواعب أملسا ٢  
يرعن إلى صوتي إذا ما سمعته ٣ كاترعوى عيط إلى صوت أعيسا ٣  
أراهن لا يحبين من قل ماله ٤ ولا من رأين الشيب فيه وقوسا ٤  
وما خلت تبريح الحياة لما أرى ٥ تضيق ذراعي أن أقوم فألبسا ٥  
فلو أنها نفس تموت جميعا ٦ ولكنها نفس تساقط أنفسا ٦  
وبدلت قرحا داميا بعد صحة ٧ فيالك من نعمي تحولن أبوسا ٧  
لقد طمع الطماح من نحو أرضه ٨ ليلبسني من دائه ما تلبسا ٨  
ألا إن بعد العدم للدرء قنوة ٩ وبعد المشيب طول عمر وما بسا ٩  
ويدل قول امرئ القيس

وبدلت قرحا داميا بعد صحة ١ فيالك من نعمي تحولن أبوسا ١  
لقد طمع الطماح من نحو أرضه ٢ ليلبسني من دائه ما تلبسا ٢

علي أنه قال تلك القصيدة بعد ارتحاله عن ديار قيصر وحين أصابه ما أصابه  
من تقرح بدنه عند اقتراب منيته

١ المكروب الواقع في كربة وقوله حتى تنفس أي حتى دعت عنه أعدائه وانفجرت الموقف أمامه ٢ المرحل  
المسرح الشعر والكواعب جمع كاعب وهي الجارية التي تكعب ثديها وأملس أي لم تذب عارضته ٣ يرعن  
أي يرجعن وبلغتن والعيط جمع عيطاء وهي الناة الفتية التي لم تحمل والأعميس "نحل النوى يضرب نياحه  
إلى الحرة" قوس أي انحنى ظهره لكبر سنه ٤ التبريح شدة البلاء ٥ نرته تموت جريته أي التي لموت  
بدفعة مرة واحدة وادكن نفسى لما بها من المرض تقلع قليلا قليلا وتخرج حينئذ نسيدها من طول المرض  
وشدته ٦ أبوس جمع بؤس ودو البلاء والشدة ٧ طمع نظر عن بعد ٨ العدم الفقر والشدة . والقنوة  
الغنى والرخاء

ومن محاسن شعره في هذا الطور أيضا قصيدته العينية التي بدأها  
توذيده الصبا ومخينه إلى أيامه وذكر ما كان له في تلك الأيام من لحو  
ومرسخ .قال

أصبحت ودعت للصبا غير أنني أراقب خللات من العيش أربعا  
مفهن قولي للندامى ترفقوا يداجون نشاجا من الخمر مترعا  
يومنن ركض الخيل ترجم بالقنا يبادرن سرى آمنا أن يفزعا  
وهنن نص العيس والليل شامل ييمن مجمولا من الأرض بلقعا  
منحوا ربح من برية نحو قرية يحددن وصلا أو برجين مطمعا  
دومنن سوق الخود قدبها الندى نراقب منظوم التأمم مرضعا  
يعز عايبا ريتى ويسوءها بكاه فتثنى الجيد أن يتضوعا  
إلى أن يقول

إذا أخذتها هزة الروع أمسكت بمنكب مقدم على الهول أروعا  
وكان بين امرئ القيس وبين سبيع بن عوف بن مالك بن حنظلة قرابة  
فتزل سبيع على امرئ القيس وسأله فلم يعطه شيئا فتال سبيع أبياتا يعرض  
فيها بامرئ القيس فرد عليه أمير الشعر بقصيدة جرى فيها على عادة القدامى  
مبدأها بذكر الديار والأطلال فتال

لمن الديار غشيتها بسحام فهايتين فهضب ذى أقدام ة

١ التشاج ذق الخمر ٢ نص العيس أى سوق الأبل ويوم من يقصدن ولمنع أى خال ٣ الخود العادة الحساء  
وقوله سوق الخود أى شهما ة سحام وما بعدها أسماء مواضع . والحضب جمع هضة وهى القطة من الجمل

فصفا الاطيط فصاحتين فغاضر تمشى النعاج بها مع الآرام ١  
 دار لهند والرباب وفرتنا ولميس قبل حوادث الأيام  
 عوجا على الطلل المحيل لآتنا نكي الديار كما بكى ابن حزام ٢  
 وتدرج من ذلك إلى التشبيب بصواحبه في غزل رقيق فقال :-  
 أو ماترى أظمانن بواكرا كالنخل من شوكان حين صرام ٣  
 حور تعلل بالعبير جلودها بيض الوجوه نواعم الأجسام ٤  
 ثم وصل ذلك بذكر معتق الخمر وما تفعله في جسم شاربها فقال :  
 فظلمت في دمن الديار كأنتى نشوان باكره صبوح مدام ٥  
 أنف كلون دم الغزال معتق من خمر عانة أو كروم شبام ٦  
 وكان شاربها أصاب لسانه هوم يخالط جسمه بسقام ٧  
 وانتقل من هذا إلى وصف ناقته وسرعة سيرها فقال  
 ومجدة نساتها فتكشمت رتك النعامة في طريق حام ٨

١ صفا الاطيط وصاحتان وغاضر أسماء مواضع والنعاج دقر الوحش والآرام من الغزلان ٢ عوجا عرجا  
 واعطفا والطلل المحيل الندی أنت عليه الاحوال فقيرته وابن حرام رجل بكى الديار قبل امرى القيس  
 ٣ واكر مبكرات وشوكان موضع وصرام النخل قطافه ٤ حور جمع حورا. والحور من علامات الجنال وهو  
 شدة ياض العين وشدة سوادها وقوله تعلل بالعبير جلودها أى تطيب جلودها بالطيب والزعفران مرة بعد مرة  
 ٥ الدمن آثار السكان والنشوان السكران وماكره عجل اليه والصبوح الشرب صباحا ٦ يقال كأس أنف  
 أى لم يشرب من دمنها أحد قبله ودم الغزال أشد الدماء حرة ولذلك شهباه وعانة وشبام موضعان تطيب فبها  
 الخمر ٧ الموم مرض يهذى فيه ٨ ومجدة أى رب ناقته ونساتها أى دفعتها بالمسأة وهى العصى وتكشمت أسرع  
 وقوله رتك النعامة أى تهتز في سيرها اهتزاز النعامة وحام حار متوهج والنعامة اذا مشت في الرضا حرت جرياشديدا

تخدى على العلات سام رأسها روعاء منسما رثيم دام ١ -  
فجزيت خير جزاء ناقة واحد ورجعت سالمة القرى بسلام ٢  
وخرج من ذلك كله إلى تهكمه بسبيح تهكما دونه حد المواسى فقال  
أبلغ سبيعا إن عرضت رسالة أنى أظنك إن عشوت أحامى ٣  
فأقصر إليك من الوعيد فأتى بما ألقى لأشد حزامى ٤  
وأستطرد بعد هذا إلى نخره على سبيح وذكر شجاعته وبطشه وكرم  
محمده وعنصره فقال

وأنا المنبه بعد ماقد نوموا وأنا المعان صفحة الزوام ٥  
وأنا الذى عرفت معد فضله ونشدت عن حجر بن أم قطام ٦  
إلى أن يقول  
وأنازل البطل السكريه نزاله وإذا أناضل لا تطيش سهامى ٧  
وقد كان امرؤ القيس يسخر بشيء من عادات الجاهلية ويظهر أثر هذه  
السخيرية في نصيحته لهند إذ يقول لها  
أيا هند لا تنكحى بوهة عليه عقيقته أحسبا ٨

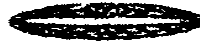
---

١ تخدى تسرع والعلات جمع علة وسام مرتفع وروعاء قوية القلب ومنسما طرف خفها والرثيم الملتصق بالدم  
٢ القرى الظهر ٣ عشوت أى نظرت نظرا ضيقا وأحامى ادافع ٤ أقصر اليك من الوعيد أى امسك عليك  
ووعيدك وقوله لا أئمد حزامى أى لست فى حاجة الى أن استعد لمثلك ٥ قوله وأنا المنبه بعد ماقد نوموا أى اغير  
على أعدائى فأنبههم وأواجههم وهم مستيقظون بالقتال وذلك لاقتدارى عليهم والمعان الذى يقابل القوم وسما  
لوجه ٦ نشدت أى رفعت ذكره فى الناس ٧ أنازل أقاتل وأناصل أى أرمى بالسهم وقوله لا تطيش سهامى  
أى لا تتجاوز الغرض ولا تخطفى المرى ٨ البوهة البومة العظيمة وقال الحليل الرجل الضعف والعقيقة الشعر  
الذى يولد به المفلح والأحسب الذى أبيضت حلده وفسدت شعرته



مرسعة بين أرساغه به عسم يبتغى أرنبا ١  
ليجعل في كفه كعبها حذار المنية أن يعطبا ٢  
ولست بخزافة في القعود ولست بطياخة أخدبا ٣  
ولست بذى رثية لأمرا إذا قيد مستكرها أصحبا ٤

١ المرسعة الرجل الذى فسدت عينه وتغيرت والأرساغ جمع رساغ وهو سير يضفر ويشد فى الساق الى  
وتد فيمنعه من المشى والسم يابس فى المرفق يموج منه الكنف ٢ أى انه جاهل يظن ان كعب الأرنب اذا  
علقه على كفه دفع عنه الموت وهذه اشياء كانت العرب تعتقدها ومنها ان الرجل كان اذا قدم على بلد فيه  
وباء فصاح صيحة الحير عشراوقى ونحما وشرها ومنها اذا اصاب الصى عين فعلق عليه عقد من ملح ورقى له  
فى الماء وصب عليه زال ذلك ٣ الخزافة الكثير الكلام الخفيف والطياخة الذى لا يزال يقع فى بلية وسوء  
والأحدب الذى يركب رأسه ولا يتمالك عن الحق والجهل ٤ الرثية مرض المفاصل وهو الروماتيزم والامر  
الضعيف من الرجال الطواعية وقوله اذا قيد مستكرها اصحبا أى اذا دعى لأمريكره انقاد الى من دعاه  
وصحب من قاده



## حول ما أخذ العلماء

على

### امرى القيس في أشعاره

عاب الباقلانى ومن على شاكلة من أهل النظر الغابر على امرى القيس  
قوله في معلقته

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل  
فتوضح فالمقراة لم يعنف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال  
فقالوا إنه استوقف من يبكى لذكرى الحبيب وذكره لا تقتضى بكاء  
الخلى وإنما يصح طلب الأُسعاد في مثل هذا على أن يبكى لبكائه ويرق لصديقه  
في شدة برحائه فأما أن يبكى حبيب صديقه وعشيق رفيقه فأمر محال فإن كان  
المطلوب وقوفه وبكاؤه أيضاً عاشقاً صرح الكلام وفسد المعنى من وجه  
آخر لأنه من السخف ألا يغار على حبيبه وأن يدعو غيره إلى التنازل عليه  
والتواجد معه فيه . ثم في البيتين ما لا يفيد من ذكر هذه المواضع وتسمية  
هذه الأماكن من الدخول وحومل وتوضح والمقراة وسقط اللوى وقد كان  
يكفيه في التعريف بعض هذا . وهذا التظويل إن لم يفد كان ضرباً  
من العي «

وذلك منهم تحامل ما كان ينبغي فإن الشاعر وقف واستوقف وبكى  
واستبكى وذكر العهد والمنزل والحبيب وتوجع واستوجع . كل ذلك في بيت  
واحد مما جعل الأدباء يعدونه بحق من أجود مطالع الشعر العربى وضرروا

بحسنه المثل فتمالوا ( أحسن من قفانبك ) ولكي نخلص هذا الشعر من الشبه  
التي قامت برءوس النقاد وحامت حوله نقول إن الشاعر أراد بالحبيب والمنزل  
الجنس فكأنه قال ليقف كل منا بيكي صفاء عيشه وتمتعه بحبيته في تلك  
المنازل الشاغلة لتلك النواحي التي سماها حيث الدخول فحومل  
فتوضح فالمقراة

وقالوا أيضا ( كان ينبغي أن يقول لما نسجها ولكنه تعسف فجعل (ما)  
في تأويل التأنيث لأنها في معنى الريح والاولى التذكير دون التأنيث وضرورة  
الشعر قد دلته على هذا التعسف )

ولكن التعسف منهم لا منه فإن اللغة تجيز له قوله فقد قال التبريزي  
« قوله لما نسجتها (ما) في معنى تأنيث والتقدير للريح التي نسجت المواضع  
والهاء تعود على الدخول وحومل وتوضح والمقراة ونسجت صلة ما ومافيه  
من الضمير يعود على ما »

وقال بعض أئمة اللغة يجوز أن يكون ما في معنى المصدر يذهب إلى أن  
التقدير لنسجها الريح أي للتي نسجتها الريح ثم أتى بمن مفسرة فقال من  
جنوب وشمال ففي نسجت ذكر الريح لأنه لما ذكر المواضع والنسج والرسم  
دلت على الريح فكفى عنها لدلالة المعنى عليها .

وفوق هذا كله فأن في البيت رواية أخرى تدفع توهمهم وهي

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجته من جنوب وشمال

والهاء تعود على الرسم

وقالوا أيضا « كان ينبغي أن يقول لم يعف رسمه لأن الضمير يعود على المنزل وهو مذكر ، وإعادة على الأمان والبقاع المسافة التي المنزل واقع بينها فذلك خلل لأنه إنما يريد صفة المنزل الذي رحل عنه حبيبه ولم يبق سوى أن أعاده على المنزل مؤولا له بالدار ، وهم ينكرون ذلك التأويل تأويل المنزل بالدار ويزعمونه خللا ولاكتنا نقول لهم إن أبا عمرو قال سمعت أعرابيا يقول ( فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها ) قال أبو عمرو . فقلت أتقول جاءته كتابي ؟ فقال أليس بالصحيفة ؟ . وقال بعض العلماء ( الأظهر أن رسوم المنازل حيث كانت بهذه الأمان صحت إضافتها إليها )

\*\*\*

وعاب عليه الباقلاني قوله :

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لاتهمك أسى وتجمل  
وإن شفائي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول  
فقال « ليس في البيتين معنى بديع ولا لفظ حسن » ونحن نقول له إن  
الفاظ هذين البيتين حوك العذوبة ونسج الرقة وإنها لتسبق في الوصول  
إلى السمع والتغافل في القلب فأى لفظة فيها حوشية مستكرهة أو ساقطة  
متسفة فما أجمل الصحب والوقوف بهم على المطى وما أشبه التحمل وعدم التهلكة  
من الأسى وما أندى على الفؤاد تلك العبرة المهراقة وما أجدى إلى النفس  
معول عند رسم دارس . أما عن بداعة المعنى الذي يستكره الباقلاني فأنا  
لأنوافق على ذلك ونرى أن امرأ القيس أفاد وأجاد فقد أوقف أصحابه عليه بمطيهم

يواسونه في آلامه وبرحائه ويعينونه على الصبر والجلد يقولون له عنك  
والأسي لاتهلك ولكن أمراً القيس يرى أن وجدته لاتنفع حيا له كلمات  
السلوان وأن شفاه من آلامه عبرة مهراقة لو استطاع إليها سبيلا فأن دمه  
عصى ولا يجدى البكاء عند الرسم الدارس

وعلى ذلك فانتقاد الباقلاني لمعنى البيتين ولفظهما ضرب من التحامل  
وتوهم عرى من الفائدة وليس أدل على ما ذهبنا إليه من حسن هذين البيتين  
من أن طرفة بن العبد أخذ بيت امرئ القيس الأول بجملة وأدخله في  
معلقته بلفظه ونظمه وترتيبه

وقال الباقلاني في نقد هذين البيتين أيضا « قوله بها متأخر في المعنى  
وإن تقدم في اللفظ ففي ذلك تكلف وخروج من اعتدال الكلام » والحق  
عندي أنه لا تكلف ولا خروج من اعتدال الكلام وإن كان قوله ( بها )  
متأخرا في المعنى متقدما في اللفظ فليس ذلك بضائر أمير الشعر ولا منزل  
من قدره مادام كلامه جاريا على قوانين النحو وأساليب العرب وليس فيه  
تعسف ولا تعقيد

وقال الباقلاني أيضا « البيت الثاني مختل من جهة أنه قد جعل الدمع في  
اعتقاده شافيا كافيا فما حاجته بعد ذلك إلى طلب حيلة أخرى وتحمل ومعول  
عند الرسم الدارس ولو أراد أن يحسن الكلام لوجب أن يدخل على أن  
الدمع لا يشفيه لشدة ما به من الحزن ثم يسأل هل عند الربع من حيلة  
أخرى »

وكانني بالباقلاني آجره الله لا يعلم أن المعهود عند الناس جميعا أن في  
البكاء راحة وترفيها عن المحزون فما يريدہ الشيخ خلاف ما عليه العرب وضد  
ما يعرف مرعانيها لأن من شأن الدمع أن يطفىء ويبرد حرارة الحزن  
ويزيل شدة الوجد ويعقب الراحة وهو في أشعارهم كثير موجود ينحى به  
هذا النحو من المعنى فمن ذلك قول امرئ القيس الذي ينكر عليه الباقلاني

• وإن شفائي عبيرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول  
وقول ذي الرمة :

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفى نجي البلايل  
وقول الحسن بن وهب :

أبك فما أكثر نفع البكا والحب إشفاق وتعليل  
وهو إذا أنت تأملته حزن على الخدين محلول

وقول المرزوق

• فقلت لها إن البكاء لراحة به يشفى من ظن أن لا تلاقيا  
وقول أبي تمام

واقعا بالحدود والبرد منه واقع بالقلوب والاكباد  
وقوله أيضا .

فلعل عينك أن تجود بمائها والدمع منه خادل وهواسي  
وقوله أيضا :

فلعل عبيرة ساعة أذريتها تشميك من إرباب وحد محول

وقوله أيضا :

نثرت فريد مدامع لم تنتظم      والدمع يحمل بعض ثقل الماخرم  
وهذا كثير في أشعار العرب ولو أن واحدا من الشعراء خرج عن ذلك  
المألوف - الذى ظنه الباقلانى عيبا وما هو بالعيب - لكان مفعيبا وكذلك نرى  
الآمدى يعيب على أبى تمام قوله :

ظعنوا فكان بكأى حو لا بعدهم      ثم ارعويت وذاك حذكم لبيد  
أجدر بجمرة لوعة إطاؤها      بالدمع أن تزداد طول وقود  
فقال لو كان أبر تمام اقتصر على المعنى الذى جرت به العادة في وصف  
الدمع لكان المذهب المستقيم ولكنه أحب الأعراب فخرج إلى ما لا يعرف  
من كلام العرب ولا مذاهب سائر الأمم وقد تبعه على الخطأ البحتى فتمال  
فعلام فيض مدامع تدق الجوى      وعذاب قلب في اجتناب معذب  
وعلى ذلك فما يريد الباقلانى خروج إلى ما لا يعرف من كلام العرب  
ولا مذاهب سائر الأمم ومن هذا نرى أنه لو جاء بيت امرئ القيس كما  
يريد الباقلانى لكان مفعيبا مخالفا للمألوف ومشتملا على غلو ومبالغة مردولة  
غير مقبولة على أن فى البيت رواية أخرى وهى  
وإن شفانى عبرة إن سفحتها

وفى هذه الرواية نرى امرأ القيس جعل فى العبرة شفاءه ولكن هذه  
العبرة متوقفة فى الوجود على الشرط الذى بعدها وهو قوله ( إن سفحتها )  
ولفظه ( إن ) فى هذا البيت محتملة معنى الشك وينبنى على هذا الشك أن

سفع العبرة غير حاصل وعلى ذلك فالشفاء غير متوقع فكانه يقول إن شفائي  
عبرة إن سفعها وأنى لي ذلك وقد غاض المعين وأجذب المرعى

❦

وعيب على امرئ القيس قوله :

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها

قالوا إنه أكذب نفسه بعد ذلك فقال :

وهل عند رسم دارس من معول

وذلك العيب مردود أيضا فليس قوله ( وهل عند رسم دارس من  
معول ) مناقضا لقوله ( لم يعف رسمها ) لأن معناه لم يعف رسم حبها من قلبى  
وإن نسجتها ريح الجنوب وريح الشمال و كانت في نفسها وحققتها دارسة  
وقيل إن معنى ( لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال ) أنها لم يعف  
رسمها للريح وحدما وإنما عفا للمطر والريح ومر السنين وغير ذلك من أحداث  
الزمن . وقال الأصمعي أيضا معنى ( وهل عند رسم دارس من معول )  
أنه قد درس بعضه ولم يدرس كله كما تقول درس كتابك أى ذهب بعضه  
وبقى بعضه . ومن كل هذا نرى أن الشاعر ما أكذب نفسه ولا ناقضها

❦

وعاب عليه الباقلانى وأضرا به قوله

إذا قامت توضع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

فقالوا في نقده ، ولو أراد أن يهود هذا البيت لأفاد أن بها طيبا على كل



حال فأما في حال القيام فقط فذلك تقصير . وقالوا أيضا إنه بعد أن شبه عرفها بالمسك شبهه بريا القرنفل وذكر ذلك بعد ذكر المسك نقص لانه بدل أن يترقى من الأدنى إلى الأعلى انحدر من الأعلى إلى الأدنى وهذا معيب ،

ويرد عن العيب الأول بأنه جرى على المعروف من أن الرائحة الطيبة تفوح بقوة زائدة متى وقع الجسم الذي تقوم به في حركة لتموج الهواء الذي تنتشر به الرائحة

وردنا عن العيب الثاني أن عرض امرئ القيس تشبيه انتشار رائحتها الطيبة عند قيامها بانتشار الرائحة الذمية التي يهب عليها النسيم أيًا كان مبعثها وليس مراده تشبيه نفس الرائحة بالقرنفل بعد أن شبهها بالمسك . وعلى ذلك فليس هناك انحدار في المعنى من الأعلى إلى الأدنى لأن المعنى مبنى على مطلق تشبيه رائحتها برائحة ذكية

وجاء في خزنة الأدب الكبرى أن هذا البيت ( إذا قامت... الخ ) اتسع النقاد في تأويله ، فمن قائل تضوع المسك منهما بنسيم الصبا ومن قائل تضوع نسيم الصبا منهما ومن قائل تضوع المسك منهما تضوع نسيم الصبا - وهذا هو الوجه - ومن قائل تضوع المسك منهما بفتح الميم - يعنى الجلد - بنسيم الصبا ، وقال ابن المستوفى في شرح أبيات المفصل : حدثني الامام أبو حامد سليمان قال : كنا في خوارزم وقد جرى النظر في بيت امرئ القيس إذا قامت تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

فقالوا كيف شبه تَضُوع المسك بنسيم الصبا والمشيه ينبغي أن يكون مثل المشيه به والمسك أطيب رائحة؟ وطال القول في ذلك فلم يحققوه. وكان سألني عنه فأجبت لوقتي إنه شبه حركة المسك منها عند القيام بحركة نسيم الصبا لأنه يقال تَضُوع الفرخ أى تحرك ومنه تَضُوع المسك تحرك وانتشرت رائحته، وذلك أن المرأة توصف بالبطء عند القيام فحركة المسك تكون إذا ضعيفة مثل حركة النسيم وانتشاره كانتشاره فالنشيه صحيح، والنسيم الريح الطيبة، ونسيم الريح أولها حين تقبل بلين، ولقائل أن يقول: إن نسيم الصبا وهي الريح الطيبة إذا جاء بريا القرنفل وهي أيضا ريح طيبة قاربت وريح المسك... وبعد أن جرى ذلك بمدة طويلة وقع إلى كتاب أبي بكر محمد ابن القاسم الأنباري في شرح القصائد السبعيات فوجده ذكر عند هذا البيت قولاً حسناً وهو قوله: ومعنى تَضُوع المسك أخذ كذا وكذا (وهو تفعل من ضاع يضوع) يقال للفرخ إذا سمع صوت أمه فتحرك قد ضاعته أمه تَضُوعه ضوعاً. فلا حاجة مع قوله أخذ كذا وكذا إلى تمحل لذلك ويكون التقدير تَضُوع المسك منها تَضُوع نسيم الصبا أى أخذ كذا وكذا كما أخذ النسيم كذا وكذا. اهـ

والزوزني يقول إذ أقامتا (أم الحويرث وأم الرباب) فاحت ريح المسك فبهما كنسيم الصبا إذا جاءت يعرف القرنفل ونشره. شبه طيب رياهما بطيب نسيمه على قرنفل وأنى برياه. اهـ

وبعد هذا كله فأن في البيت رواية أخرى تدفع كل عيب متوهم ذكرها

ابن أيوب وهي

إذا التفت نحوى تضوع ريحها نسيم الصبا جاءت برياً القرنفل

٥٥

وعابوا عليه أيضاً قوله : -

فماضت دموع العين منى صبابة على النحر حتى بل دمعى محملى  
فقد قالوا استعانتته بقوله ( منى ) استعانة ضعيفة عند المتأخرين في  
الصنعة وهو حشو غير ملبح ولا بديع وقوله ( وعلى النحر ) حشو آخر  
لأن قوله ( بل دمعى محملى ) يعنى عنه ويدل عليه وليس بحشو حسن .  
ثم قوله ( حتى بل دمعى محملى ) إعادة ذكره الدمع حشو آخر و كان يكفيه  
أن يقول حتى بلت محملى فاحتاج لإقامة الوزن إلى هذا كله ، وقالوا أيضاً  
« لو كان أبدع لكان يقول حتى بل دمعى معانيمهم وعرصانهم »

ونقض العيب الأول أن قول الشاعر ( منى ) قامت مقام إضافة العين  
إلى ضمير المتكلم . ولو قال الشاعر ( دموع عيني ) لكان حقيقته لفظ  
( منى ) حشوا مردولاً ولا يمكنه لم يقل ( عيني ) وإنما قال ( العين ) وعلى  
ذلك فلايس في قوله ( منى ) حشو كما زعموا . ونحن لا ننكر أن الإضافة  
لو ساعد عليها الوزن تكون أظرف وأخف على الذوق من  
زيادة ( منى ) .

أما عن العيب الثانى فنحن نقول لهؤلاء العائبين المتوهمين . إنما العيب  
هو إيراد الكلام الذى يعنى فيه الأول عن الآخر أما عكس ذلك من

إغناء الآخر عن الأول وهو الذى نهج عليه امرؤ القيس فمقبول لا عيب فيه لأن اللفظ الأول قرر معنى فى نفس السامع ثم جاء المعنى الثانى ودل على معنى جديد وفى ضمنه الدلالة على المعنى الذى دل عليه الأول أما عن عيهم الثالث فأن قصارى ما فيه الأظهار فى مقام الأضمار وهو هنا غير معيب إذ لا ينبو عنه الذوق وقد أ كسب التركيب مكانة لأن المقام مقام تمجع وحزن

وفيه قوة الأيماء إلى أن الدمع الذى هو معروف بالقلة ومعهود بعدم الانحدار إلى ما وراء الحدود قد استرسل وانتشر إلى أن سال على النحر وبل المحمل ، ولم يعال امرؤ القيس فيدعى أن دمعه بل مغانيم ورسومهم لأن البعد عن الحقيقة إلى هذا الحد والتطوح فى المبالغة إلى هذا المقدار إنما يميل إليه المولدون .

وبعد ما سبق فهناك اعتراض على البيت ذكره التبريزى وتولى بنفسه الرد عليه فقال ( وما يسأل عنه فى هذا البيت أن يقال كيف يبيل الدمع محمله وإنما المحمل على عاتقه فيقال قد يكون منه على صدره فأذا بكى وجرى الدمع عليه ابتل )

\*\*\*

وما عابه عليه الباقلانى، أيضا قوله :-

فذل العذارى برتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل  
فقال « إنهم يعدون هذا البيت حسنا ويعدون الشديه ما يحاواقعا ، وفيه

شيء وذلك أنه عرف اللحم ونكر الشحم فلا يعلم أنه وصف شحمها . وذكر تشبيه أحدهما بشيء واقع وعجز عن يشبيه القسمة الأولى فمرت مرسلته وهذا نقص في الصنعة وعجز عن إعطاء الكلام حقه »

وردنا على هذا القول أنه لا عيب في التعريف والتنكير في قوله ( بلحمها وشحم ) لأن المعنى المقصود بلحمها وشحمها . وإنما يعتبر التعريف والتنكير عيباً فيما لو قال امرؤ القيس ( باللحم منها وشحم ) لافي الوزن فحسب بل في الفن البياني . وكذلك لو قال أيضاً ( بلحمها وشحمها كهداب الدمقس المقتل ) لكان ذلك عيباً لرجحان أحد القسمين على الآخر بالتشبيه . وكذلك لو قال ( بلحمها والشحم كهداب الدمقس المقتل ) لكان ذلك عندنا معيباً أيضاً لأنه خارج على الذوق الفني وهذا الذوق يدرك ولا يحس . ثم إن التشبيه الذي خص به امرؤ القيس الشحم ألسبب قوله ( وشحم ) قوة التعريف ومن ذلك نفع على السر الفني وحسن الذوق البياني في أن امرأ القيس شبه الشحم وترك القسمة الأولى وهي اللحم مرسلته دون تشبيه لتكون القسمتان متعادلتين في القوة وليحصل التوازن بينهما فلا ترجح إحداهما على الأخرى

وعلى هذا فامرؤ القيس ما قصر في الصنعة ولا نقص فيها ولا عجز عن إعطاء الكلام حقه كما وهم الباقلاني بل إنه كان بارعاً في منه البياني وفلسفته الكلامية وقال الباقلاني أيضاً في نقد البيت السابق « وفيه شيء آخر من جهة المعنى وهو أنه وصف طعامه الذي أطعم من أضاف بالجودة وهذا قد يعاب وقد

يقال إن العرب تفتخر بذلك ولا يروونه عيبا وإنما الفرس هم الذين يرون هذا عيبا شنيعا ، وحسبنا أن يتولى الباقلائي الرد بنفسه على ما أخذه على امرئ القيس بقوله ( وقد يقال إن العرب تفتخر بذلك ولا يروونه عيبا ... الخ ) وفوق ذلك فإن العرب لا تتعاشى أن تذكر مثل ذلك في مقام الفخر بالكرم ولا يروونه عيبا وأمامنا أشعارهم ومنشورهم وأخبارهم كلها مليئة بالفخر بأطعام الضيفان ووصف ذلك الطعام بالجودة واثن قال بعضهم ( إن اغتفر للرجل التبجح بأطعام الضيوف فإن التبجح بأطعام الأحاب مذموم على أي حال ) فإنا نعتذر عن امرئ القيس بأنه قصد إلى وصف حالتهم في اللعب والترامى بلحم الةقة التي نذها في سبيل مرضاتهم

وقال الباقلائي أيضا « أما تشبيه التحم ، الدمقس فشيء يقع للعامة وبحرى على ألسنتهم فليس شيء قد سبت إليه »

ونحن لا ندري ماذا يقصد « الباقلائي بقوله إن هذا التشبيه يقع للعامة أكان ذلك في عصر امرئ القيس أم في عصر الباقلائي ؟ ولا يكن الذي يلوح لنا أن الباقلائي يريد بالعامة أهل زمانه هو ، وإذا كان الأمر كذلك فليس هذا بضائر امرئ القيس لأن العبرة بعصر الشاعر وزمانه هو لا بالأجيال الآتية بعده على أن استعمال العامة لهذا التشبيه واشتهاره في عصر الباقلائي إلى تلك الدرجة مما يدل على براعة امرئ القيس في تشبيهه حتى أخذ كل إنسان يحريه على لسانه لحودته وحسن تسيقه وعظمة قائله

ونحن لا نستبعد أن يكون الباقلائي قصد بالعامة أهل عصر

امرى. القيس فأن تعبيره بالمضارع في قوله يتم ويجرى يرجح أن المراد أهل زمانه هو . ولئن أراد الباقلان عامة الجاهلية فمن أنى له هذا ؟ فهل عاش الباقلان في عصر امرىء القيس حتى سمع أن التشبيه يجرى على السنة العامة الجاهلية ؟ وهل كان هناك عامة وخاصة ؟ لا ؛ ولكنهم جميعا كانوا ذوى لسان عربى مبين غير دى عوج و تقسيم الباطقين بالعربية إلى عامة وخاصة واقع بعد أن فسدت اللغة بمخالطة الأعاجم في العصور المتأخرة . وعلى ذلك فراد الباقلان عامة أهل زمانه هو وإذا كان الأمر كذلك فلا يؤخذ على امرىء القيس عيب في تشبيهه كما أسلفنا

دعنا

وعاب عليه الباقلان قوله

ويوم دخلت الحدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات إنك مرجلى

تقول وقد مال العييط بنامعا عمقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل

فقال في قوله دخلت الحدر خدر عنيزة ذكر تكريرا لا إقامة الوزن لا

فائدة فيه ولا ملاحظة له ولا رونق وقوله في المصراع الأخير من هذا البيت

فقلت لك الويلات إنك مرجلى كلام مؤنث من كلام النساء نقله من جهته

إلى شعره وليس فيه غير هذا . وتكريره بعد ذلك تقول وقد مال العييط يعنى

قتب الهودج بعد قوله فقالت لك الويلات إنك مرجلى لا فائدة فيه غير تقدير

الوزن وإلا فحكاية قولها الأول كاف وهو في النظم قبيح لأنه ذكر مرة

فقلت ومرة تقول في معنى واحد وفصل خفيف وفي المصراع الثانى أيضا

تأنيث من كلامهن وذكر أبو عبيدة أنه قال عقرت بهيرى ولم يقل ناقى لأنهم  
يحملون النساء على ذكور الأبل لأنها أقوى وفيه نظر لأن الأظهر أن البعير  
اسم للإذكر والأثني واحتجاج إلى ذكر البعير لافتقاره الوزن ،  
ونحن لا ننكر أن تكرير كلمة خدر ساعدت على إقامة الوزن كما أننا لا  
نرى فيما أورد الباقلان عيبا لـ بحـ نشهد أن تكرير كلمة خدر من إبداع  
أمرى القيس والحال يقتضى ذلك لأن المهام مقام غزل وذكرى يستلزم الأطناب  
وترديد ما يندى على قلب المحب وعلى ذلك فالكرير جيد مستعمل  
وكذلك ما عابه عليه من أن فى اليتين كلاما مؤثرا فإن الحق فى جانب  
أمرى القيس لأنه يحكى قول معشوقته ويلزم أن يجرى القول عن لسانها  
ليكون مطابقا لمقتضى الحال وليألف اللفظ مع المسمى والمقام ولو أن امرأ  
القيس استعمل ألقابا غير التى استعملها لكان ذلك عندها معيبا ولكنه أجاد  
وفاد ولا عيب عليه من هذه الناحية  
وأما عن قول أمرى القيس تقول وقد مال العيط بنا الخ بعد قوله  
فقال لك الويلات فإنه لا غار عابه لأن المقام كما قدمنا مقام غزل وسبب  
يقتضى الأطناب والفصل ليس حفيضا كما يدعى الباقلان  
وإننا لنجد فيما أورده الباقلان من قول أبى عبيدة ثم محاولته العوض من  
قيمه أمرى القيس فى استعماله كلمة ( بعير ) نجد فى ذلك تحاملا مستبيننا  
ينم عن نفسه ويكاد يلس باليد فيما سبحان الله ويا ترى هل لو استعمل امرؤ  
القيس كلمة ( ناقه ) بدل كلمة ( بعير ) أما كان الباقلان يعيبها عليه ويتخذ



من قول أبي عبيدة حجه لسه ؟ ولذلك فبحس نقرر أن الباقلا في لم ينصف  
أمر القيس في نقده بل جعل يعد الحسات سيئات

٤٤٤

وعاب عايه الباقلا في قوله .

فقلت لها سيري وأرحى زمامه ولا تبعدي عن جنائك المعلن  
فقال ه البيت قريب المدح ليس له معي بديع ولا لهظ شريف كأنه  
من عبارات المنحطين في الصفة .

ونحن نسأل الباقلا في رحمه الله وشهد عايه الأديباء في أي شدة قصر  
امرؤ القيس حتى يعاب عايه معناه أو لعظه ألم بطامس معشوقته على بعيرها  
وعلى نفسها حين كانت خائفة وحلة قول له إنك مرحلى وعقرت بعيري  
فأمرها بأن لا تبالى ولا تحمل لهذا إلا وهام محلا في مخياتها فقال لها سيري  
وأرحى زمامه ولم يس إداك ما تصور إليه بسه بل عطفه على ما قلبه  
فطلب إليها ألا تبعده عن حماها المعلن وكأني بالباقلاني لم يقرع سممه ولم  
يتذوق حلاوة قول امرؤ القيس ( ولا تبعدي عن جنائك المعلن ) فذلك  
من الألفاظ الشريفة السالعة غاية الروعة في حماها وتفضيلها مع حس السك  
وبراعة النسيج فقد جعل عشيقته بمنزلة الشجرة وجعل ما مال من عناقها وتقبيلها  
وشمها بمنزلة الثمرة التي عللت بالطيب أي طيبت مرة بعد مرة

٤٤٥

وعا عايه عليه منتقدوه قوله

فذلك حبلى قد طرقت وهو رضع فآلميتها عن ذى تمام محمول  
إذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وتحتى شقها لم يحسول  
فقالوا « هذا معنى فاحش ، وقالوا أيضا ، كيف قصد للحبلى والمرضع  
دون البكر وهو ملك وابن ملك ؟ ما فعل هذا إلا انتقص همته ، وقال  
الباقلانى فى نقد ذلك الشعر أيضا « تقدير قوله فذلك حبلى . . . البيت . أنه  
زير نساء وأنه يفسدهن ويلهبهن عن حبلهن ورضاعهن لأن الحبلى والمرضعة  
أبعد من الغزل وطلب الرجال وهذا البيت فى الاعتذار والاستهتار والنهيم  
وهو غير منتظم مع المعنى الذى قدمه فى قوله ( ولا تبعدينى عن جنائك المعلل )  
لأن تقديره لا تبعدينى عن نفسك فأنى أغلب النساء وأحدهن عن رأين  
وأفسدهن بالتغافل ، وكونه مفسدة لمن لا يوجب له وصلهن وترك إبعادهن  
إياه بل يوجب هجره والاستخفاف به لسخفه ودخوله كل مدخل فاحش  
وزكوبه كل مركب فاسد وفيه من الفحش والتفحش ما يستندكف الكريم  
من مثله ويأتف من ذكره ، وقال الباقلانى أيضا عن قول امرئ القيس ( إذا  
ما بكى من خلفها . . . البيت . « إبه غاية فى الفحش ونهاية فى السخف وأى  
فائدة لذكره لعشيقته كيف كان يركب هذه القبائح ويذهب هذه المداهب  
ويرد هذه الموارد إن هذا لبيغضه كل من سمع كلامه ويوجب له المقت وهو  
لو صدق لكان قبيحا فكيف ؟ ويجوز أن يكون كاذبا . ثم ليس فى البيت  
لفظ بديع ولا معنى حسن ،

ودفاعنا فى ذلك أن هؤلاء العائين فاتهم أن كل المعانى الشعرية معرضة

للشاعر وله يتكلم فيما أحب منها لا فيما يحبه سواه ، وفيها شاء هو لا فيما يشاؤه غيره - كما يقول قدامه في كتابه نغم الشعر - والذي يلزم الشاعر فقط أنه إذا شعر في أى معنى كان من الرفعة والضعفة ، والرفق والنراة ، والبذخ والقناعة ، والمدح والذم ، وغير ذلك من المعاني الحميدة أو الذميمة التي يمايها على اشاعر وجدانه ويوحياها إليه شيطانه أن يتوخى البلوع من التجويد في ذلك إلى العاية المطلوبة ودلى ذلك فليست فحاشة المهى في شعر امرىء القيس بما يزيل جودته ويذهب سلاغته أما عن قواهم كيف قصد للحبلى والمرضع دون البكر فذلك مردود أيضا لأن امرأ القيس في هذين البيتين يوجه الخطاب إلى شئزة وقد كانت بكرًا كما قال الزورنى إذا هو كان مغرما بالعدارى أيضا . وسيبويه يروى البيت هكذا -

ومثلك بكرًا قد طرقت وثيبا فاللهيتما عن ذى تمام محمول -  
وأمرؤ القيس في هذا الموقف الذى يقفه أمام عنيزة من الحب والتصانى يريد أن يظهر لها فيه مقدار شعف النساء به وتمانيهن في حبه حتى أنه يصبى نساء غيره ولا يصبى نيره نساءه لجماله وحسنه ولعله من منزلة في قلوب النساء ولذلك نجده يقول في قصيدته التانية يخاطب النساء عندما عبرته بالكبر لاذبت لعد أصبى المسره على وأمع عرمى أن يرن بها الخالى -  
وإذا تبينا هذا أدركنا مقدار خطأ الباقلانى في قوله إن هذا المعنى غير ملتئم مع قوله ولا تبعدينى عن جنالك المعال فإن معشوقته إذا أدركت ما له من منزلة في قلوب النساء علمت أن صاحبها حفيف الروح والظل جدير بأن -

يعشق فتبه قلبها ولا ترضن عليه بحبها . وإنما خص الحبلى والمرضع لانهما  
أزهد النساء فى الرجال وأقلهن شغفا بهم وحرصا عليهم ومع ذلك فهما يريدان  
فيه الجمال ، وليس أعز على المرأة المتزوجة من طفلها الرضيع فهو منها سويدياء  
القلب وسواد العين ولكن امرأ القيس لكأ النساء به يشغف قلوبهن كما  
يشغف المهنوءة الرجل الطالى فليهبى الامم الحنون عن وليدها ويحماها من فرط  
غرامها به تلقى بنفسها بين أحضانها وتدع طفلها وراءها ظهريا حتى إذا ما بكى  
تنصرف له بشق دون جملتها قصد إسكاته ومنها لصياحه الذى يعكر عابها  
الصفاء فى ساعة هى من ألد الساعات لديهما معا . وقد بلغ امرؤ القيس غاية  
الدقة فى وصف هذا الموقف الفاحش وأنه ذكر فيه مقدار ميلها إليه وطفنها به  
حيث لم يشغلها عن غرامه ما يشغل الأمهات عن كل شىء وإنما فطمت ما فطمت  
مع وليدها لأن هواها مع امرئ القيس وقلبا يخفق بحبه ويسبح بعشقه ومما  
يؤدنا فيما ذهبنا إليه ما أورده الطبيب النطاسى ( سعيد أبو جمره ) فى كتابه حياتنا  
التاسلية فإنه قال « ويجب أن نذكر هنا أن قلة الميل الشهوانى فى المرأة أثناء  
الحبل والرضاعة أمر طبيعى وقد عرفه العرب وغيرهم من الأقدمين . قال  
امرؤ القيس فى قصيدته ( قفا نيك ) الشهيرة . .

فذلك حبلى قد طرقت ومرضع فألبيتها عن ذى تمائم محول  
لأن الحبلى والمرضع أكثر زهدا بالرجال من غيرهما . ومع ذلك فلنفرط  
عجبة النساء له كن يسمحن له بأن يأتين . قال ذلك محركا غيرة عنيزة  
وحدها منهن « اه

وبعد ما تقدم رى أن امرأ القيس إذا كان يلهى الأم عن فلذة كبدها  
وحبة قلبها فهو أشد إلهاء للحبالي والمتزوجات عن شئونهن وبعولتهن وهو  
أشد وأشد إلهاء للعذارى عن كل شيء وإذا فارق القيس أجاد فى هذا المعنى  
الذى أخذ فيه وبحسب الشاعر ذلك

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن أبا جعفر النحاس فسر قول امرئ القيس  
( فمثلك حبلى .. البيت ) بقوله « إنه لما قلبها أقبلت تنظر إليه وإلى ولدها  
وإنما يريد بقوله انصرفت له بشق يعنى أنها أدالت طرفها إليه . وليس يريد  
أن هذا من الفاحشة لأنها لا تقدر أن تميل بشقها إلى ولدها فى وقت يكون  
منه إليها ما يكون وإنما يريد أن يقبلها وخذها تحته ،

ومن ذلك جميعه نخرج على أن نقد العائنين لىتى امرئ القيس ضرب  
من اللغو .

••

وعاب عليه الباقلانى قوله . -

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمى فأجلى  
فقال « البيت فيه ركائة جدا وتأنيت ورقة ولكن فيها تخنيث ولعل  
قائلا يقول إن كلام النساء بما يلائهن من الطبع أوقع وأغزل وليس كذلك  
لأنك تجد الشعراء فى الشعر المؤنث لم يعدلوا عن رصانة قولهم ،  
ونحن نقول إن قول الباقلانى هو المعيب لأنه لكل مقام مقال وعلماء  
البلاغة اتفقوا جميعا على وجوب التمام للعض مع المعنى وائتلافهما وعلى هذا

فيذنبني أن يكون اللفظ رقيقا لينا في موقف الغزل وهذا هو الذي فعله امرؤ القيس فلو جاء بالفاظ جزلة في هذا الموقف لكان ذلك معيبا عندي وعند جميع علماء البلاغة وإني أصر على أنه يجب أن يكون كلام النساء بما يلائمهن من الطبع لأن ذلك أوقع وأجدي في الغزل أما نظرية الباقلاني فنحن لا نرى فيها رأيه ولم يقره عليها أحد .

وقال الباقلاني أيضا « والمصراع اثناني منقطع عن الأول لا يلائمه ولا يوافقه » وهذا ضرب من العنت والتجامل فأن المصراعين على آتم ما يكون من الاتصال معنى ورقة وشكوى غرام ورجاء في الحفاظ على الود وقال الباقلاني أيضا ، كيف ينكر عليها تدللها والمتعزل يطرب على دلال الحبيب وتدله ، وهذه مغالاة من الباقلاني فأن امرأ القيس لم ينكر عليها تدللها وإنما أنكر عليها بعض التبدال الذي يشبه أن يكون صريحة وقطيعة وعلى ذلك فامرؤ القيس يطرب على دلالها وتدلها

\* \*

وحنابوا عليه قوله . -

أغرك مـنى أن حبك قاندي وأنك مهما تأمرى القلب يفعل

فقالوا « وإذا لم يغررها ذلك فأى شيء يعررها بعد ،

وقال الباقلاني « هذا البيت قد عيب عليه لأنه قد أخبر أن من سبيلها ألا تغتر بما يزيها من أن حبها يقتله وأنها تملك قلبه فما أمرته فعله والمحجب إذا أخبر عن مثل هذا صدق وإن كان الممتنى غير هذا الذي عيب عليه وإنما ذهب مذهبها

آخر وهو أنه أراد أن يظهر التجلد فهذا خلاف ما أظهر من نفسه فيما تقدم من الآيات من الحب والبكاء على الأجابة فقد دخل على وجه آخر من المناقضة والأحالة في الكلام . ثم قوله تأمرى القلب يفعل معناه تأمرينى والقلب لا يؤمر والاستعارة في ذلك غير واقعة ولا حسنة . وذلك منهم خطأ مبين وزعم بارد غث أوقعهم فيه تأويل البيت على أن الاستفهام فيه حقيقى على وجهه للاستخبار والأمر ليس كذلك وإنما الاستفهام هنا تقريرى إثباتى فكأنه قال لها ( لقد غرك منى أن حبك قاتلى ) وهذا نوع من الشكوى ومن أبلغ ما يصل إليه الصب المتهالك فى صبابته وعشقه

أما عن قول الباقلانى إن الاستعارة فى قوله تأمرى القلب غير واقعة ولا حسنة فهذا وهم من الباقلانى دفعه إلى القول به تحامله الشديد على امرى القيس وإلا فأن الاستعارة بالغة غاية الروعة ومنتهى الكمال خصوصاً فى هذا الموقف موقف الهوى والصبابة الذى كل شىء فيه راجع إلى القلب ووجيبه وناره المستعرة وجوانبه المهدمة حتى لكأن الحب درس من المحب كل ما تجسم منه ولم يبق إلا قلبه الذى يقاسى من برحاء الهوى ما تندك له الجبال الرواسى

بديحة

ومما عابه عليه الباقلانى قوله : -

فأن كنت قد ساءت منى خليقة فسل ثيابى عن ثيابك تنسل

فقال « هو بيت قليل المعنى ركيكه وضعه وكل ما أضاف إلى نفسه  
ووصف به نفسه سقوط وسفه وسخف يوجب قطعه فلم لم يحكم على نفسه  
بذلك ولكن يورده مورد أن ليست له خليفة توجب هجرانه والتقصي من  
وصله وأنه مهذب الأخلاق شريف الشائل فذلك يوجب أن لا ينفك من  
وصاله ،

ولو أدرك الباقلاني أن الشرط متحمل معنى الشك لما عاب هذا البيت  
ولم أن الأساءة غير واقعة فسلها ثيابها عن ثيابه غير واقع أيضا فامرؤ القيس  
ساق هذا البيت ليبين لها مقدار حبه وأنه لا يصدر عنه إلا ما تشبهه حبيته  
ولو بدا منه أدنى ما يجعله يشك في حبه لكان خليقا بأن تصرم حبال مودته  
والتنكير في خليفة للتحقير والتقليل وذلك مع الشرط المفيد للشك يستلزم  
أنه لا يصدر عنه أدنى تلبس في حبه وأنه لا يفعل إلا ما يستحق رضاها وأنه  
مسخر لها .

\*\*\*

وقال الباقلاني في قول امرئ القيس :-

وما ذرفت عيناك إلا لتضربني بسهميك في أعشار قلب مقتل  
« إنه معدود من محاسن القصيدة وبدائعها ومعناه ما بكيت إلا لتجرحي  
قلبا معشرا أي مكسرا من قولهم برمة أعشار إذا كانت قطعا . هذا تأويل  
ذكره الأصمعي رضى الله عنه وهو أشبه عند أكثرهم . وقال غيره وهذا مثل  
للأعشار التي تقسم الحزور عليها ويعنى بسهميك المعلى وله سبعة أنصباء



والرقيب وله ثلاثة أنصباء وأراد إنك ذهبت بقلبي أجمع ويعنى بقوله مقتل  
مذلل ، وبعد ذلك ، يقول الباقلانى ، وأنت تعلم أنه على مايعنى غير موافق  
للآيات المتقدمة لما فيها من التناقض الذى بيننا ويشبهه أن يكون من قال  
بالتأويل الثانى فزع إليه لأنه رأى اللفظ مستكرها على المعنى الأول لأن  
القاتل إذا قال ضرب فلان بسهمه فى الهدف بمعنى أصابه كان كلاما ساقطا  
مرذولا وهو يرى أن معنى الكلمة أن عينها كالسهمين الناقدين فى إصابة  
قلبه المجروح فلما نكتا وذرفنا كتنا ضاربتين فى قلبه ،

ونحن نقول للباقلانى إن هذا البيت ملتئم مع الآيات المتقدمة ولا  
تناقض بينها وبينه ألا ترى إلى قوله قبل هذا البيت أغرك منى أن حبك قاتلى  
وقوله مهلا بعض هذا التمدل ، ونقول له أيضا إن استعمال كلمة تضربنى بمعنى  
تصيبى لاغبار عليه بل هو استعمال حسن وجيه وأن الضرب فيه معنى  
الإصابة مع زيادة فى المعنى من حيث الشدة والسرعة والألم فاستعمال  
تضربنى بدل تصيبى مناسب للغزل الذى هو موقف شكوى وإظهار ألم وتوجع  
ونقول للباقلانى أيضا أى رذالة فى قول القائل ضرب فلان بسهمه فى الهدف  
بمعنى أصابه ؟ وكأنى بالباقلانى رضى الله عنه تصور من الكلمة معنى الضراب  
فإن كان هذا فليعلم أنه من المين اليسير علينا أن نحمل أيضا كلمة أصاب  
هذا المعنى الساقط المرذول

وقال الباقلانى بعد ما مضى « ولكن من حمل التأويل الثانى سلم من  
الخلل الواقع فى اللفظ ولم يكنه إذا حمل على الثانى فسد المعنى وأختل لأنه

: إن كان محتاجا على ما وصف به نفسه من الصباة فقلبه كله لها فكيف يكون  
بكاؤها هو الذى يخلص قلبه لها ،

وردنا عن ذلك أن الباقلانى تناول فى شعر امرىء القيس على هواه  
وهذا هو الذى أوقعه فى تلك المناقضات الغريبة ولو أدرك أن قول  
امرء القيس وماذرفت عيناك . الخ نوع من تصانيف المحبين وما يلاقونه  
من تدلل حياتهم ودلالهن لعلم أن قلب امرء القيس كله لصاحبه بادية  
بده وإنما بكاؤها يزيد قلبه سعيرا وعذابا. ألبا

وقال الباقلانى أيضا فى هذا البيت « وأعلم بعد هذا أن البيت غير ملائم  
للبيت الذى قبله ولا متصل به فى المعنى وهو منقطع عنه لأنه لم يسبق كلام  
يقتضى بكاءها ولا سبب يوجب ذلك فتركبه هذا الكلام على ما قبله فيه  
اختلال »

أما عن دعوى الباقلانى فى أنه لم يسبق كلام يقتضى بكاءها فإن ذلك  
ليس بلازم على أن هذا البيت مرتبط تمام الارتباط بالأبيات السابقة  
فإن بكاء الحبيبة نوع من الدلال الذى قال فيه امرؤ القيس لصاحبه : مهلا  
بعض هذا التدلل ، وهو متصل أيضا بالاستفهام التقريرى الإثباتى فى قوله  
أغرك منى أن حبك قاتلى ، ولو كان الباقلانى أدرك أن الاستفهام تقريرى  
ليس على وجه الأخبار لما تناول على امرء القيس إلى هذا الحد - وهو  
متصل أيضا بقوله . فأن كنت قد ساءت منى خليقة ، فأن الأساءة غير  
حاصلة فإينا فيما سبق ، وإذا كانت الإساءة غير حاصلة فلا داعى

لبكائها ولا سبب له إلا لتزیده وجدا على هيامه وألما فوق آلامه . وعلى ذلك فقوله . فأن كنت قد ساءتک ... الخ في موضع التمیید لتاليه بل في موضع تقريره وإيضاحه

وسبق أن قدمنا أن ابن قتیبة قال إن أشرافا من الناس والشعراء اجتمعوا عند عبد الملك فسألهم عن أرق بيت قالته العرب فاجتمعوا على قول امرئ القيس

وما ذرفت عينك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل .

\*\*\*

وحاول الباقلائی أن يعیب قول امرئ القيس  
وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لوبها غير معجل  
تجاوزت أحراسا إليها وعشرا على حراسا لو يسرون مقتلي  
ولا كنهه لم يستطع ذلك وأقصى ما قاله ه ليس في البيت الأول كبير فائدة  
لأنه الذي حكى في سائر أبياته فلا تتضمن مطاولته في المغازلة واشتغاله بها  
فتكريره في هذا البيت مثل ذلك قليل المعنى إلا الزيادة التي ذكر من منعها  
وهو مع ذلك سليم اللفظ في المصراع الأول دون الثاني . والبيت الثاني  
ضعيف . وقوله لو يسرون مقتلي أراد أن يقول لو أسروا فأذا نقله إلى  
هذا ضعف ووقع في مضمار الضرورة .

أما عن قول الباقلائی إن البيت الأول ليس فيه كبير فائدة لما احتج به  
بعد ذلك فنحن ننكر عليه هذا ونقول له إن بيت امرئ القيس لا عيب فيه

من هذه الناحية مادام يحمل معنى جمليا لعدة آيات سابقة ولو كان يحمل معنى بيت واحد من الأبيات التي سبقته لكان ذلك تكرارا معيبا ، على أن ( الواو ) في قوله وبيضة خدر واورب ويصح أن يكون الكلام جديداً في وصف أحواله مع معشوقة أخرى ، وما كان أكثر عشق امرئ القيس وتحديثه عن ذلك في شعره

وأما عن قوله إن المصراع الثاني من البيت الأول ، والبيت الثاني كله فيهما ضعف فهذا مالا نقره عليه بل إننا نشهد ونشهد الأدباء على أن فيهما قوة يحسها المنصف لا المتحامل ويدركها العادل المجرد عن الأهواء

وأما عن عيبه على امرئ القيس استعمال المضارع بمعنى الماضي فذلك مردود عليه لأن المعنى أنهم أسروا ولا يزالون يسرون وهذا الاستعمال ضرب من الذوق البلاغي الوارد في كلام العرب كثيرا . والقرآن الكريم الذي هو مقياس البيان والذي نهجه ونظمه وتأليفه وورصفه تديه العقول في جهته وتحار في بحره وتضل دون وصفه قد استعمل الماضي بمعنى المضارع واستعمل المضارع بمعنى الماضي وذلك الاستعمال فن بديع جليل يكسب المعنى قوة ومثانة . قال تعالى « ويوم ينهخ في الصور ففزع من في السموات والأرض ، أي فيفزع

\*\*\*

وما عابوه عليه قوله

إذا ما الثريا في السماء تعرضت      تعرض أثناء الوشاح المفصل

فقالوا ، إن الثريا لا تتعرض في السماء ، وبعضهم قال إنه أراد الجوزاء  
لأنها تتلوها والعرب تفعل ذلك كما قال زهير كالحمر عاد وإنما هو أحمر  
ثمود ، ومنهم من يقول إن الثريا تتعرض عند سقوطها فأنها إذا بلغت كبد  
السماء أخذت في العرض ذاهبة ساعة كما أن الوشاح يقع مائلا إلى أحد  
شقي المتوشحة به - وهذا واقع موقع القبول - ولقد فسر الزوزني هذا البيت  
تفسيرا فيه وجاهة فقال . إنه أتى محبوبته عند رؤية نواحي كواكب الثريا  
في الأفق الشرقي ثم شبه نواحيها بنواحي جواهر الوشاح المفصل . وقال  
القتبي . إنه شبه الثريا بجواهر الوشاح لأن الثريا تأخذ وسط السماء عند  
سقوطها كما أن الوشاح يأخذ وسط المرأة المتوشحة به . وقال أبو عمرو  
تأخذ الثريا وسط السماء كما يأخذ الوشاح وسط المرأة . وقال ابن مسكرم  
صاحب اللسان بعد ذكره بيت امرئ القيس . إن التعرض الاعوجاج  
والروغان وعدم الاستقامة كما يتعرض الرجل في عروض الجبل يمينا  
وشمالا وعلى ذلك فسر تعرض الثريا بأنها لم تستقم في سيرها ومالت  
كالوشاح المعوج أثناءه على جارية توشحت به . وقال التبريزي . معنى  
البيت أن الثريا تستقبلك بأنفها أول ما تطلع فإذا أرادت أن تسقط تعرضت  
كما أن الوشاح إذا طرح تلقاك بناحية

وقد أوردنا كل هذه الأقوال لتعلم أن البيت لا عيب فيه وحسبنا أن  
نقول لك إن الباقلاني مع تلمسه كل سبيل للعب على امرئ القيس  
ما استطاع أن يعد ما أخذوه عليه عيبا بل إنه قال ، والاشبه عندنا أن البيت

غير معيب من حيث عابوه به وأنه من محاسن هذه القصيدة ، وكم كنا نحب  
أن يقف الباقلاني عند هذا الحد من الانصاف والكره وأسفاه فقد  
أخذته عزة التحامل بالرهيم فجاء ينقص من قيمة هذا البيت فأورد قول  
ذي الرمة . -

وردت اعتسافا والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء محلق

وقول ابن المعتز

وترى الثريا في السماء كأنها ييضات أدحى يلحن بقدفد

وقوله

كان الثريا في أواخر ليلا تفتح نوراً أو لجام مفضض

وقوله أيضاً

فأولنيها والثريا كأنها جنى نرجس حيا الدامى به الساقى

وقول الأشهب بن رميلة

ولاحت لساريها الثريا كأنها لدى الأفق الغربي قرط مسلسل

وقول ابن المعتز

وقد هوى النجم والجوزاء تبعه كذات قرط أرادته وقد سقطا

المأخوذ من قول ابن الرومي

طيب ريقه إذا ذقت فاد والثريا بجانب الغرب قرط

وقول ابن المعتز

قد سقاني المدام والصبح بالليل مؤتزر

والثريا كنور خصن على الأرض قد نثر

وقوله :-

نروم الثريا في السماء مراما كانكباب طمر كاد يلقي لجاما

وقول ابن الطثرية :-

إذا ما الثريا في السماء كأنها جمان وهي من سلكه فتبددا

وبعد أن أورد الياقلائي هذه الآيات السابقة زعم أن في جملة ما نقله

ما يزيد على تشبيه امرئ القيس في الحسن أو يساويه أو يقاربه وأن

الأبداع في معنى امرئ القيس أمر قريب وليس فيه شيء غريب وأنه لم

يأت فيه بما يفوت الشأو ويستولى على الأمد . وليت الياقلائي لم يغفل أو

يتغافل عن أن امرأ القيس هو سابقهم وقدمتهم وأنهم لاحقوه ومقلدوه

وأن السابقون السابقون هم المبدعون المبتدعون وحسبنا أن يشهد

القارئ معنا على أن المعاني الواردة في الآيات التي ساقها الياقلائي مسروقة

من بيت امرئ القيس بل إننا نجد أن من هؤلاء الشعراء من بلغت به

الجراءة أن يسطو على ألفاظ امرئ القيس فيوردها في شعره بنصها ونصها

أو مع تحوير يسير فيها ولعل هذا من إعجابهم ببيت امرئ القيس

ومن توهم الياقلائي أيضا في نقد هذا البيت قوله :-

« تعرضت من الكلام الذي يستغنى عنه لأنه يشبه أثناء الوشاح سواء

كان في وسط السماء أو عند الطلوع والمغيب فالتحويل بالتعرض والتطويل

بهذه الألفاظ لا معنى له ،

ونحن نقول للباقلاني . وإذا لم يكن هذا موضع تهويل فأين يكون  
التهويل مستملحا ؟ ألم يقل امرؤ القيس إنه تجاوز الأحراس الحراس على  
قلبه وكان هذا التجاوز ليلا عند تعرض الثريا . ألا يرى الباقلاني بعد هذا  
أن المقام يقتضى التهويل ويستلزم النطويل

وقال الباقلاني أيضا « وفيه أن الثريا كقطعة من الوشاح المفصل فلا  
معنى لقوله تعرض أثناء الوشاح وإنما أراد أن يقول تعرض قطعة من أثناء  
الوشاح فلم يستقم له اللفظ حتى شبه ما هو كالشيء الواحد بالجمع »

وحسبنا في الرد على هذا أن نقول إن الأيجاز والمجاز من عيون  
البلاغة العربية ألا ترى إلى قوله تعالى « وأسأل القرية ، أى وأسأل أهل  
القرية وإلى قوله تعالى « يحملون أصابعهم في آذانهم ، أى أناملهم . وفوق  
كل هذا فأن تشبيه ما هو كالشيء الواحد بالجمع تشبيه لاغبار عليه ولا عيب  
فيه بل إنه واقع موقع الرضا والقبول

\*\*\*

وعاب عليه الباقلاني قوله : -

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفضل  
فقال « قوله لدى الستر حشو وليس بحسن ولا بديع وليس في البيت  
حسن ولا شيء يفضل لأجله »

ونحن لا نحتج على الباقلاني بأكثر من قول الزوزنى في تفسير هذا  
البيت ( يقول امرؤ القيس أتيتها وقد خلعت ثيابها عند النوم غير ثوب



واحد تنام فيه وقد وقفت عند الستر مترقبة منتظرة إلى وإنما خلعت الثوب  
لترى أهلها أنها تريد النوم ) ومن قول الزوزنى هذا نستطيع أن نفهم  
ويستطيع الباقلاني أن يدرك أنه لاحشو في البيت وأنه حسن جميل خصوصا  
وأن كلمة الستر في هذا الموقف من الغزل متحملة لمعنى الطيب والنعمة والجمال  
وإنها لتندى على قلوب العاشقين

٥٦٥

وعاب عليه الباقلاني قوله

فقلت يمين الله مالك حيلة وما إن أرى عنك الغواية تنجلي  
فذكر أن فيه اختلافا وضربا من التفاوت . ونحن لا نحتاج عليه بأكثر  
بما حكاه الزوزنى عن الرواة أنهم قالوا ( هذا أغنج بيت في الشعر )  
وهذا البيت مناسب لموقف خليعة امرئ القيس منه ساعة طرقة لدارها  
وتدلها عليه بمثل هذه الكلمات العذاب التي تهبط على قلب المحب بردا وسلاما

وعاب عليه أيضا قوله

فقتت بها أمشى تجر وراءنا على إثرنا أذيال مرط مرحل  
فقال « فيه تكلم لأنه قال وراءنا على إثرنا ولو قال على إثرنا لكان  
كافيا والذيل إنما يجر وراء الماشي فلا فائدة لذكره وراءنا »  
ونحن نرى أن امرأ القيس لو استعمل كلمة إثرنا قبل وراءنا لكان  
معيبا وكان مأخذ الباقلاني عليه واقعا . أما وأنه استعمل كلمة وراءنا التي تفيد

الظرفية غير المحدودة فإن الورا لا حدود له ثم أردف تلك الكلمة المطلقة بكلمة إثنا التي تفيد الظرفية المحدودة فإن الاثر وراءه ملاصق قريب وعلى ذلك فيكون استعمال امرىء القيس لهاتين الكلمتين على الترتيب الوارد في بيته من قبيل التقييد بعد الإطلاق وهذا غير معيب

وقال الباقلاني أيضا ، قوله أذبال مرط كان من سبيله أن يقول ذبل مرط ، ونحن نحيل القارىء على رواية أخرى في هذا البيت عبر فيها امرؤ القيس بالمفرد وهي

خرجت بها أمشى تجر وراءنا على أثرنا ذبل مرط مرحل  
نحيل القارىء على هذه الرواية ليرى أن البيت سلم لامرئ القيس وأنه لا عيب فيه وليدرك مقدار تحامل الباقلاني

٢٠٤

وما عابه عليه الباقلاني قوله

فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى بنا بطن خبت ذى حفاف عقنقل  
قال ، وهذا قد أغرب فيه وأتى بهذه اللفظة التوحشية المتعقدة وليس في ذكرها والتفضيل بالحقاقها بكلامها فائدة والكلام الغريب واللفظة الشديدة المبانية لنسج الكلام قد تحمد إذا وقعت موقع الحاجة في وصف ما يلائمها كقوله عز وجل في وصف يوم القيامة يوما عبوسا قمطريرا فأما إذا وقعت في غير هذا الموقع فهي مكروهة مذمومة بحسب ما تحمد في موضعها ، ونحن ننكر على الباقلاني ، ما أخذ به على بيت امرئ القيس من أن كلمة عقنقل

لا فائدة لذكرها تنكر عليه ذلك قائلين له إن الألفاظ ظروف المعاني وقوالها - كما قرر ذلك علماء فقه اللغة - وقد قال الباقلاني وغيره من رجالات العربية أن العنقل هو المنعقد من الرمل الداخل بعضه في بعض وكذلك قالوا الحقف رمل منعرج وامرؤ القيس أراد أن يصف هذا الموضع بالوعورة التي من أحسن قوالب معناها لفظة عنقل وعلى ذلك فهي واقعة موقع الحاجة في وصف ما يلائمها والحن فيها كالحن في كلمة قطير من قوله تعالى ( يوما عبوسا قطيرا ) . ومن هذا يبين لنا أن هذه اللفظة أفادت وأنها محمودة واقعة في موقعها وأن الباقلاني غير موفق فيما عابه على البيت

\*\*\*

وعاب عليه الباقلاني قوله

هصرت بغصني دوحة فتمايلت على هضم الكشح ربا المخايل  
فقال « قوله بغصني دوحة تعسف ولم يكن من سبيله أن يجعلها اثنين »  
ولاكننا نقرر أن امرأ القيس يريد بالغصنين في هذه الرواية التي اختارها  
الباقلاني لحاجة في نفسه يريد امرؤ القيس الفودين وإذا فلا عيب عليه . على  
أن في البيت رواية أخرى تصدع توهم الباقلاني وهي

هصرت بفودي رأسها فتمايلت على هضم الكشح ربا المخايل

\*\*\*

ومما عابه عليه الباقلاني قوله :

مهففة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل  
فذكر أن في البيت نزوعا إلى الألفاظ المستكرهة وفيه خلل من  
تخصيص الترائب بالضوء بعد ذكر جميعها بالبياض  
وهذه مغالاة من الباقلاني فأن ألفاظ البيت ليست حوشية ولا  
مستكرهة بل إنها تطرق بعدوتها أذن الأصم به السميع  
وأما عن تخصيص الترائب بالضوء بعد ذكر جميعها بالبياض فذلك أمر  
جائز لا خلل فيه بل إنه يزيد الكلام حسنا ، وهو من قبيل التخصيص  
بعد التعميم

•••

وعاب عليه الباقلاني قوله

تصد وتبدي عن أسيل وتتقى بناظرة من وحش وجرة مطفل  
فقال « قوله تصد وتبدي عن أسيل متفاوت لأن الكشف عن الوجه  
مع الوصل دون الصد » . ولكن مراد امرئ القيس - كما ذكر التبريزي -  
أنها تعرض عنا استحياء وتبسم فيبدو لنا ثغرها وتتقى أي تلتقانا بعد  
الأعراض عنا بملاحظتها كما تلاحظ الظبية طفلها وذلك من غنج النساء  
وقال الباقلاني « وقوله تتقى بناظرة لمظة مليحة ولكن أضافها إلى  
مانظم به كلامه وهو مختل وهو قوله من وحش وجرة وكان يجب أن تكون  
العبارة بخلاف هذا كان من سبيله أن يضيف إلى عيون الظباء أو المها دون  
إطلاق الوحش فقيهن ماتستنكر عيونها »

والرأى عندي أن الباقلاني محق فيما ذهب إليه ومثل ذلك العيب أيضا تشبيهه بنان حبيبة بأساريع الموضع المعروف بظبي في قوله :-  
وتعطو برخص غير شئن كأنه أساريع ظبي أو مساويك إسحل

\*\*\*

وعاب عليه الباقلاني قوله :

وجيد كجيد الرثم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمعطل  
فقال « قوله ليس بفاحش في مدح الأعناق كلام فاحش موضوع منه  
وإذا نظرت في أشعار العرب رأيت في وصف الأعناق ما يشبه السحر  
فكيف وقع على هذه الكلمة ودفع إلى هذه اللهظة ودلا قال كقول  
أبي نواس :

مثل الظباء سمعت إلى رو ض صوادر عن غدير

ولست أطول عليك فتستنقل ولا أكثر في ذمه فستوحش ،

وعندي أيضا أن البيت معيب على امرئ القيس وفيه تقصير من جهة  
أخرى فإنه بعد أن شبه جيدها بجيد الرثم رجع فنفي عنه فحاشة الطول كما  
نفي عنه العطل وهذا مدح بالسالب وهو إن كان فيه تقييد للتشبيه ليصير  
الجيد حسنا خالصا في الحسن إلا أن هناك ما هو أحسن - وتمعن في قولي  
حسن وأحسن - فالحسن نفى الفحاشة وهو المدح بالسالب والأحسن هو  
المدح بالموجب فمثلا لو قلت هذا شيء غير رديء كان المعنى أن فيه نوعا  
من الحسن ولكنه هابط إلى الحد الأدنى بخلاف ما إذا قلت هذا شيء جميل

فيكون المعنى أنه بالغ في الحسن إلى حد أعلا  
وعلى ذلك فلو أن امرأ القيس بعد التشبيه مدح الجيد وأضاف إليه من  
صفات المدح الموجبة فوق مدحه سلبيا أو لو أنه بعد التشبيه مدحه ابتداء  
مدحا إيجابيا دون تعرض للمدح بالسالب لكان البيت حسنا ولم يكن فيه  
تقصير ولا قصور . وأنت لاشك تدرك صواب ما أقول وتقع على الذوق  
الفنى فيه حين أذكر لك بيتا جاء فيه قائله على ما أبتغى فكان مجيدا أكثر من  
امرىء القيس وهذا البيت لقيس بن الخطيم وهو قوله  
وجيد كجيد الرثم صاف يزينه      تو قد يا قوت وفصل زبرجد

١٦٥

ومما عيب على امرىء القيس قوله  
فقلت له لما تمطى بصلبه      وأدرف أعجارا وناه بكل كل  
ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلى      بصبح وما الأصباح منك بأمثل  
قالوا قد انسخ البيت الأول بوصف الليل من غير أن يذكر ما قال  
وجعله متعلقا بما بعده وذلك عيب عندهم كما يقولون  
ومثل ذلك العيب عيب عليه قوله فى قصيدة أخرى  
أبعد الحارث الملك ابن عمرو      وبعد الخير حجر ذى القباب  
أرجى من صروف الدهر لنا      ولم تغفل عن الصم المضاب  
فإن الاستفهام فى البيت الأول وجوابه فى البيت الثانى  
وهناك قوم ممن لا يتذوقون حلاوة المجاز والاستعارة عابوا ذلك على

امرىء القيس فى قوله :

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناه بك كل  
ولكن الآمدى دفع عيهم ورد مأخذهم فقال « وقد عاب امرأ القيس  
بهذا المعنى ( أى المجاز والاستعارة ) من لم يعرف موضوعات المعانى ولا  
المجازات وهو غاية فى الحسن والجودة والصحة وهو إنما قصد وصف أجزاء  
الليل الطويل فذكر امتداد وسطه وتثاقل صدره للذهاب والانبعاث وترادف  
أعجازه وأواخره شيئا فشيئا وهذا عندى منتظم لجميع نعوت الليل الطويل  
على هيئته وذلك ما يكون على من يراعيه ويترقب تصرفه فلما جعل له  
وسطا يمتد وأعجازا رادفه للوسط وصدرا ، تثاقلا فى نهوضه حسن أن  
يستعير للوسط اسم الصلب وجعله متعطيا من أجعل امتداده لأن تمطى  
وتمدد بمنزلة واحدة وصالح أن يستعير للصدر اسم الكا كل من أجل نهوضه  
وهذه أقرب الاستعارات فى الحقيقة وأشد ملاءمة بمعناها لما استعيرت له ،

٢٥٦

ومما أخذه ابن رشيق على امرىء القيس تكرير المعانى فى قوله  
فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار القتل شدت يذبل  
كأن الثريا علقت فى مصامها بأمراس كتان إلى صم جندل  
فقال « البيت الأول يفتى عن الثانى والثانى يفتى عن الأول ومعناها  
واحد لأن النجوم تشتمل على الثريا كما أن يذبل يشتمل على صم الجندل وقوله  
شدت بكل مغار القتل مثل قوله علقت بأمراس كتان ،

وهذا حق إلا أنه جاء في هذا الشعر رواية أخرى تنقض عيب ابن  
رشيق وهي بحذف العجز من البيت الأول وحذف الصدر من البيت الثاني  
فيكون قول امرئ القيس هكذا

فيالك من ليل كأن نجومه بأمراس كتان إلى صم جندل  
وهذه الرواية هي التي اختارها الزوزني

\*\*\*

ومما عابوه عليه في قصيدته الثانية (ألا عم صباحا) تكرير كلمة سلمي في  
الآيات الأربعة :

ديار لسلي عافيات بنى الخال ألح عليها ظل أسحم هطال  
وتحسب سلمي لاتزال ترى طلا من الوحش أو ييضاً بميثاء محلال  
وتحسب سلمي لاتزال كعهدنا بوادي الخزامى أو على رأس أوعال  
ليالى سلمي إذ تريك منصبا وجيدا بكجيد الرثم ليس بمعطال  
وقد رد هذا العيب ابن أيوب فقال « إن للتكرير مواضع يحسن فيها  
ومواضع يقبح فيها فما يحسن تكراره مثل تكرر هذه الأسماء وتكرارها على  
جهة التشويق والاستعذاب لأن الموضع ووضع غزل وتشبيب ولم يتخلص  
أحد تخلصه (يعنى امرأ القيس) ولا سلم سلامته . وقال ابن رشيق في  
عمديته مثل ذلك القول

\*\*\*

وعابوا عليه قوله :



كأني لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاحبا ذات خلخال  
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لخبلى كرى كرة بعد إجمال  
ويقولون كان عليه أن يضع عجز كل بيت منها في موضع الآخر  
فيكون ترتيب البيتين هكذا

كأني لم أركب جواداً ولم أقل لخبلى كرى كرة بعد إجمال  
ولم أسبأ الزق الروى للذة ولم أتبطن كاحبا ذات خلخال  
وهذا خطأ منهم لما ينبى عليه من أن يكون قوله ، للذة ، حشوا لاغناء  
فيه لأن الزق لا يسبأ إلا للذة بخلاف الخيل فأنها تتركب في السلم والصيد  
وذلك وقت اللذة وتركب في الحروب أيضا وهذا وقت شدة

وشىء آخر فأن امرأ القيس لما ذكر ركوب الخيل وهو لذة من لذات  
الشباب ناسب أن يذكر معه لذة النساء والاستمتاع بهن وبذلك يكون قد  
أرخص لنفسه العنان ترتع وتمرح بين لذتين ثم ذكر بعد ذلك الخمر التي  
فيها للنفس لذة فكانت تلك اللذة متصلة بسابقتها ، ولما كانت الخمر تذهب  
الخوف والفرع وتجعل شاربها غير هباب ولا وجل ناسب أن يذكر بعدها  
السكر والفر والقتال وذلك يتصل بالشجاعة والكرم . ومن ذلك نرى أن  
المعاني فيما ما أورده امرؤ القيس متسلسلة متصلة آخذة بحجز بعضها ، وقد  
احتج لصحة ما قلناه أبو الطيب المتنبى فإنه لما أنشد سيف الدولة قصيدته  
التي مطلعها

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم

ووصل إلى قوله فيها :

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نام  
تمر بك الأبطال كلنى هزيمة ووجهك وضاح وثرعك باسم  
اعترض عليه سيف الدولة عند إنشاده هذين البيتين وقال له إنى أتقدما

عليك كما انتقد العلماء على امرىء القيس قوله

كأنى لم أركب جوادا للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال  
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل الخيلى كرى كرة بعد إجفال  
فبيتك لم يلتئم شطراهما كبيتى امرىء القيس ووجه الكلام فى البيتين  
على ما قاله أهل العلم بالشعر أن يكون عجز البيت الثانى على صدر الأول  
وعجز الأول على صدر الثانى ليكون ركوب الخيل مع الأمر لها بالكر  
وسب الخمر مع تبطن الكواعب . فقال أبو الطيب . أدام الله عز مولانا  
إن صح أن الذى استدرك هذا الأمر على امرىء القيس أعلم منه بالشعر  
فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البزاز  
كما يعرفه الحائك لأن البزاز يعرف جملة والحائك يعرف جملة وتفصيلا ، وإنما قرن  
امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السباحة فى شراء الخمر للأضياف  
بالشجاعة فى منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت فى أول البيت أتبعته  
بذكر الردى ليجانسه ولما كان وجه المنزوم لا يخلو من أن يكون عبوسا  
وعينه من أن تكون باكية قلت ووجهك وضاح وثرعك باسم لأجمع بين  
الاضداد فى المعنى .

والعرب تضع الشيء أحياناً مع غير نسيبه ليكون ذلك أطرف له وأدعى  
لانتباه النفس وشبيهه بهذا قوله تعالى « إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى  
وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحى » إذ كان المناسب أن يجمع بين الجوع والظمأ  
وبين العرى والضحو ، ولكن الأهر جاء على خلاف ذلك وهذا سر بديع  
من أسرار البلاغة وهو ما يسمى قطع النظير عن النظير وذلك أنه قطع الظمأ  
عن الجوع والضحو عن الكسوة مع ما بينهما من التناسب ، والغرض من  
ذلك تعدد هذه النعم وتصنيفها ولو قرن كلا شكه لتوهم المعدودات نعمة  
واحدة كما يقول الزمخشري . وكذلك الحال في بيتي امرئ القيس وبيتى المتنبي

٥٥٥

وعابوا عليه أيضاً قوله في موضع  
فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاً ولم أطلب قليل من المال  
ولا كنما أسعى لمجد مؤثر وقد يدرك المجد المؤثر أمثالي  
ثم قوله في موضع آخر :  
فملاً بيتنا إقطاً وسمناً وحسبك من غنى شبع ورى  
فقالوا « إن المعنى الأول أنخر ما قيل والثاني أنذل ما قيل والشاعر قد  
ناقض نفسه حيث وصفها في موضع بسمو الهمة وقلة الرضى بدنى المعيشة  
وأطرى في الموضع الآخر القناعة والاكتفاء من الغنى بالشبع والرى »  
وذلك منهم زعم غث فأنه لو تصنح قول امرئ القيس حق التصفح  
لم يوجد معنى ناقض معنى فالمعنيان في الشعرين متفقان لاتناقض فيهما فقد

## قال في الاٲول

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليل من المال  
وهذا موافق لقوله في الثانى

وحسبك من غنى شبع ورى

ولكن فى المعنى الاٲول زيادة ليست مناقضة لشيء وهى قوله لكننى  
لست أسعى لما يكفينى بل أسعى لمجد مؤثى؁ فالمعنيان اللذان ينبئان عن  
اكتفاء الاٲسان باليسير متوافقان فى الشعرين؁ والزيادة التى ذكرها فى  
الشعر الاٲول والتى دل بها على بعد همته ليست تنقض واحدا منها ولا  
تنسخه . وأرى أن هذا العائب ظن أن امرأ القيس قال فى أحد الشعرين  
إن القايل يكفيه وفى الآخر إنه لا يكفيه وقد ظهر بما قدمناه أن هذا الشاعر  
لم يقل شيئاً من ذلك ولا ذهب إليه ولم يخطر له على بال ومع ذلك فلو قاله  
وذهب إليه لم يكن مخطئاً فأن قدامة يقول « إن مناقضة الشاعر نفسه فى  
قصيدتين أو كلمتين بأن يصف شيئاً وصفا حسناً ثم يذمه بعد ذلك ذماً حسناً  
بيننا غير منكر عليه ولا معيب من فعله إذا أحسن المدح والذم بل ذلك  
عندى يدل على قوة الشاعر فى صناعته واقتداره عليها » وقال أيضاً « الشاعر  
ليس يوصف بأن يكون صادقاً بل يراد منه إذا أخذ فى معنى من المعانى  
دئناً ما كان أن يجيده فى وقته الحاضر لا أن ينسخ ما قاله فى وقت آخر؁  
وفوق ما تقدم فأن الشاعر كان مؤثراً فى شعره الاٲول بروح غير  
التى تأثر بها فى شعره الثانى فأن قصيدته ( ألام صاحا ) التى منها الشعر

الاول قالها أيام ز هوه بخفض العيش وخلو قلبه من هموم الحياة ولكن  
الشعر الثانى الذى فيه وحسبك من غنى شبع ورى . قاله بعده قتل أبيه حين  
صار شريدا طريدا عاجزا بائسا

\*\*\*

ومما عيب عليه فى قصيدته ( أحرار بن عمرو كأنى خمر ) قوله  
فلما دنوت تسديتها فثوبا لبست وثوبا أجر  
فقد حمل بعضهم قوله ( فثوبا لبست وثوبا أجر ) على أنه تكرار وهذا  
منهم خطأ بين قارئ البيت لا تكرار فيه وإنما هو كما قال ابن رشيق ترديد  
بالغ غاية الحسن فقد أتى الشاعر بلفظة ثوب وعلقها بمعنى ثم ردها بعينها  
متعلقة بمعنى آخر ، والثانى أفاد غير ما أفاده الاول

وفى عجز البيت رواية أخرى وهى

فثوبا نسيت وثوبا أجر

وفى هذه الرواية المعنيان الاول والثانى متباعدان جدا

\*\*\*

وقد يكون للاصمعى حق فيما عابه على امرىء القيس فى قوله  
وأركب فى الروع خيفانة كسى وجهها سعف منتشر  
يقول الشاعر وأركب فى المخافات فرسا طويلة خفيفة سريعة ينتشر  
شعر ناصيتها كالسعف على وجهها والخيفانة فى الاصل الجرادة ثم تشبهها  
الفرس فى الخفة

ووجه العيب في هذا البيت أنه شبه شعر الناصية بسعف النخلة والشعر إذا غطى العين لم يكن الفرس كريما وذلك هو الغمم والذي يحمده في الناصية الجثلة وهي التي لم تفرط في الكثرة فتكون الفرس غماء والغمم مكروه ولم تفرط في الخفة فتكون الفرس سفواء والسفا أيضا مكروه في الخيل والجيد ما قال عبيد

مضبر خلقها تضييرا ينشق عن وجهها السيب

بجاء

وعابوا عليه أيضا قوله

لها ذنب مثل ذيل العروس تسد به فرجها من دبر  
قالوا « فمن أين تسد بذنبها فرجها من قبل ؟ وليس هذا من قول  
الحذاق ففى البيت حشو » وقالوا أيضا « إن ذيل العروس يجر على  
الأرض ولا يصح أن يكون ذنب الفرس طويلا مجرورا ولا قصيرا  
والصواب قوله في موضوع آخر

ضليح إذا استدبرته سد فرجه بضاف فويق الأرض ليس بأعزل ،  
وجوابنا عن ذلك أن العيب الأول واقع أما عن العيب الثانى فنكتفى  
بما أورده الآمدى في الرد عليه فتمد قال « ما أرى العيب لحق امرأ القيس في  
هذا لأن العروس إذا كانت تسحب ذيلها وكان ذنب الفرس إذا مس  
الأرض فهو عيب . فليس ينكر أن يشبه الذنب به وإن لم يبلغ أن لمس  
الأرض لأن الشئ إنما يشبه بالشئ إذا قرب منه أودنا من معناه فأذا

أشبهه في أكثر أحواله فقد صح التشبيه ولاق به . ولأن امرأ القيس لم يقصد طول الذنب أن يشبهه بطول ذيل العروس فقط وإنما أراد السبوغ والكثرة والكثافة ألا تراه قال تسد به فرجها من دبر وقد يكون الذنب طويلا يكاد يمس الأرض ولا يكون كثيفا بل قد يكون رقيما نزر الشعر خفيفا فلا يسد فرج الفرس فلما قال تسد به فرجها علمنا أنه أراد الكثافة والسبوغ مع الطول فأنما أشبه الذنب الطويل ذيل العروس من هذه الجهة وكان في الطول قريبا منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك بموجب للعيب ولا أن يكون ذنب الفرس من أجل تشبيهه بالذيل مما يحكم على الشاعر أيضا أنه قصد إلى أن الفرس يسحبه على الأرض وإنما العيب في قول البحترى

ذنب كما سحب الرداء يذب عن عرف وعرف كالقناع المسبل  
فأفصح بأن الفرس يسحب ذنبه ،

\*\*\*

وعاب عليه الأصمعي قوله :  
لها متنتان خظانا كما أكب على ساعديه النمر  
فقال « إنه أساء في وصف المتن بكثرة اللحم لأنه يستحب تعريق المتن  
وتعريق الوجه كما قال طفيل :

معرفة الألحى تلوح متونها

• يقول هي معرفة الوجه ويكاد يستبين العصب من قلة اللحم وكذلك  
المتون »

ويحسن بنا أن نشير هنا إلى كلمة ( خطاتا ) فأن فيها رأيين الأول أنها اسم مشى حذفت منه النون التي هي عوض عن التنوين في الاسم المفرد والمفرد خطاة أى مكتنزة لجا وحذف مثل هذه النون وارد في كلام العرب ومن ذلك ما قالوه حكاية عن الحجلة التي قالت للقطا ( قطا قطا ، قفاك أمعطا بيضك تثنان وبيضى مائتا ) أى مائتان . والرأى الثانى أن تكون خطنا فعلا مثل قمننا ثم أظهر الألف لحركة التاء فقال خطانا . ولم تظهر الألف وإنما ألقيت وطرحت فى مثل قضت لسكون التاء منعا لاجتماع الساكنين وقد قال أهل النظر من أهل البصرة إن امرأ القيس لما جاوز فى طيء علق من اختهم وهم يتقلبون الياء ألما يقولون فى رضيت رضاتا وكذلك خطاتا كان أصلها خطيتا فقلبت الياء ألفا

\*\*\*

وعيب عليه قوله .

وعين لها حدره بدره فشقت ماقيهما من آخر  
قيل « فى البيت عيب وهو أنه وحد العين ثم رد إليه ضمير الاثنين ،  
ولكن أبا عمرو يجوز هذا فى الاثنين إذا كانا لا يفترقان وعلى ذلك فلا  
عيب فى البيت

\*\*\*

وعاب أبو سعيد محمد بن هبيرة على امرئ القيس قوله  
واللسوط فيها مجال كما تنزل ذو برد منهمر



فقال « هذا ردىء مالها وللسوط ، ولكن ابن أيوب أراد أن يخلص  
البيت من العيب فقال « أى لها عن السوط مجال ولو أراد الضرب لكنت  
كسرعة حمار الكساح ،

\*\*\*

ولما تنازع امرؤ القيس وعلقمة بن عبدة الفحل الشعر واحتكا إلى أم  
جندب زوجة امرئ القيس فضلت علقمة وعابت على زوجها قوله  
فلاسوط أهوب والساق درة وللزجر منه وقع أخرج مهذب  
وقالت له أجهدت فرسك بسوطك في زجرك ومريته فأتعبته بساقلك  
فهو فرس بطلء لأنه يحوج إلى السوط وإلى أن يركض بالرجل ويزجر  
أما ابن عبدة فإنه قال

فأدر كهن ثانيا من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب  
فأدر ك فرسه الصيد ثانيا من عنانه ولم يضربه بسوط ولم يتعبه  
وقد ذكر العلماء هذه المعاضلة من غير تعليق ولا تعقيب كأنهم يوافقون  
أم جندب في نقدها . ولكننا عند التأمل وإنعام النظر نرى أن فرس امرئ  
القيس لا يقل عن فرس صاحبه في طلب الصيد وإدراكه وسرعة لحاقه ،  
وإن كان في ذكر امرئ القيس للسوط والساق والزجر شيء من الهجنة  
والنقص فنحن نرى أنه قد ذكر هذه الأشياء ليبدل على مبلغ عنايته بريضة  
فرسه وتأديبه وأن عنده أفانين من الجرى فيعطى راكبه ما يشاء منها وقد ألم  
بهذا المعنى في غير هذا الموضع إذ يقول :-

على لاحق يعطيك قبل سؤاله أفانين جرى غير كزولاوان  
على أن امرأ القيس بعد ذلك البيت الذي عابته عليه أم جندب قال :-  
فأدرك لم يجهد ولم يئن شأوه يمر كخزروف الوليد المنقب  
وهذا البيت يدل على ما يدل عليه بيت علقمة بل إنه يزيد عليه حسنا ومتانا ،  
ولكن أم جندب كانت ظالمة لامرئ القيس فجارت في حكومتها وذلك  
لحاجة في نفسها لأنها كانت تكرهه لفركه وكان هواها مع علقمة ولذلك  
فأنه خلف امرأ القيس عليها وفي ذلك ما يدل على تحيزها لعلقمة .  
وفوق ما تقدم فأن ابن المعتز يذكر أن قصيدة ( خليلي مرابني ) من شعر  
امرئ القيس كما أن المفضل يرويها لعلقمة . وابن الجصاص وحماد يرويان  
القصدين لامرئ القيس

٢٢

وبعد ما سبق فأن أسرف المنتقدون على امرئ القيس في الذم وبالغوا  
عليه بالظعن وتجاوزوا الحد الذي يقف عنده المحتج المناظر إلى مذهب  
المسقط المغالط والمتعصب المتحامل فلسنا نمنع أن يكون امرؤ القيس  
قد وهم في بعض شعره وعدا عن الوجه الأوضح في شيء من معانيه . وغير  
منكر لفكر تتج من المحاسن مانتج وولد من البدائع ما ولد أن يلحقه الكلال  
في بعض الأوقات والزائل في بعض الأحيان بل من الراجب لمن أحسن  
إحسانه وابتدع ابتداعه أن يسامح من سهوه ويتجاوز له عن زلله فلكل جواد  
كبوة ولكل عالم هفوة

## تأثر امرؤ القيس بغيره

كانت الحياة الجاهلية على ما تعلم حياة بدوية أولية لا تعقيد فيها ولا تكلف وهي على فطرتها حياة خشنة جاسية كل ما فيها شاة وبعير، وخيام وقباب، وغيث وكلاء. تخرج في أكثر أحيائها بشظف العيش وكلاثة البال. بما أدى بهم إلى التدافع على النجعة والتكالب على المرعى وكان داعية لقيام العداوة بينهم ومحاربة بعضهم بعضا.

واللغة ككل أعراض الحياة خاضعة لمزاج أهلها فهم الذين يخلعون عليها الخشونة أو يزينونها بألوان من الرقة. ولذلك كانت اللغة العربية في جاهليتها متمشية مع الروح التي سرت إليها من أهام تستعمل في أغراض معيشتهم وكل ما يلائم بيئتهم ويناسب طباعهم دون إغراق في الاستعمال ولا غلو في ترتيب المعاني والأفكار بل يرسلون القول لطيبته حسب ما تتخيله نفوسهم وتستدعيه بديتهم فيدخلون معنى في معنى وينتقلون اقتضابا من غرض إلى غرض دون تحيل ولا تاطف وقد يمهدون لذلك بقولهم دع ذا وعد عن ذا أما أفاضهم وأساليبهم فكانت كما كانت حيانهم وليدة الفطرة والبداءة فيها جزالة وعلى مخايلها شيء من الوعورة. ومن مذاهبهم في قصائدهم أن يفتتحوها بالنسيب وذكر الرحيل والانتقال وتوقع البين والأشفاق منه رصفة الطلول والحمول تعطيها للقلوب واستدعاء للقبول لما في الطباع من حب الغزل والميل إلى اللهو والنساء. وإن ذلك استدراج إلى ما بعده.

وقد تأثر امرؤ القيس في كلياته بتلك الروح الغالبة على عصره فقد كان

يبدأ قصائده بالنسيب ووصف النساء وذكر محاسنهن وديارهن وهواه معهن  
وينتقل بعد ذلك إلى ما يأخذ فيه من الأغراض التي تستوحبها حياة البادية  
من وصف للفرس وخروج للصيد ووصف للغيث والكلاء وذكر نبه وفتوته  
والافتخار بنجاره إلى غير ذلك وقد يكون هذا الانتقال طفرة كما انتقل في  
معلقته من النسيب إلى وصف الليل فقال . -

ألرب خصم فيك ألوى رددته نصيح على تعذاله غير مؤتل  
وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى  
وقد يكون بقوله دع ذا كما انتقل في قصيدته (سما لك شوق بعد ما كان  
أقصرا) إلى وصف الناقة بقوله . -

فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة ذمول إذا صام النهار وهجرا  
وقد ظهر أثر البداوة في شعر امرئ القيس أيضا في جفاء عبارته ووعورة  
الفاظه وتجهم معانيه وخشونة تشبيهه . وأنت تدرك ذلك في قوله . -  
برهمة رودة رخصة كحرة البانة المنفطرا  
وقوله : -

وأركب في اللهام المجرحتي أنال ما كل القحم الرقاب  
وقوله : -

---

(١) البرهمة الرقيقة الحلد اللسان المترحة والرودة الشاة والرخصة الناعمة والحرة المصتوالة  
قصب البان والمنفطر المسق ٢ اللهام الحيش العرمه ونحر التمل المتندى - يره والقحم الاصع الكثيرة  
من الاموال . عهها والاعبال . امة

وظل لصيران الصريم غمامم يداعسها بالسهمري المقلب<sup>١</sup>  
فكاب على حر الجبين ومتق بمدرية كآها ذلق مشعب<sup>٢</sup>  
ففننا إلى بيت بعلياه مردح سماوته من أتحمى معصب<sup>٣</sup>  
وتقف أيضاً على خشونة تشبيهه في قوله يصف ننان معشوقته الناعمة :-  
وتعطو برخص غير شئن كآنه أساربع ظبي أو مساويك إسحل  
فقد شبه تلك البنان الرخصة بدود ظبي أو مساويك إسحل وكذلك  
في قوله يصف شعر معشوقته أيضاً  
وفرع يزين المهن أسرد فاحم أثيث كقنو النخلة المتعتكل  
فأنه يشبه شعرها بقنو النخلة

على أن امرأ القيس كان في كثير من الأحيان يحنج في شعره إلى حسن  
الديباجة وبديع المعنى ودقيق الوصف ورقيق التشبيه وسهولة المأخذ وعذوبة  
النسيب وذلك لأنه وإن تأثر بعصره وشاكل من حوله إلا أنه اختط لنفسه  
طريقاً مستقلاً ومنزاعاً خاصاً حتى ليخل إلينا أنه أمة وحده لا يستمد من أحد  
من أهل زمانه على حين أنهم ينبوع عقله ومدد بحره وذلك سر عظمته  
مما جعل الشعراء بعده يحتذون حذوه ويحاكونه في تهذيب أشعارهم

---

١ الصيران جمع صوار وهو الثور الوحشي والصريم مقطع الرمل والعامم الأصوات والحوار، ويداعسها  
يطاعها . السهمري الرمح والمقلب المقوى بالعلاء وهي عصاة تشد على العصي إذا حاورا أن تنكسر  
(٢) الكابي الساقط على وجهه وحر الحين ما طهر من الوجه والمدرية القرص والدلق الحد والمشعب الحمرز  
(٣) شار جعما ومردح واسع . وسماوته أعلاه . والاتحمى البرود المحوكة . والمعصب أي المحوكة حصاليين

وترقيق معانيهم

أما عن تأثير امرئ القيس في جزئياته فقد ذهب أستاذي المغفور له  
( شاعر البادية ) إلى أن الأثر في ذلك لعبيد بن الأبرص وقد يكون هذا  
صحيحا والحجة في ذلك أن عبيدا أكبر من امرئ القيس سنا وأقدم زمانا  
فقد قال أبو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين إن عبيدا عاش زهاء المائتي  
سنة أخذا من قوله . -

مائتي زمان كامل ونضية عشرين عشت معمرا محمودا  
وشهدت أول ملك نصر ناشئا وبناء شداد وكان أييدا  
وأول ملك بني نصر كان في أواخر القرن الثالث لأن أول ملوكهم  
عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة الأبرش وهو الذي أخذ بثأره من الزباء  
وترلى الملك بعده . وهما قيل في ذلك من التأويل فإنه لا بد أن يكون  
عبيد أكبر من امرئ القيس بزمن طويل قال فيه الشعر وتفنن فيه وامرؤ  
القيس إما في عالم الغيب وإما في عداد الأبطال ولا يسع المؤرخ أن ينسب  
ما يتوافقان فيه من المعاني والأساليب إلا إلى السابق ولا مريفة في أنه عبيدا  
ويظهر هذا الأثر في قول عبيد : -

عيناك دمعها سروب كأن شأنهما شعيب  
فقد أخذه امرؤ القيس فقال . -

عيناك دمعها سلسال كأن شأنهما أوшал

---

( ١ ) عبيد خل من خول شعراء الجاهلية وهو من أهل السق والافتان في الشعر وإنما أحرمه عن الطبقة  
الأولى عندهم أنهم لم يجدوا له كثيرا مثل ما وجدوا لغيره كما أشار إلى ذلك ابن سلام . وقيل إن منيته كانت  
على يد المنذر من السماء في يوم من أيام نوحه وله ديوان مطبوع في أورنا

وقال عبيد :

أو جدول في ظلال نخل      للماء من تحته قسيب  
فتبعه امرؤ القيس وقال

أو جدول في ظلال نخل      للماء من تحته مجال  
وقال عبيد

قطعة غدوة متيمنا      وصاحبي بادن جنوب  
فقال امرؤ القيس

قد أقطع الأرض وهي قفر      وصاحبي بازل شمال  
وقال عبيد

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن      سلكن غميرا دونهن غموض  
فتبعه امرؤ القيس فقال

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن      سلكن ضحيا بين حزمي شعيب  
وتبعه الشعراء بعده كزهير إذ يقول

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن      تحملن بالعلياء من فوق جرثم  
وقال عبيد :

كأن ريقتها بعد الكرى أغبقت      صباه صافية بالمسك محتومة  
فقال امرؤ القيس

كأن المدام وصوب الغمام      وريح الخزامى ونشر القطر  
يعل به برد أنيابها      إذا طرب الطائر المستحر

وتابعها في ذلك شاعر آخر فقال :

لو ذقت فاهما بعد النوم المدج      والصبح لما هم بالتبليج  
قلت جنا النحل بما الحشرج      يخال مثلوجا وإن لم يثلج  
وقال عبيد :

حبست فيها صحابي كي أسائلها      والدمع قد بل مني جيب سربالي  
ويقول امرؤ القيس

ففاضت دموع العين مني صباية      على النحر حتى بل دموعي محلي  
واقفى أثرهما في ذلك النابتة حيث يقول :

فكفكفت مني عبرة فرددتها      على النحر منها مستهل وداعم  
ويقول عبيد

زعمت أتى كبرت وأنى      قل هالى وضمن عن الموالى  
وصحا باطلى وأصبحت كهلا      لا يثوانى أمثالها أمثالى  
فيقول امرؤ القيس

ألا زعمت بسباسة اليوم أتى      كبرت وألا يحسن السر أمثالى  
وقال عبيد

كأن أظعانهم نخل مسوقة      سود ذوائبها بالحمل مكومة  
فقال امرؤ القيس

أو ما ترى أظعانهم بواكرا      كالنخل من شوكان حين صرام  
وقال عبيد .



وبيت عذارى يرتمين بخدرة دخلت وفيه عانس ومريض  
فقال امرؤ القيس

وبيت عذارى يوم دجن ولجته يظفن بجباء المرافق مكسال  
وغير ذلك كثير مما يظهر عند قراءة ديوانيهما

ومما يدل أيضا على تأثير عبيد في امرئ القيس تلك المحاجاة التي كانت  
بينهما فأنها عندنا مثال من أمثلة التمرين الذي يعمله غالباً الأكبر للأصغر  
ليختبره . إذ يقول له عبيد ما معرفتك بالأوابد فيقول امرؤ القيس قل  
ما شئت تجدني كما أحببت فيقول عبيد :

ما حية ميتة قامت بميتها درداء ما أنتبت سنا وأضراسا  
فيقول امرؤ القيس

تلك الشعيرة تسقى في سنا بلها فأخرجت بعد طول المكث أكدا سا  
وهكذا ظل عبيد سائلا وامرؤ القيس مسئولاً مجيباً حتى انتهيا . ولقد  
كان عبيد يقول الشعر مفتخراً على امرئ القيس ومن ذلك قصيدته التي  
يقول فيها :

ياذا المخوفنا بقتل أبيه إذلالاً وحيناً

وقد تقدمت

ومن ذلك أيضاً قصيدته التي يقول فيها :

أمن رسوم نأيها راحل ومن ديار دمعك الهامل  
أجالت الريح بها ذيلها عاماً وجون مسبل هامل

وفيها يقول أيضا

يا أيها السائل عن مجدنا إنك عن مسعاتنا جاهل  
إن كنت لم تسمع بآبائنا فسل تنبأ أيها السائل  
سائل بأ حجرا غداة الوغى يوم تولى جمعه الحافل  
يوم لقوا سعدا على ماقط وحاولت من دونه كاهل  
فأوردوا سرى له ذبلا كأنهن اللهب الشاعل  
وعامرا أن كيف يعلم إذا التقينا المرهف النائل  
قوى بنو دودان أهل الحجى يوما إذا ألقحت الحائل  
كم فيهم من سيد أيدي ذى نفحات قائل فاعل  
من قوله قول ومن فعله فعل ومن نائله نائل  
القائل القول الذى مثله يمرع منه البلد الماحل  
لا يحرم السائل إن جاءه ولا يعفى سيبه العاذل  
الطاعن الطعنة يوم الوغى يذهل منه البطل الباسل  
وهذه القصيدة تشاكل قصيدة امرئ القيس التى مطلعها  
يادار ماوية بالحائل فالسهب فالخبتين من عاقل  
وقد تقدمت

وإذا وازنا بين القصيدتين نجد أن عبيدا أشعر الرجلين حتى لكانه  
قلب بامرئ القيس الأرض أو طبق عليه السماء  
وامرؤ القيس وإن تأثر بعبيد فمن المعقول أيضا أن يكون عبيد متأثرا  
بامرئ القيس كذلك

ولئن صح ما قاله ابن رشيق من أن امرأ القيس كان يتكأ على أبي  
دواد الأيادي ويروي شعره ليكروبن متأثرا به لاسيما وأن أبا دواد - كما  
ذكر صاحب الأغاني - كان وصافا للخيل وأكثر أشعاره في وصفها . وقد  
قال ابن الأعرابي أيضا لم يصف أحد قط الخيل إلا احتاج إلى أبي دواد . وقد  
فتشت كثيرا فيما وقع لي من كتب الأدب على أثره على شعر لأبي دواد  
أستطيع معه أن أبين أثره في امرئ القيس فلم أوفق ولم أعثر له إلا على  
بعض مقطعات في كتاب الأغاني ومهذبه لاتسد حاجتنا ولا تفي بغرضنا  
ولكن فيها بعض مانود وهي

من قوله في وصف الفرس

ولقد اغتدى يدافع ركني أحوذى ذو ميعة إضريح  
مخاط مزيل مكر مفر منفع مطرح سبوح خروج  
سلمب سرحب كأن رماحا حملته وفي السراة دهوج

ويظهر أثر هذا الشعر في قول امرئ القيس

وقد اغتدى والظير في وكناتها بمنجرد قيد الإوابد هيكل

وما شاكل ذلك

وفي قوله

مكر مفر مقبل مدبر معا بكلاود صخر حطه السيل من عل

وما شاكله أيضا

ومن شعر أبي دواد أيضا ما قاله لزوجته أم حبترو وقد عاتبته على سماحته

بما له فلم يعتما فصرمته . قال :

حاولت حين صرمتي والمرء يعجز لامحالة  
والدهر يلعب بالفتي والدهر أروغ من ثعالة  
والمرء يكسب ماله والشح يورثه الكلاله  
والعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقالة  
والسكت خير للفتي فالحين من بعض المقالة  
وندرك شيئاً من تأثر امرئ القيس بهذا الشعر حين يقول أبو دواد  
والدهر يلعب بالفتي والدهر أروغ من ثعالة  
فيقول امرؤ القيس

ألم أخبرك أن الدهر غول ختور العهد يلتهم الرجالا  
وحين يقول أبو دواد

والعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقالة  
فيقول امرؤ القيس

قولا لدودان عبيد العصا ما غرکم بالأسد الباسل  
ومن شعر أبي دواد قوله يصف ثورا خارجا من أجمة

وبدت له أذن توجس حرة وأحسم وارد

وقوائم عوج لها من خلفها زمع زوائد

كمقاعد الرقباء للضرباء أيديهم نواهد

وقوله يمدح الحارث بن همام بن مرة ويذكر ناقته الزباء وكان الحارث

قد جاوره فأحمد جواره

فألى ابن همام بن مرة أصعدت  
أنعمت نعمة ماجد ذى منة  
وجعلتنا دون الولى فأصبحت  
وبما قاله لزوجته أم حبر أيضا

في ثلاثين زعزعتها حقوق  
زعمت لى بأنتى أفسد المال وأزويه عن قضاء ديونى  
أملت أن أكون عبداً لمالى  
وهو القائل أيضا

لا أعد الاقتار عدما ولكن  
من رجال من الاقارب بادوا  
فهم للملايين أناة  
وسماح لدى السنين إذا ما  
ورجال أبوهم وأبى عمرو وكمب بيض الوجوه جسام  
وشباب كأنهم أسد غيل  
و كقول بنى لهم أولوهم  
سائط الدهر والمنون عليهم  
و كذا كم مصير كل أناس  
فعلى إثرهم تساقط نفسى  
ومن قوله

ياعدى لقلبك المتهاج إن عفا رسم منزل بالنباج  
غيرته الصبا وكل ملك دائم الودق ذى أهاضيب داج  
وحمانا غلامنا تم قلنا هاجر العيس ليس منك بناج  
فانتحى مثل ما انتحى بازدجن جوعته القناص للدراج  
أما غير عبيد وأبي دواد من تأثر بهم امرؤ القيس فقد قيل إن خاله  
مهلهل هو الذى علمه القريض وقد قدمنا أن امرأ القيس تأثر به من جهة  
الوراثة والمعهود إلى عصرنا هذا أيضا أن كل شاعر يستقى الشعر من الطبقة  
التي تحيط به ويتأثر بالشعراء زمنه أو المتقدمين عليه ونحن نعلم أن  
امرأ القيس لقي التوأم اليشكري وكانت بينهما ممانته شعرية ولقى علقمة  
الفحل أيضا والسموأل وصحب عمرو بن قميئة وجابر بن حنا وكانا يكبران  
سنا ومن شعراء عصره من لم نعرف لقاءهم به الحارث بن عباد والمرقش  
الأكبر والمرقش الأصغر وذو الأصبع العدواني وهم أكبر منه سنا وأبعد  
زمننا ومنهم أيضا سعد بن مالك جد طرفة وزهير بن جناب الكلبي ومن  
أقرانه طرفة والمتدلس . وغير هؤلاء من فحول شعراء الجاهلية من ذكرنا  
ومن لم نذكر من هو أكبر من امرئ القيس سنا ومات قبله أو غير بعده  
أو أصغر منه ومات فى عهده أو بقى بعده وكلهم شاعر مفطور تبدو شاعريته  
ولو فى القليل من كلامه . على أن امرأ القيس وإن تأثر بمعاصريه فى أنحاء  
القول فأن هذا الأثر عندنا لا يعدو ارتفاع العقل ونضج الملاكمة وهو إن  
تأثر بهم فأنه والحق يقال له أثر كبير فيهم فكلاهما على الحقيقة متأثر  
بصاحبه ومؤثر فيه

## أثر امرئ القيس في غيره

لازى العرب أعجبوا بشاعر إعجابهم بامرئ القيس في جودة معانيه وابتداع الكثير منها وسلوكه مذهب المجددين المخترعين في الأساليب ولذلك فقد تأثر به الشعراء في الكليات والجزئيات . أما أثره في الكليات فقد قال العلماء إنه سبق الشعراء جميعا إلى أشياء ابتدعها واستحسنها غيره من الشعراء واتبعوه فيها ، فهو أول من وقف واستوقف ربكي واستبكي وشبه النساء بالبيض والظباء والمها ، والخيل بالعقبان والعصى . وهو أول من قيد الأوابد وأول من رقق النسب وفرق بين الغزل وغيره من فنون الشعر وهو أول من اخترع هذا الضرب من التشبيه المعروف عند علماء البلاغة بالتشبيه الملفوف في مثل قوله

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى  
وهو أول من اخترع الاستعارة - كما قال ابن وكيع - في قوله  
وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى  
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجارا وناء بكل كل  
فأستعار الليل سد ولا يرخيها وصلبا يتمطى به وأعجازا يردفها وثلثا  
ينوء به . وهو أول من ابتكر هذا النوع من الاستعارة المعروف بالمائة  
أو التمثيل في مثل قوله

وما ذرفت عيناك إلا لتضربى بسهميك في أعشار قلب مقتل  
فقد مثل عينها بسهمى الميسر يعنى المعلى وله سبعة أنصباء والرقيب وله

ثلاثة أنصباء فصار جميع أعشار قلبه للسهمين اللذين مثل بهما عينيها، ومثل قلبه بأعشار الجزور فتمت له جهات الاستعارة والتمثيل . وهو أول من اخترع التشبيه الوهمي في قوله

أيقنتني والمشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال  
وهو أول من اخترع التشبيه المؤكد المحذوف الأداة وكان التشبيه قبله مع دخول الكاف وأمثالها أو كأن وما شاكلها وهو كما قال ابن رشيق أول من فتح باب تشبيه أربعة بأربعة والتشبيه بالاضافة في قوله

له أبطالا ظي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تنقل  
وهو أول من استعمل هذا النوع المعروف بالتتابع في مثل قوله  
وتضحى فتيت المسك فوق فراشها تؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل  
وقوله

أمرخ خيامهم أم عشر أم القلب في إثرهم منجدر  
وهو أيضا أول من ابتكر هذا النوع المعروف بالائغال في مثل قوله  
إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه تقول هزير الريح مرت بآثاب  
أما أثر امرئ القيس في الجزئيات فهذا باب واسع نأتى منه بما يتسع  
له المقام

قال امرؤ القيس

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لاتهلك أسى وتجمل  
فقاله طرفة



وقوفا بها صحبي على طيهم      يقولون لاتهلك أسي وتجلد  
وقال امرؤ القيس يصف فرسه  
ويخطو على صم صلاب كأنها  
فقاله النابغة

كأن حواميه مدبرا      خضبن وإن كان لم يخضب  
حجارة غيل برضراضة      كسين طلاء من الطحلب  
وقال امرؤ القيس يصف الليل  
وليل كموج البحر أرخى سدوله  
فقلت له لما تمطى بصلبه  
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي  
فيالك من ليل كأن نجومه  
كان الثريا علقت في مصامها  
وتابعه في ذلك الوصف النابغة فقال .

ظيني لهم يا أميمة ناصب      وليل أقاسيه بطيء الكواكب  
تطاول حتى قلت ليس بمنقض      وليس الذي يرعى النجوم بآتب  
وصدر أراح الليل عازب همه      تضاعف فيه الحزن من كل جانب

وقد اختلف الوليد بن عبد الملك مع أخيه مسلمة في أي الشعرين أحسن  
في وصف الليل أشعر امرئ القيس أم شعر النابغة ؟ واحتكما إلى الشعبي  
فنضى لامرئ القيس

ويظهر معنى بيت امرىء القيس  
كأن الثريا علقت في مصامها      بأمراس كتان إلى صم جندل  
في قول الأرجاني  
يخيل لي أن سمر الشهب في الدجا      وشدت بأهدابي إليهن أجفاني  
ومن مخترعات امرىء القيس المتنازعة في الحسن قوله  
سموت إليها بعد ما نام أهلها      سمو حجاب الماء حالا على حال  
وقد قلده فيه شاعر متأخر فقال  
أدب إليها ديب الكرى      وأسمو إليها سمو النفس  
وتابعه فيه أيضا وضاح اليمى فولد منه معنى مليحا قال  
فاسقط علينا كسقوط اندى      ليلة لانه ولا زاجر  
وقلده فيه أبو تمام بعد أن عدل به إلى وجه المديح فقال  
سما للعلا من جانبيه ظيها      سمو حباب الماء جاشت غواربه  
وما قيل في إخفاء الحركة والديب أبلغ ولا أبرع من بيت امرىء القيس  
وهو أول من طرق هذا المعنى فيه وابتكره  
ومن البديع قول امرىء القيس في أذنى الفرس  
وسامعتان يعرف العتق فيهما      كسامعتى مذعورة وسط ديرب  
اتبعه طريقة فقال فيه  
وسامعتان يعرف العتق فيهما      كسامعتى شاة بحومل مفرد  
ومثله قول امرىء القيس في وصف الفرس

وعينان كالماويتين ومحجر إلى سند مثل الصفيح المنصب  
فقال طرفة في وصف عيني ناقته  
وعينان كالماويتين استكتتا  
وقال امرؤ القيس  
بكمفى حجاجى صخرة قلت مورد

إذا ما الثريا في السماء تعرضت  
فاتبعه ابن الطثرية وقال  
تعرض أثناء الوشاح المفصل

إذا ما الثريا في السماء كأنها  
وقال امرؤ القيس  
جمان وهى من سلكه فتبددا

فلو أنها نفس تموت جميعة  
فأخذه ابن الرومى وقال  
ولكنها نفس تساقط أنفسا

فإلك من نفس تساقط أنفسا  
وقال امرؤ القيس  
تساقط در من نظام بلا عقد

كبكر المقناة البياض بصفرة  
فتبعه فيه غيلان ذو الرمة فقال  
غذاها نمير الماء غير المحال

نجلاء في برج صفراء في نعب  
واتبعه فيه أمير الشعر في العسر الحديث ( شوقى بك ) فقال  
كأنها فضة قد مسها ذهب

حرف كأنها الحبيب فبى فضة ذهب

وقال امرؤ القيس

كأنى لم أركب جوادا للذة  
ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل      لخلي كرى كرة بعد إجمال  
فأخذه عبد يغوث وقال  
كأنى لم أركب جوادا ولم أقل      لخلي كرى نفسى عن رجاليا  
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل      لا يسار صدق عظموا ضوء ناريا  
وقال امرؤ القيس  
تنورتها من أذرعات وأهلها      يثرب أدنى دارها نظر عال  
فأخذه الحارث بن حلزة وقال  
فتنورت نارها من بعيد      بجران هيات منك الصلاة  
ومثله أيضا قول الآخر  
أليس بصيرا من رأى ودهوقاعد      بمكة أهل الشام يحتبرون  
وقال امرؤ القيس فى وصف الناقة  
وعنس كألواح الأمران نساتها      على لاحب كالبردذى الحبرات  
فقلده طرفة وقال  
وعنس كألواح الأمران نساتها      على لاحب كأنه ظهر بوجد  
وقال امرؤ القيس فى طباع النساء  
أراهن لا يحببن من قل ماله      ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

١ قال الوزير أبو بكر قد فوضل بين غلو امرى القيس فى هذا البيت وغلو مهلهل فى قوله

فلولا الريح اسمع من بحجر      صايل البيض يقرع بالذكور

وبين حجر وهى قصة اليمامة وبين مكان الواقعة عشرة أيام فليل هو أشد غلا من امرى النفس لامن

حاسة البصر أقوى من حاسة السمع وأشد إدراكا

فاتبعه علقمة وقال :

فإن تسألوني بالنساء فأنتي      خبير بأدواء النساء طبيب  
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله      فليس له في ودهن نصيب  
يردن ثراء المال حيث علمه      وشرح الشياب عندهن عجيب  
وقال امرؤ القيس

يضىء الفراش وجهها لضجيعها      كصباح زيت في قناديل ذبال  
فتعاورت الشعراء هذا البيت وزادت فيه قال أبو الطيب المتنبي  
أمن ازديارك في الدجا الرقباء      إذ جئت كنت الظلماء ضياء  
ومثل قول امرؤ القيس

قفانبك من ذكرى حبيب ومزل      بسقط اللوى بين الدخول فومل  
قول البحترى

لها - نزل بين الدخول فتوضح      متى تره عين المتيم تسفح  
وقال امرؤ القيس

إذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها      تميل عليه هونته غير مجبال  
وقال أيضا

فلما تناز عنا الحديث وأسمحت      هصرت بغصن ذى شماريخ ميال  
فتابعه الجعدى في بعض ألقاظ البيت الأول وفي معنى البيت الثانى فقال  
إذا ما الضجيع ثنا عطفها      تثنت عليه فكانت لباسا  
وقال امرؤ القيس

كأن الحصى من خلفها وأمامها إذا نجلته رجلها حذف أعسرا  
فأخذه الشماخ وقال  
لها منسج مثل الحجارة جفة كأن الحصان خلفه حذف أعسرا  
وقال امرؤ القيس  
كفيت يزل اللبد عن حال منته كما زلت الصفواء بالمتنزل  
فقاله أوس بن حجر  
يزل فتود الرجل عن دأياتها كما زل عن عظم الشجيج المحارف  
وقال امرؤ القيس يصف الفرس  
سليم الشظاعبل الشوى شنج النساء له حبيبات مشرفات على الفال  
فتابره كعب بن زهير وقال  
سليم الشظاعبل الشوى شنج النساء كأن مكان الردف من ظهره قصر  
وقال امرؤ القيس فى الخمر  
فلبا استطابوا صب فى الصحن نصفه وشجت بماء غير طارق ولا كدر  
بماء سحاب زل عن متن صخرة إلى بطن أخرى طيب ماؤها خصر  
فأخذها كعب وقال  
شجت بنى شيم من ماء مخنية صاف باء يطح أضحى وهو مشمول  
تنفى الرياح القذى عنه وأفرطه من صوب سارية بيض يعاليل  
ويشاكل معنى البيت الأول من بيتى امرئ القيس قول أبى نواس  
قرارتها كسرى وفى جنباتها مهى تدرىها بالقسى الفوارس

فللخمر ما زرت عليه جيوسها      وللباء ما دارت عليه القلائس  
وقال امرؤ القيس

وما المرء مادامت حشاشته نفسه      بمدرك أطراف الخطوب ولا آلى  
فقلده فيه شاعر آخر فقال

نروح      ونغدو      لحاجاتنا      وحاجة من عاش لا تنقضى  
وإن من يقرأ قصيدة امرئ القيس وقصيدة علقمة اللتين احتكما فيهما  
إلى أم جندب يرى فيهما أبياتا كثيرة مشتركة في ألفاظها ومعانيها مثل قول  
امرئ القيس

وعين كمرآة الصناع يديرها      بمحجرها من النصف المثقب  
وقول علقمة

بعين كمرآة الصناع يديرها      بمحجرها من النصف المثقب  
ومثل قول امرئ القيس

بمنجرد قيد الأوابد لآحه      طراد الهوادي كل شأ ومغرب  
قاله علقمة بهذا اللفظ عينه أيضا  
ومثل قول امرئ القيس

كأن عيون الوحش حول خبائنا      وأرحلنا الجزع الذئى لم يثقب  
وقوله أيضا

وقد أغتدى الطير فى وكناتها      وماء الئدى يجرى على كل مئذب  
قالها علقمة بلفظها أيضا

و كقول امرئ القيس

فمادى عدا بين ثور ونعجة وبين شوب كالقضية قرهب  
قاله غلقة

وعادى عدا بين ثور ونعجة وتيس شوب كالهشيمة قرهب  
وغير ذلك من المعاني والألفاظ المشتركة التي يجلوها على القارىء  
تصفح القصيدتين وهما في ديوان كل منهما في كتاب العقد الثمين وفي  
مذهب الأغانى أيضا

وقال امرؤ القيس

فأدر كمن ثانيا من عنانه كغيث العشى الأقب المتودق  
ومثله قول غلقة

فأركم ثانيا من عنانه يمر كمر الرايح المتحلب  
وقال امرؤ القيس

لها ذنب مثل ذيل الثروس تسد به فرجها من دبر  
فقلده خدش بن زهير وقال

لها ذنب مثل ذيل الهدى إلى جوجو أيد الزافر  
وقال امرؤ القيس

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليل من المال  
ولكنما أسعى لمجد مؤئل وقد يدرك المجد المؤئل أمثالى

وقد أخذ هذين البيتين وبسط معناهما خفاف بن غضين البرجمي فقال



ولو أن ما أسعى لنفسى وحدها      لزيد يسير أو ثياب على جلدى  
لهان على نفسى وبانح حاجتى      من المال مال دون بعض الذى عندى  
ولكنما أسعى لمجد مؤثر      وكان أبى نال المكارم عن جدى  
وقال امرؤ القيس

وقد أغتدى والطير فى وكناتها      بمنجرد قيد الأوابد هيكلك  
فاقتدى به الناس واتبعه الشعراء      وولدوا من قوله قيد الأوابد معانى  
أخرى فليل قيد النواظر وقيد الإلحاظ      وقيد الكلام وقيد الحديث وقيد  
الرهان . قال الأسود بن يعفر

بمقلص عند جهير شده      قيد الأوابد والرهان جواد  
وقال أبو تمام

لها منظر قيد النواظر لم يزل      يروح ويغدو فى خفارتة الحب  
وقال آخر

الإحاطة قيد عيون الورى      فليس طرف يتعباه  
وقال آخر

قيد الحسن عليه الحدقان

وكذلك قول أبى الطيب

أجل      الظليم      وربقة      السرحان

وقال امرؤ القيس

إن شفائى عبرة مهراقته      فهل عند رسم دارس من معول

تتابعه ذو البرمة وقال

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفي نجي البلابل

وتابعه أيضا الحسن بن وهب وقال

أبك فما أكثر نفع البكا والحب إشفاق وتعليل

وهو إذا أنت تأملته حزن على الخدين محلول

وتابعه الفرزدق فقال

فقلت لها إن البكاء لراحة به يشفى من ظن أن لا تلاقيا

وقلده أبو تمام أيضا فقال

واقعا بالحدود والبرد منه واقع بالقلوب وإلا كباد

وقال امرؤ القيس

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الأصباح منك بأمثل

فأخذه الطرماح بن حكيم الطائي وقاله بلفظه ومعناه في مطلع قصيدة له

ألا أيها الليل الطويل ألا اصبح بتم وما الأصباح فيك بأروح

وأخذه ابن عيينة أيضا وجعله في الشوق إلى الوطن فقال

طال من ذكره بمرجان ليلى ونهارى على كالليل داجي

وقال امرؤ القيس

إذا ركبوا الخيل واستلاموا تحرقت الأرض واليوم قر

فأخذه نهشل وقال

ويوم كأن المصطلين بحره وإن لم يكن حر قيام على جهر

ومثله قول الطائي

ويوم يظل العز يحفظ وسطه لسر العوالى والنفوس مضيع  
مصيف من الهيجا ومن جمره الوغا ولكنه من وابل الدمع مرتع  
وقال امرؤ القيس

وسالفة كسحوق اللبا ن أضرم فيها الغوى السعير  
ومثله لطفيل

كأن على أعرافه ولجامه سنى ضرم من عرفج متلهب  
ومثله للعجاج

سفواء سرخاء تبارى معلجا كأنما يستضمرمان العلفجا  
وقال امرؤ القيس

ألم ترياننى كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا وإن لم تطيب  
فقلده فيه أبو الطيب المتنبي وأجاد فيه فقال

أتت زائرا ما خامر الطيب ثوبها وكالمسك فى أردانها يتضوع  
وقال امرؤ القيس

وإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم ينخلبك مثل مغلب  
أخذه أبو تمام فقال

وضعيفة إذ أمكنت عن قدرة قتلت كذلك قدرة الضعفاء  
وقال امرؤ القيس

تراهن من تحت الغبار نواصلا ويخرجن من تحت الثرى متنصب  
فتابعه طفيل وقال

إذا همطت سهلا حسست غماره بحانه الأصى دواجن تنصب

وقال امرؤ القيس

من القاصرات الطرف لودب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا

فقال أبو الطيب مقلدا هذا المعنى

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا

وقلده حميد بن ثور أيضا فقال

منعمة بيضاء لودب محول على جلدها بضت مدارجه دما

وقال امرؤ القيس

فبعض اللوم عاذلتى فأنى ستكفينى التجارب وانتسابى

ومثله قول لييد

فأن أنت لم ينفعك عليك فانتسب لعلك تهديك القرون الأوائل

فأن لم تجد من دون عدنان والدا ودون معد فلتدعك العواذل

وقال امرؤ القيس

وبات إلى أرطاة حقف كأنها إذا ألققتها غبية بيت معرس

ومثله قول ذى الرمة

إذا استهلت عليه غبية أرجت مرايض العير حتى مازج الخشب

كأنه بيت عطار يضمه لطائم المسك يحويها وتنتهب

وقال امرؤ القيس

وشمائلى ماقد علمت وما نبحت كلابك طارقا مثلى

فقلده عنتره وقال

وكا علمت شمائلى وتكرمى

ويظهر أثر امرئ القيس في قصيدة لبيد التي مطلعها « ألم تلمس على  
الدمن الخوالي » التي يقول فيها

أصاح ترى بريقا هب وهنا كصباح الشعيلة في الذبال  
أرقت له وأنجد بعد هده وأصحابي على شعب الرحال  
يضىء ربابه بالمزن حبشا قياما بالحراب وبالآلال  
وأصبح راسيا برضام دهر وسال به الخائل في الرمال  
وحط وحوش صاحبة من ذراها كأن وعولها رمك الجمال  
على الأعراض أيمن جانبيه وأيسره على كورى أنال  
أقول وصوبه منى بعيد يحط الشث من قلل الجبال  
سقى قومي بنى مجد وأسقى نميرا والقبائل من هلال  
وقد تبع امرأ القيس في غزله وديبه وتعرضه عمر بن أبي ربيعة ويظهر

أثر ذلك في قصيدته التي مطلعها

أمن آل نعم أنت غاد فبكر غداة غد أو رانح فهجرج  
وأیضا في قصيدته التي مطلعها  
ألم تسأل الأطلال فالتربعا يبطن خليات دوارس بلقما  
ومن أحسن معاني امرئ القيس عند اليأس من الحب والهوى ذلك  
المعنى الذي اتبعه الشعراء فيه ولا يزالون يتبعونه إلى عصرنا هذا وهو قوله  
أماوى هل لي عندكم من معرس أم الصرم تختارين بالوصل نياس  
أبني لنا إن الصريمة راحة من الشك ذى المخوجة المتلبس  
قلبه فيه ابن ميادة فقال

فلا صرعه يبدو وفي اليأس راحة ولا وصله يصفو لنا فنكاره  
وقال شاعر ناشيء

لو أن هذا الصدود هجر لكنت أرتاح من شجونى  
ومن مخترعات امرىء القيس أيضا قوله فى عرفان الأطلال الدارسة بما  
فى نفسه من الشغف إليها

لمن طال دارس آية أضربه سالف الأحرص  
تذكره العين من جانب ويعرفه شغف الأنفس  
وقد قلده فيه أبو نواس فقال

ألا لأرى مثلى امترى اليوم فى رسم تغص به عيني ويلفظه وهمى  
أت صور الأشياء بينى وبينه فظنى فلا ظن وعلى كلا علم  
وقد قلده فيه أيضا شاعر قرشى فقال

لو بدلت أعلى منازلها سفلا وأصبح سفلا يعلو  
لعرفت مغناها بما احتملت منى الضلوع لأهلها قبل  
وقد سمع بعض النقاد منشداً ينشد بيتى القرشى فقال ما بقى على هذا إلا  
أن يدعو على ديار صاحبه بحجارة من سجيل تجعل عاليها سافلها  
وأخذ هذا المعنى من امرىء القيس أيضا شاعر آخر فأحسن وأجاد  
وجعل الحديث عن هداية راحلته فقال

لا تقفها على السبيل ودعها يهدا شوق من عليها السبيل  
هذا ما وسعه المقام من التنبية على بعض معانى امرىء القيس التى سلكها  
فى شعره والتى قلده فيها شعراء عصره ومن أتى بعده

## ما جرى على لسان امرئ القيس

من

### استعمالات القرآن الكريم وألفاظه

لما كان القرآن الكريم قرآنا عربيا غير ذي عوج نزل بلسان مبين فيه مثل ما في كلام العرب من اللفظ المختلف ومجاز المعاني فنحن نذكر هنا بعضاً من أشعار امرئ القيس التي توافق فيها مع القرآن الكريم من حيث الألفاظ ومعانيها ومن حيث الاستعمال اللغوي فمن ذلك قول امرئ القيس

قفا نسأل الأطلال عن أم مالك وهل تخبر الأطلال غير التهاك  
فقد علم أن الأطلال لا تجيب إذا سؤلت وإنما معناه قفا نسأل أهل  
الأطلال . وقال تعالى ( واسأل القرية التي كنا فيها ) يعني أهل القرية  
ومثل ذلك قول امرئ القيس أيضا

أبت أجا أن تسلم العام جارها فمن شاء فلينهض لها من مقاتل  
أى أبت القبيلة التي تحل أجا  
وقال امرؤ القيس

وتبرجت لتروعننا فوجدت نفسي لم ترع  
وقال تعالى ( غير متبرجات بزينة ) والتبرج هو أن تبدى  
المرأة زينتها

وقال امرؤ القيس

وماء آسن بركت عليه كأن مناخها ملقى لحام  
والآسن المتغير قال تعالى ( فيها أنهار من ماء غير آسن ) أى  
غير متغير .

وقال امرؤ القيس

ألا زعمت بسباسة اليوم أتى كبرت وألا يحسن السر أمثالى  
والسر النكاح . قال تعالى ( وليكن لاتواعدهن سرا )

وقال امرؤ القيس

أرانا موضعين لا مرغيب ونسحر بالطعام وبالشراب  
وقال تعالى ( ولا تضعوا خلالكم يبنونكم الفتنة ) والايضاع ضرب  
من السير

وقال امرؤ القيس

خفاهن من أنفاقهن كأنما خفاهن ودق من عشى مجلب  
خفاهن يعنى أظهرهن . قال تعالى ( إن الساعة آتية أكاد أخفيها )  
أى أظهرها

وقال امرؤ القيس

أيا هند لاتنكحى بوهة عليه عقيقته أحسبا  
والنكاح الزواج قال تعالى ( فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى  
وثلاث ورباع ) أى تزوجوا

وقال امرؤ القيس



وأضحى يسح الماء حول كتيفة يكب على الأذقان دوح الكنهيل  
وقال تعالى ( يخرون للأذقان سجدا ) والأذقان جمع ذقن وهي مجتمع  
اللحيين وقال الوزير أبو بكر الأذقان الوجوه  
وقال امرؤ القيس

ألم أنض المطى بكل خرق أمق الطول لماع السراب  
وقال تعالى ( والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء  
حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع  
الحساب ) والسراب ما يبدو للمسافر وقت الظهيرة في الصحراء كأنه ماء  
وذلك بتأثير انعكاسات الضوء في الطبقات الجوية  
وقال امرؤ القيس

فما دافعوا عن ربهم وربيهم ولا آذنوا جاراً فيظعن سالما  
والرب السيد قال تعالى ( إرجع إلى ربك ) أي سيدك  
وقال امرؤ القيس

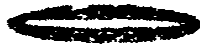
تظل الطير عاكفة عليهم وتنتزع الحواجب والعيونا  
والعاكف المقيم قال تعالى ( سواء العاكف فيه والباد )  
وقال امرؤ القيس

وللسوط فيها مجال كما تنزل ذو برد منهم  
والمنهمر السائل المنصب قال تعالى ( بماء منهمر )  
وقال امرؤ القيس

فيارب مكروب كررت وراءه وعان فككت الغل عنه فقداني  
والعاني الذليل الخاضع المهطع المقنع قال تعالى ( وعنت الوجوه للحى  
القيوم ) أى خضعت وذلت . والغل وثاق يوضع فى العنق أو اليد قال  
تعالى ( إنا اعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا )

وقال امرؤ القيس

ولم يرنا كالى كاشح ولم يفش منالدى البيت سر  
والكالى الحافظ والمراقب قال تعالى ( قل من يكأؤكم )  
وقال الجرجاني فى قول امرئ القيس ( ما حديث الرواحل ) من قوله  
دع عنك نهبا صيح فى حجراته وليكن حديثا ما حديث الرواحل  
تفخيم وتهويل مثل قوله تعالى ( الحاقة ما الحاقة )  
وغير ذلك كثير وكثير وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق وخير  
الزاد ما بلغك المحل



## حكم امرىء القيس وأمثاله

من ذلك قوله :

ألا إن بعد العدم للسرى قنوة وبعد المشيب طول عمر وملبسا  
كذلك جدى ما أصاحب صاحباً من الناس إلا خاتنى وتنيرا  
فأقصر إليك من الوعيد فأتى بما ألقى لا أشد حزامى  
لاحميرى وفى ولا عدس ولا است غير يحكها الثغر  
أرى المرء ذا الأذواد يصبح محرضاً كأحرّض بكر فى الديار مريض  
كأن الفتى لم يخن فى الناس ساعة إذا اختلف اللحيان عند الجريض  
ومن الطريقة جائر وهدى قصد السبيل ومنه ذو دخل  
الخير ما طلعت شمس ولا غربت مطلب بنواصى الخيل معصوب  
فلو أنها نفس تموت جميعة واكبها نفس تساقط أنفسا  
وكل مكارم الأخلق صارت إليه همتى وبه اكتسابى  
دع عنك نهبا صيغ فى حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل  
أراهن لا يحببن من قل ماله ولا من رأين الشيب فيه وقوسا  
فأنك لم يفخر كعليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك غير مغلب،  
ألا إنما الدهر ليال وأعصر وليس على شىء قويم بمستمر  
وفد طوفت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالآياب  
وقاهم جدهم بنى أبيهم وبالاشقين ما كان العذاب  
وما المرء ما دامت حشاشة نفسه بمدرك أطراف الخطوب ولا آلى

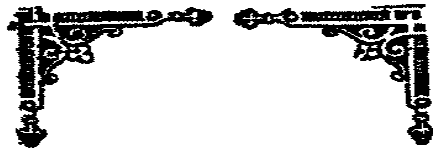
أرانا موضعين لا أمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب  
عصافير وذباب ودود وأجرأ من مجلحة الذئاب  
والله ما أنجح ما طلبت به والبر خير حقية الرجل  
إلى عرق الثرى وشجعت عروقي وهذا الموت يسلبني شبابي  
ونفسي سوف يسلبها وجرى فيلحقني وشيكا بالتراب  
وأعلم أنى عما قليل سأنشب في شباظفر وناب  
إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواء بخزان  
أقامت على ما بيننا من مودة أميمة أم صارت لقول المخيب  
فهو لا تنمى رهيته ماله لاعد من نفره  
مطعم للصيد ليس له غيرها كسب على كبره  
وخليل قد أفارقه ثم لا أبكى على أثره  
وابن عم قد تركت له صفو ماء الحوض عن كدره

ونصرك للفريد أعز نصر  
إن الكريم للكريم محل  
هم كانوا الشفاء فلم يصابوا  
وحسبك من غنى شبع وري  
ويحك ألحقت شرا بشر  
إن الشقاء على الأشقين مصبوب  
ولو أدركته سفير الوطاب

ستكفني التجارب واتسأني  
فيالك من نعمى تحولن أبوسا  
ويعدو على المره ما يآمر  
إذا مالم تكن إبل فمعى  
اليوم خمر وغداً أمر  
الأمر سلكى وليس بمخلوطة

أخذاً من قوله

نطعنهم سلكى ومخلوطة



## ما لزمه امرؤ القيس

### في شعره

كان امرؤ القيس يكرر المعنى الواحد واللفظ الواحد في قصائده متعددة  
مثل قوله ( تبصر خليلي هل ترى )  
قال :

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن      سواك نقبا بين حزمي شعبعب  
وقال أيضا

تبصر خليلي هل ترى ضوء بارق      يضيء الدجا بالليل عن سروحميرا  
ومثل قوله ( وقد أعتدى والطير في وكناتها )  
قال :

وقد أعتدى والطير في وكناتها      بمنجرد قيد الاوابد هيكل  
وقال أيضا

وقد أعتدى والطير في وكناتها      بمنجرد عبل اليدين قبيص  
وقال أيضا

وقد أعتدى والطير في وكناتها      وماء الندى يجرى على كل مذنب  
وقال أيضا

وقد أعتدى والطير في وكناتها      بمنجرد عبل اليدين قبيص  
وقال أيضا

وقد أعتدى والطير في وكناتها      لغيث من الوسمى رائده خال

وقد جاء قوله ( وقد أعتدى ) في قصائد أخرى  
قال :

وقد أعتدى قبل الشروع بسابح أقب كيغفور الفلاة مجنب  
وقال أيضا

وقد أعتدى ومعى القانصان وكل بمربأة مفتقر  
وقال أيضا

وقد أعتدى قبل العطاس بهيكل شديد مشك الجنب فعم المنطق  
ومثل قوله ( له أيطلا ظي وساقا نعامة )  
قال :

له أيطلا ظي وساقا نعامة وصهوة غير قائم فوق مرقب  
وقال أيضا

له أيطلا ظي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تنقل  
وقال أيضا

له قصر يا غير وساقا نعامة كفضل الهجان يتنحى للفضيض  
ومثل قوله ( كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب )  
قال :

كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مخضب  
وقال أيضا

كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مفرق

وقال أيضا

كأن دماء الهاديات بنحره تصارة حناء بشيب مرجل  
ومثل قوله ( ضليح إذا استدبرته سد فرجه بضاف فوق الأرض )  
قال

ضليح إذا استدبرته سد فرجه بضاف فوق الأرض ليس بأصهب  
وقال أيضا

ضليح إذا استدبرته سد فرجه بضاف فوق الأرض ليس بأعزل  
ومثل قوله ( على الأين جياش )  
قال

على الأين جياش كأن سراته على الضمر والتمداء سرحة مرقب  
وقال أيضا

على الأين جياش كأن امتزاه إذا جاش فيه حميه غلي مرجل  
ومثل قوله ( فعادى عدا بين ثور ونعجة )  
قال

فعادى عدا بين ثور ونعجة وبين شبوب كالهزيمة قرهب  
وقال أيضا

فعادى عدا بين ثور ونعجة دراكا ولم ينضح بماء فيغسل  
وقال أيضا

فعاديت منه بين ثور ونعجة وكان عدائي إذر كبت على بالي



ومثل قوله ( فدع ذا وسل الهم عنك بحسرة )

قال

فدع ذا وسل الهم عنك بحسرة ذمول إذا صام النهار وهجرا

وقال أيضا

فدع ذا وسل الهم عنك بحسرة مداخلة صم العظام أصوص

ومثل قوله ( بمنجرد قيد الأوابد )

قال

بمنجرد قيد الأوابد هيكل

وقال أيضا

بمنجرد قيد الأوابد لاجه طراد الهوادي كل شأو مغرب

وقد جاء قوله ( بمنجرد ) في مواضع أخرى

قال

بمنجرد عبل اليمين قبيض

وقال أيضا

بمنجرد عبل اليمين قبيص

ومثل قوله ( ألاب يوم )

قال

ألاب يوم صالح قد شهدته بناذف ذات التل من فوق طرطرا

وقال أيضا

الأرب يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل  
ومثل قوله ( إذا قامتا تضوع المسك منهما )  
قال

إذا قامتا تضوع المسك منها نسيم الصبا جاءت بريا القرنقل  
وقال أيضا

إذا قامتا تضوع المسك منها برائحة من اللطيمة والقطر  
ومثل قوله ( ألا عم صباحا )  
قال

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي  
وقال أيضا

ألا عم صباحا أيها الربع فانطق وحدث حديث الركب إن شئت فاصدق  
ومثل قوله ( فأدبرن كالجزع المفصل بينه بجيد )  
قال

فأدبرن كالجزع المفصل بينه بجيد الغلام ذى القميص المطوق  
وقال أيضا

فأدبرن كالجزع المفصل بينه بجيد معم في العشيرة مخول  
ومثل قوله ( قفانبك من ذكر حبيب )  
قال

قفانبك من كرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدنول فجومل

وقال أيضا

قفانبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم نخلت آياته منذ أزمان  
ومثل قوله ( وواد بجوف العير قفر )

قال

وواد بجوف العير قفر مضلة قطعت بسام ساهم الوجه حسان  
وقال أيضا

وواد بجوف العير قفر قطعته به الذئب يعوى كالخليع المعيل  
ومثل قوله ( وأضحى يسح الماء )

قال

وأضحى يسح الماء حول كتيفة يكب على الأذقان دوح الكنهبيل  
وقال أيضا

فأضحى يسح الماء عن كل فيقة يحور الضباب من صفاصف بيض  
ومثل قوله ( ذعرت به سربا نقيا جلوده )

قال

ذعرت به سربا نقيا جلوده كما ذعر السرحان جنب الربيض  
وقال أيضا

ذعرت به سربا نقيا جلوده وأكرعه وشى البرود من الخال  
ومثل قوله ( مكر مفر مقبل مدبر معا )

قال

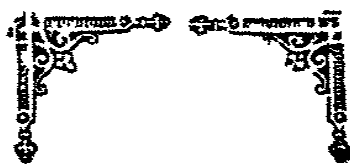
مكر مفر مقبل مدبر معا كجلود صخر حطه السيل من عل  
وقال أيضا

مكر مفر مقبل مدبر معا ككتيس ظباء الحلب العدوان  
ومثل قوله ( فيارب مكروب كررت وراه )  
قال

فيارب مكروب كررت وراه وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا  
وقال أيضا

فيارب مكروب كررت وراه وعان فككت الغل عنه ففداني  
وغير ذلك مما يظهر عند تصفح كلامه

ولعل هذا وأشبابه مما أعجب به امرؤ القيس أو انفرد به وكان له فيه  
سابقة الابتداع فهو لا يزال يردده في قصائده ويلح عليه بالاستعمال ويستقهي  
في استخراج صور متعددة منه حتى يثبته ويقرره



## حول أوهام الدكتور طه

إنما تتعرض في هذا الباب للرد على الدكتور طه فيما يتعلق  
بامرىء القيس فقط أما ما عدا ذلك فليس له دخل معنا في بحثنا ولا يس  
موضوعنا في شيء وعلى ذلك فنحن لا نتصدى للدكتور إلا من ناحية  
امرىء القيس وحدها

وأول ما بدأ به الدكتور كلامه عن امرىء القيس قوله « من  
امرىء القيس؟ أما الرواة فلا يختلفون في أنه رجل من كندة ولكن من  
كندة؟ لا يختلف الرواة في أنها قبيلة من قحطان، وهم يختلفون بعض  
الاختلاف في نسبها وتفسير اسمها وفي أخبار سادتها ولكنهم على كل حال  
يتفقون على أنها قبيلة يمانية وعلى أن امرأ القيس منها » ثم حام الدكتور  
بعد ذلك حول اختلاف الرواة في نسب قبيلة كندة وفي تعدد أسماء  
امرىء القيس وألقابه وكنياته وأسماء أبيه وأمه وألقابهما؛ وزيادة بعض  
الأسماء في سلسلة نسبه أو سقوطها. حام حول ذلك ليحمله سيلا موصلا  
لتأيدته في شكوكه وأوهامه. ولكن ابن خلدون قد كففانا الرد عن  
هذه الواقعة فإنه عقد فصلا خاصا في مقدمته تحت عنوان « فصل في  
اختلاف الأنساب كيف يقع، ذكر فيه أن بعضا من أهل الأنساب  
يسقط إلى أهل نسب آخر بقراءة إليهم أو حلف أو ولاء... فيدعى  
بنسب هؤلاء ويعد منهم... ثم إنه قد يتناسى النسب الأول بطول الزمن

ويذهب أهل العلم به فيخفى على الأَكْثَرِ وما زالت الأَنْسابُ تسقط من شعب إلى شعب ويلتحم قوم بآخرين في الجاهلية والأَسْلامِ والعرب والعجم وانظر خلاف الناس في نسب آل المنذر وغيرهم يتبين لك شيء من ذلك ... ومثل هذا كثير لهذا العهد ولما قبله من العهود

أما تعدد الأسماء والألقاب لشخص واحد فهذا كثير الوقوع في كل عصر وزمن . ومهما يكن من أمر الدكتور فإنه لم يمكنه أن يذكر وجود امرئ القيس ولم يشك في هذا بل إنه رجح ثم أيقن أن ذلك الشاعر قد وجد حقا فإنه قال « ولعل هذا وأشباهه من الخلط في حياة امرئ القيس أوضح دليل على ما نذهب إليه من أن امرأ القيس إن يكن قد وجد حقا ونحن نرجح ونسكاد نوقن به [أى بوجوده] ... » وأيقن أيضا أن امرأ القيس عاش ووجد في الجزيرة العربية أيام الجاهلية فإنه قال « امرؤ القيس الذي مهما يتأخر فقد مات قبل النبي والذي نرى نحن أنه عاش قبل القرن السادس وربما عاش قبل القرن الخامس أيضا ، وفي هذا اعتراف صريح من الدكتور بأن امرأ القيس وجد في الجزيرة العربية وضرب على أقدامه فيها واستنشى نسيم الحياة بين ربوعها ومعالمها . أما عن نقطة الشك في تاريخ ميلاده فإني في قول رينان « إن امرأ القيس أقدم شعراء المعلقات ولد حوالي سنة ٥٠٠ م » وفي قول لويس شيخو صاحب شعراء النصرانية إنه ولد سنة ٢٥٠ م وفي قول بعض المؤرخين<sup>١</sup> إنه مات سنة ٥٦٥ م في كل ذلك ما يكفي لإثبات أن امرأ القيس ولد في أوائل

١ ويقول نيكلسون إنه مات سنة ٥٤٠ م

القرن السادس وعاش فيه ويبطل ما ذهب إليه الدكتور من أن امرأ القيس ربما عاش قبل القرن الخامس ويؤيدنا في ذلك أيضا ما ذكره الأستاذ نولدكي في دائرة المعارف البريطانية فإنه قال ، أقدم شعراء المعلقات على الأرجح امرؤ القيس المحسوب أمير الشعر العربي ولا يعلم زمانه بالتحديد ولا كتبه كان في النصف الأول من القرن السادس وهو من بني كندة الذين زال ملكهم بموت الملك الحارث بن عمرو سنة ٥٢٩ ميلادية ،

واعترف الدكتور أيضا بأن له أثرا فيما بروى من شعره قال ، فنحن نقبل أن امرأ القيس هو أول من قيد الأوابد وشبه الخيل بالعصى والعقبان وما إلى ذلك وأكبر الظن أن هذا الوصف الذي نجده في المعلقة وفي اللامية الأخرى فيه شيء من ربح امرئ القيس ،

وقال أيضا ، ولعل أحق الشعر بالعناية قصيدتان اثنتان

الأولى قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

والثانية ألا انعم صباحا أيها الظلل البالي

فأما ما عدا هاتين القصيدتين فالضعف فيه ظاهر والاضطراب فيه بين

والتكلف والأسفاف يكادان يلسان باليد ،

فالدكتور يسلم بصحة نسبة هاتين القصيدتين إلى امرئ القيس لأنه

خصهما بالعناية وقال إن ما عداهما من شعره ظاهر الضعف والاضطراب

والتكلف ومعنى هذا أن هاتين القصيدتين لا ضعف فيهما ولا اضطراب

ولا تكلف وإذا كانتا كذلك فالمعنى أن نسبتها صحيحة إلى امرئ القيس

ونحن نسجل على الدكتور الاعتراف بهاتين القصيدتين من شعر ذلك الشاعر وإن كان قد حاول بعد ذلك أن يدخلهما ضمن دائرة شكه أما عن قول الأستاذ الدكتور إن ماعداهما ظاهر الضعف والاضطراب فأن الدكتور لو تفكر قليلا لرأى أن هناك ما يدعو أن يكون بعض ماعداهما ضعيفا مضطربا وقد رأيت أيها القارىء رأينا فى ذلك عند الكلام على شعر امرئ القيس فقد قسمناه إلى طورين طور الشباب وهو فيه أبلغ ما يكون وقد مثل ذلك الطور شعر المعلقة والقصيدة الثانية (ألا انعم صباحا أيها البطل البالى) وطوره بعد مقتل أبيه وقد عرت شاعريته فى هذا الطور فتور وضعف وقد بينا سبب ذلك فى حينه

وقد عرج الأستاذ فى حديثه على كثرة الآراء النيابية ونظرية كروية الأرض فى موضع الكلام على الترجيح بالكثرة فيما لا يمكن الوصول إليه إلا من طريق الرواة واطمأن إلى أن الكثرة فى العلم لا تغنى شيئا وتناسى الدكتور أن المعلوم ينقسم إلى معقول كالمسائل الرياضية وهذه لا يمكن إدراكها إلا من طريق العقل وقسم آخر من أقسام المعلوم وهو المشاهد كالألوان . والمعقول يكتسب بالأدلة النظرية فلا يترجح فيه رأى الأثرة على الأقلية وفى بعض الأحيان تكون الأقلية على حق والأثرة على باطل . أما المشاهد الذى يدرك بالحواس فأن كان المخبر به جمعا كثيرا استوفوا شرط التواتر فأن العلم الحاصل من خبرهم يكون يقينا ويسقط بجانبه خبر الأقلية بلا نزاع فأن كانت الأثرة لم تستوف



شرط التواتر ترجح خبر أصدقهما وأنبههما حتى ولو كانت الأقلية فإن لم يستوف الفريقان شرط التواتر وتساويا صدقا ونباهة فالأكثرية هي الراجحة ومسألة امرئ القيس داخلة في المشاهد وقد تواترت الروايات على أنه وجد حقا وأنه قال شعرا وتحدث بذلك الشعر الرواة وبينوا ما هو مصنوع منحول منه وما لاشك فيه ولا احتمال ونحب أن نقول للدكتور أيضا إنه تناسى في هذه النقطة نفسها أن الحقائق تنقسم إلى قسمين حقيقة مجردة وحقيقة تاريخية ، فالحقيقة المجردة صادقة في نفسها ولا يمكن أن يتطرق الكذب إليها ولا أن تتحمله بحال من الأحوال فهي بعيدة كل البعد عن الشك ولا يمكننا إلا التسليم بها على أنها صادقة واضحة ومثالها « الواحد نصف الاثنين ، والحقيقة التاريخية في نفسها صادقة لأنها ظهرت في عالم الوجود وتحدث بها الناس ودونها التاريخ وقد تكون هذه الحقيقة كاذبة الكنه وقد تكون صادقة الكنه فالكاذبة كأنكار كروية الأرض فتلك النظرية حتمية تاريخية قال بها قوم في عصر من العصور وحدثنا التاريخ عنها فهي من هذه الناحية صادقة ولكنها في كنهها باطلة كاذبة إذ ثبت أن الأرض كروية خلافا لزعم المنكرين . أما الحقيقة التاريخية الصادقة الكنه فهي كوجود امرئ القيس فقد تحدث التاريخ عن وجود هذا الشاعر في الجزيرة العربية وقد وجد هذا الشاعر حقا واعترف الدكتور بذلك ومثل تلك الحقيقة الأخيرة حقيقة وجود امرئ القيس يمكن إدخالها ضمن دائرة الحقيقة المجردة لأنها لا تتحمل الكذب لافي

نفسها ولا في كتبها "فلا معنى لأن يسوى الأستاذ بين الحقيقة المجردة  
وغيرها ابتغاء أن يصل إلى إنكار شعر امرئ القيس وقصته التاريخية  
أما ما أراد أن يستند إليه الدكتور في إنكار قصة امرئ القيس فهو  
تعرضه لذكر أسرة الأشعث بن قيس فقد قال « وهنا يحسن أن نلاحظ  
أن الكثرة من هذه الأساطير والأحداث لم تشع بين الناس إلا في عصر  
متأخر في عصر الرواة المدونين والقصاص فأكبر الظن إذا أنها نشأت في  
هذا العصر ولم تورث عن العصر الجاهلي حقا وأكبر الظن أن الذي أنشأ  
هذه القصة ونماها إنما هو هذا المكان الذي احتلته قبيلة كندة في الحياة  
الإسلامية منذ تمت للنبي السيطرة على البلاد العربية إلى أواخر القرن  
الأول للهجرة . فنحن نعلم أن وفدا من كندة وفد على النبي وعلى رأسه  
الأشعث بن قيس . ونحن نعلم أن هذا الوفد طلب - فيما تقول السيرة -  
إلى النبي أن يرسل معهم مفسقا يعلمهم الدين ونحن نعلم أن كندة ارتدت، بعد  
موت النبي وأن عامل أبي بكر حاصرها في التجير وأنزلها على حكمه وقتل  
منها خلقا كثيرا وأوفد منها طائفة إلى أبي بكر فيها الأشعث بن قيس  
الذي تاب وأتاب وأصهر إلى أبي بكر فتزوج أخته أم فروة وخرج - فيما  
يزعم الرواة - إلى سوق الأبل في المدينة فاستل سيفه ومضى في إبل السوق  
عقرا ونحرا حتى ظن الناس به الجنون ولكنه دعا أهل المدينة إلى الطعام  
وأدى إلى أصحاب الأبل أموالهم وكانت هذه المجزوة الفاحشة وليمة عرسه  
ونحن نعلم أن هذا الرجل قد اشترك في فتح الشام وشهد مواقع المسلمين في  
حرب الفرس وحسن بلاؤه في هذا كله وتولى عملا لعثمان وظاهر عليا على

معاوية وأكره علياً على قبول التحكيم في صفين . ونحن نعلم أن ابنه محمد بن الأشعث كان سيداً من سادة الكوفة عليه وحده اعتمد زياد حين أعياه أخذ حجر بن عدى الكندي ونحن نعلم أن قصة حجر بن عدى هذا وقتل معاوية إياه في نفر من أصحابه قد تركت في نفوس المسلمين عامة واليمنيين خاصة أثراً قوياً عميقاً مثل هذا الرجل في صورة الشهيد . ثم نحن نعلم أن حفيد الأشعث بن قيس وهو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قد ثار بالحجاج وخلع عبد الملك وعرض آل مروان للزوال وكان سبباً في إراقة دماء المسلمين من أهل العراق والشام وكان الذين قتلوا في حروبه يحصون فيبلغون عشرات الألوف ثم انهزم فلبجأ إلى ملك الترك ثم أعاد الكرة فتنقل في مدن فارس ثم استياس فعاد إلى ملك الترك ثم غدر به هذا الملك فأسله إلى عامل الحجاج ثم قتل نفسه في طريقه إلى العراق ثم اجتزر رأسه وطوف به في العراق والشام ومصر

أفتظن أن أسرة كهذه الأسرة الكندية تنزل هذه المنزلة في الحياة الإسلامية وتؤثر هذه الآثار في تاريخ المسلمين لا تصطبغ القصص ولا تأجر القصص لينشروا لها الدعوة ويزيعوا عنها كل ما من شأنه أن يرفع ذكرها ويحدد صوتها؟ بلى ! ويحدثنا الرواة أنفسهم أن عبد الرحمن بن الأشعث اتخذ القصص وأجرهم كما اتخذ الشعراء وأجزل صلتهم كان له قاص يقال له عمر بن ذر وكان شاعره أعشى همدان

فما يروى من أخبار كندة في الجاهلية متأثر من غير شك بعمل هؤلاء

القصاص الذين كانوا يعملون لآل الأشعث . وقصة امرئ القيس بنوع خاص تشبه من وجوه كثيرة حياة عبد الرحمن بن الأشعث فهي تمثل لنا امرأ القيس مطالباً بثأر أبيه . وهل ثار عبد الرحمن عند الذين يفهمون التاريخ إلا منتقماً لحجر بن عدى وهي تمثل لنا امرأ القيس طامعاً في الملك وقد كان عبد الرحمن بن الأشعث يرى أنه ليس أقل من بنى أمية استهالاً للملك وكان يطالب به وهي تمثل لنا امرأ القيس منتقلاً في قبائل العرب وقد كان عبد الرحمن بن الأشعث منتقلاً في مدن فارس والعراق . وهي تمثل امرأ القيس لاجئاً إلى قيصر مستعينا به . وقد كان عبد الرحمن ابن الأشعث لاجئاً إلى ملك الترك مستعينا به . وهي تمثل لنا أخيراً امرأ القيس وقد غدر به قيصر بعد أن كاد له أسدى في القصر . وقد غدر ملك الترك بعبد الرحمن بعد أن كاد له رسل الحجاج . وهي تمثل لنا بعد هذا وذاك امرأ القيس وقد مات في طريقه عائداً من بلاد الروم وقد مات عبد الرحمن في طريقه عائداً من بلاد الترك

أليس من اليسير أن نفترض بل أن نرجح أن حياة امرئ القيس كما يتحدث بها الرواة ليست إلا لونا من التمثيل لحياة عبد الرحمن استحدثه القصاص إرضاء لهوى الشعوب اليمنية في العراق واستعاروا له اسم الملك الضليل اتقاء لعمال بنى أمية من ناحية واستغلالاً لطائفة يسيرة من الأخبار كانت تعرف عن هذا الملك الضليل من ناحية أخرى ، اه بنصه

ونلاحظ على الدكتور فيما سبق أن التاريخ حدثه بقصة امرئ القيس

وحدثه بقصة عبد الرحمن بن الأشعث فأمن بالتانية وجعل الأولى لونا

من التمثيل لحياة عبد الرحمن ولا ندرى السبب الذي حفز الدكتور إلى هذا  
فجعله يكذب التاريخ حيناً ويصدقه حيناً آخر ، وفات الدكتور حين ظن  
اختلاق قصه امرى القيس أن التاريخ يعيد نفسه وأنه كله حوادث متشابهة  
وقد وقع للدكتور فيما قاله شيء من التحوير فأنه ذكر أن الأشعث بن  
قيس هو الذي أكره علياً على قبول التحكيم والحقيقة غير ذلك فإن الأشعث  
وإن كان قد تكلم مع علي بشأن قبول التحكيم إلا أن الذي أكرهه علي ذلك  
هم القراء الذين كانوا معه حين انخدعوا برفع المصاحف من جيش معاوية  
ويقول الدكتور أيضاً إن محمد بن الأشعث عليه وحده اعتمدت يد حين  
أعياء أخذ حجر بن عدى الكندي ، وزيد بن أبي سفيان لم يعتمد علي محمد  
ابن الأشعث في أخذ حجر بن عدى ، كما يقول الدكتور بل قال لمحمد  
والله لتأتيني بحجر أو لا أدع لك نخلة إلا قطعتها ولا داراً إلا هدمتها ثم  
لا تسل مني حتى أقطعك إرباً إرباً ثم أمهله ثلاثاً وأرسله إلى السجن فخرج  
محمد منتقع اللون يتل تليلاً عنيفاً ( يسحب من عنقه ) أفثل هذا الرجل  
يقول فيه الأستاذ عليه وحده اعتمدت زيد ، أم هي سنة العرب في  
أخذ سيد بسيد والاستفادة من رجل برجل واستفزاز الحمية والأباء في  
نفس من يفوتهم هرباً لكيلا يظلم فيه غيره . فأنه إذا عرف من أخذ به  
أسلم نفسه

والدكتور بعد أن قال إن زيداً اعتمد علي محمد بن الأشعث في  
أخذ حجر بن عدى يقول بعد ذلك هل ثار عبد الرحمن بن محمد عند من

يُتفقون التاريخ إلا متتقا الحجر ؟ . أفايس الأقرب إلى الصواب أن يشور  
عبد الرحمن منتقيا لأهانة والده ؟

ويقول الأستاذ أيضا إن كندة اصطنعت القصاص لينشر والها الدعوة  
ويدعى أن الرواة أنفسهم يحدثوننا أن عبد الرحمن اتخذ القصاص وكان  
له قاص اسمه عمر بن ذر . ونحن نريد أن نعلم من الرواة تحدث بذلك ولعل  
الأستاذ الدكتور اطاع على ما قاله الطبري في تاريخه فتأوا، فيه فقد قال  
الطبري ، قال أبو مخنف حدثني عمرو بن ذر القاص أن أباه كان معه هناك  
( في بلاد الترك ) وأن ابن محمد ( عبد الرحمن ) كان ضربه وحبسه  
لانقطاعه إلى أخيه القاسم فلما كان من أمره الذي كان من الخلاف ( أى  
الثورة على الحجاج وخلع عبد الملك ) دعاه فحمله و كساه وأعطاه فأقبل  
فيمن أقبل وكان قاصا خطيبا ، فالعبارة صريحة في أن عمرا ( لا كما يقول  
الدكتور عمر ) كان قاصا وأن أباه كان قاصا خطيبا وأنهما كانا في بلاد  
الترك يقاتلان كما يقاتل قراء البصرة والكوفة - حتى أن أقوى كتائب  
عبد الرحمن كانت كستية كل جندها من القراء والعلماء . وأن عبد الرحمن  
كان ضرب ذرا وحبسه لانقطاعه إلى أخيه القاسم فلما احتاج إلى المقاتلة دعاه  
فحماه يعنى فأر كبه وجعله من فرسانه لا من قصاصه فمن أين يؤخذ أن  
عمرا بن ذر أو أباه ذرا كان قاصا لعبد الرحمن بن الأشعث اتخذه وأجره  
ليضع له ولاسرته الأخبار كقصة امرئ القيس وبخاصة إذا علمنا أن  
الآب منهما ضرب وحبس

ولقد عقد الدكتور مشابهة بين امرىء القيس وعبد الرحمن بن الأشعث وزعم أن عبد الرحمن ثار منتقما لحجر بن عدى كما أن امرأ القيس قام مطالباً بثأر أبيه وذكر في وجه الشبه أن كلا منهما طامع في الملك متنقل في البلاد يستعين بملك ، امرؤ القيس بقيصر وعبد الرحمن بملك الترك وأن كلا منهما غدر به الملك الذى التجأ إليه

ونحن نلقى عليك قصة عبد الرحمن بن الأشعث في حدود الاختصار والايجاز مع عدم الأخلال لتعلم أن بينها وبين قصة امرىء القيس فرقا كبيراً وأمدأ بعيداً

يذكر المؤرخون أن الحجاج كان يبغض عبد الرحمن بن الأشعث ويقول ما رأيته قط إلا أردت قتله وكان عبد الرحمن يعرف هذه السريرة من الحجاج ويقول أنا أزيله عن سلطانه . وكان الحجاج واليا على العراق وخراسان وسجستان فجهز جيشا لغزو بلاد رتبيل ملك الترك وبعثه تحت راية عبد الرحمن . فسار عبد الرحمن بالجيش حتى دخل في طرف من بلاد رتبيل ثم عقد الرأى مع الجيش على أن يرجئوا التوغل في البلاد إلى العام المقبل وبلغ الحجاج ما عزم عليه عبد الرحمن من هذا التأخير فأمره بالمضى في سبيل الفتح وهدده بالعزل إذا هو لم يفعل فاثمر عبد الرحمن والجيش الذى تحت قيادته بخلع الحجاج ثم نادوا بخلع عبد الملك أيضا وبايعوا عبد الرحمن وأقبلوا إلى العراق . ثم دارت رحى الحرب بين عبد الرحمن والحجاج وكانت عاقبتها أن انقلب عبد الرحمن منهزما إلى

سجستان ولحق بكرمان فلقى بها من عامله عليها نزلا مهيبا ثم رحل إلى زرنج فتكر له عامله هنالك وأغلق باب المدينة دونه فانصرف إلى بست وكان عامله عليها عياض بن هيمان فاستقبله ثم أوثقه في غفلة من قومه لينال به عند الحجاج قريبا وسلاما وكان رتبيل قد ركب لاستقبال عبد الرحمن فنزل على بست وهدد عياضا فأطلق سبيل عبد الرحمن وحمله رتبيل إلى بلاده وأنزله في جواره وأكرم مشواه ولكن الحجاج تنابعت كتبه ورسائله إلى رتبيل كي يبعث إليه بعبد الرحمن وكان من أثر هذه الكتب وما تحمله من ترغيب وترهيب أن بعث رتبيل بعبد الرحمن مقيدا إلى عمارة بن تميم ليضعه في يد الحجاج فرمى عبد الرحمن بنفسه من سطح قصر فهلك أو مات مسلولاً واجتزأ رأسه بعد ذلك وأرسله عمارة إلى الحجاج

وإنا انرى في عرض هذه القصة على وجهها التاريخى ما يكفى لنقض ما يدعيه الدكتور طه من المشابهة بينها وبين قصة امرئ القيس ومن أن قصة امرئ القيس موضوعة رمزا لها

وأول ما يخطر لنا أن عبد الرحمن بن الأشعث لم يقم للاخذ بثأر حجر بن عدى ونستبعد ما يدعيه الدكتور من قيام عبد الرحمن مطالباً بثأر حجر لأن القرابة بينهما لم تكن من الشدة بحيث تحمل عبد الرحمن على الخوض في محاربة دولة ذات شوكه انتقاماً منها لذلك القرابة فإن عبد الرحمن إنما يتقى بحجر في الأب الخامس وهو معاوية بن جندب ويضاف إلى هذا أن القاتل لحجر معاوية بن أبي سفيان وصاحب الدولة



يوم ثورة عبد الرحمن إنما هو عبد الملك بن مروان ويزاد على هذا أن قتل معاوية لحجر كان في سنة ٥١ هـ وثورة عبد الرحمن على عبد الملك كانت في سنة ٨١ هـ . وثلاثون سنة تمر على الحادثة من شأنها أن تخفف من تغيظ النفس لها إلى حد ألا يبقى فيها من أثر الغيظ ما يدفع إلى اقتحام الأهوال والمخاطرة بالحياة في فتنة عمياء.

ويبدو لنا بعد هذا أن ابن الأشعث إنما طلب الملك بالجيش الذي كان تحت قيادته ولم يستعن على طلبه بملك كما يدعى الدكتور وكل الذي وقع من رتبيل أنه استقبله بعد عودته مهزوما يائسا من الملك الذي طامع فيه ولم يرج منه ابن الأشعث أكثر من أن يحميه ويؤامنه من سطوة الحجاج ثم إن ابن الأشعث إن طلب الملك فأنما هو طامع فيه يطلبه ظلما وعدوانا ولكن امرأ القيس ما كان مغتصبا ولا ظالما وإنما كان يطالب هيراث أبيه وعرش أجداده . وابن الأشعث أيضاً ليس شاعراً ولا ابن ملك ولا قتل أبوه فخرج يطلب ثأره خلافا لامرأ القيس الذي كان شاعراً وابن ملك وقتل أبوه فتمام يطالب بدمه وماله . وابن الأشعث لم يكن في سيرته متفحشا ولا متعمرأ كما يرى القيس فأذا قابله القصاص برجل فلن يكون هذا الرجل امرأ القيس في تبطله وفحشه . وابن الأشعث لم يكده له رسل الحجاج عند ملك الترك كما أدعى الدكتور ولئن كان أحد قد كاده عند هذا الملك فأنما هو رجل تسمى من بطانة ابن الأشعث نفسه وليكن امرأ القيس كاده رسول الأسديين عند قيصر وما كان هذا الواشي من

بطانة امرىء القيس . وابن الأشعث لم يتنقل في مدن فارس والعراق مستنصرا مستجيشا كما فعل امرؤ القيس في قبائل العرب التي تناوحت بركابه أحياءها بل كان عبد الرحمن بن الأشعث محاربا يرحل بالجيش وينزل بالجيش . وابن الأشعث إما أنه مات منتحرا أو مسلولا واجتز رأسه خلافا لامرىء القيس الذي تقرح بدنه من حلة قيصر أو من الجدرى - وهو الصحيح عندي - ولم يجتز رأسه . وابن الأشعث طوف بجثته في الآفاق بعد موته ومثل بها وامرؤ القيس دفن مهيبا محترما وأمر قيصر بأقامة تمثال له ينصب على قبره . فأين إذا ابن الأشعث من امرىء القيس وما دخل هذا في ذلك . فضلا عن أنه ليس من الفخر الكندة أن تختاق قصة امرىء القيس الذي كان طريدا شريدا فاحشا عاجزا ضائعا ضليلا ولو كان الحديث متحلا اصطنعه الكاذبون الوضاع الذين يريدون مجدا وسيادة لكان هناك ما يدعو هؤلاء الكاذبين إلى اختراع قصة من أولها إلى خاتمها تعطى صاحبها وقومها شرفا ومجدا وسيادة لا أن تكون لهم عجزا وسبة ثم كيف يخاف القصاص من عمال بني أمية ؟ فيحملهم هذا الخوف على أن ينتحلوا قصة امرىء القيس ويضعوها رمزا لقصة ابن الأشعث ويلفقوا هذا التلفيق البعيد ويضعوا هذه القصة المخزية التي لم تكسبهم شرفا بل زادتهم سبة وعجزا على أهم يرون المؤرخين يذكرون خبر ابن الأشعث ويقصون حروبه . وهل كانت دولة بني أمية من الضعف بالمنزلة التي تخاف فيها ابن الأشعث ميتا ؟ وهي التي كسرتة حماة ثارا في مائة ألف مقاتل . ولو

قد خاف القصاص عمال بنى أمية لخافوهم فى الحسين بن على وفى عبد الله بن الزبير اللذين كانا يطلبان الخلافة ، ولو قد خافوهم لخافهم المؤرخون أيضا وما وصلت إلينا قصة ابن الأشعث . وإن كان القصاص قد وضعوا قصة امرىء القيس إرضاء لهوى الشعوب اليمينية فأين كانت أسد وكنانة وتغلب وبكر ؟ وكل هؤلاء لم يكن يهمهم أن ياثوا كندة فى الإسلام على ما اخترعت من قصة فيها نيل كبير من أنفسهم ومساس بعصبيتهم تلك العصية التى استند إليها الدكتور فيما ذهب إليه من أن كندة اخترعت قصة امرىء القيس وما يتصل بها من الشعر ، فهل كان لليمنيين عصبية يختلقون لها القصص التى لها مساس بعصية غيرهم ولم يكن لسواهم عصبية يدافعون عنها . نحن نرى أن قصة امرىء القيس لو لم تكن حقا يعرفها الناس ويحفظها الرواة قبل أن يولد ابن الأشعث والحجاج لقام بنو أسد وبنو كنانة وكذبوا كندة فى قصتها ورموها بالافتك والاختلاق

وبعد أن خرج الدكتور من قصة ابن الأشعث ومقابلتها بقصة امرىء القيس قال « ستقول وشعر امرىء القيس ما شأنه وما تأويله ؟ » وذكر أن شأنه يسير وتأويله أيسر وقسم ذلك الشعر إلى قسمين أحدهما يتصل بالقصة التى أشار إليها وشأنه شأنها من الاتحال وثنائهما لا يتصل بتلك القصة وإنما يتناول فنونا من القول مستقلة من الأهواء السياسية والحزبية

وقد رددنا فيها مضمي رأى الدكتور فى اتحال القصة . وقد تضافرت

آراء المؤرخين على وجود شاعر جاهلي في الجزيرة العربية اسمه امرؤ القيس ابن حجر وأن له شعرا يدور على السنة الرواة والدكتور نفسه اعترف وأيقن بوجوده التاريخي . أما هذا الشعر المضاف إلى امرئ القيس فقد نقده العلماء وبينوا ماهو منحول مصنوع وارتابوا في قصائد بحملتها فردوها ونهبوا عليها ويكفي أن تطلع على ديوانه في كتاب العقد الثمين لترى القصائد والأشعار التي نبه على انتحالها واصطناعها ولترى أيضا القصائد التي سلبت له وصحت نسبتها إليه . وفي الحق أن الأقدمين نقدوا شعر امرئ القيس وغيره من شعراء الجاهلية جهد المستطاع فردوا ما قام الدليل على اصطناعه وكفوا عن البقية لأنها جاءت عن طريق الثقة . ولقد روى شعر امرئ القيس أبو عمرو بن العلاء والاصمعي وخالد بن كلثوم ومحمد بن حبيب ثم جاء أبو سعيد السكري وربط جميع هذه الروايات وضبطها . وأعاد مراجعته وضبطه بعد سعيد راويتان هما العباس الاحول وابن السكيت . ورواه أيضا أبو عبيدة . وكل هؤلاء من ثقة الرواة الذين لا يمكن الطعن عليهم ولا تجريحهم وهم فوق ذلك أذكاء وجدا أذكاء لا تخفى عليهم خافية في نقد الشعر وبيان المنحول منه من غير المنحول فأن جاز عند إنسان أن شك في شيء من أشعار الجاهلية ليكون امرؤ القيس آخر من يتطرق إليهم الشك أو تتصل بحياتهم التهمة والدكتور قد افترض أن هذا الشعر شأنه شأن القصة وقد علمنا مقدار ما ذهب إليه الدكتور ورددنا ادعائه في انتحال القصة وبما أنه

اعتبر انتحال هذه القصة مقدمة لرفض الشعر المتعلق بها فإذ كانت المقدمة باطلة غير واقعة كانت النتيجة أيضا باطلة غير صحيحة . فالقصة صحيحة والشعر المتعلق بها صحيح النسبة إلى امرئ القيس كذلك . أما عن ذهاب امرئ القيس إلى قيصر فليست الروايات العربية وحدها تذهب إلى أن امرأ القيس رحل إلى القسطنطينية مستنجداً بملك الروم علي بنى أسد فأن مؤرخي الروم أنفسهم ذكروا أحاديث هذا الشاعر في كتبهم ونحن نتقل لك عن كتاب شعراء النصرانية فإنه قال « وقد جاء ذكر امرئ القيس في تواريخ الروم مثل نونوز وبروكور وغيرهما وهم يسمونه قيساً وقد ذكروا أنه قبل وروده على قيصر يوستينيان أرسل إليه وفداً يطلب منه النجدة على بنى أسد وعلى المنذر ملك العراق » ثم قال ناقلاً عن هؤلاء المؤرخين الرومانيين أيضاً « إن امرأ القيس لم يلبث أن سار بنفسه إلى القسطنطينية فرغبه قيصر ووعده وقد ذكر نونوز المؤرخ أن يوستينيان قلده إمرة فلسطين إلا أنه لم يسع في إصلاح أمره وإعادةه إلى ملكه فخرج امرؤ القيس وعاد إلى بلده وكانت وفاته سنة ٥٦٥ م أصابه مرض كالجدري في طريقه كان سبب موته »

وقال الأستاذ نيكلسون في كتابه تاريخ آداب العرب « كان حجر أو امرئ القيس ملكاً على بنى أسد في أواسط بلاد العرب لكنهم عصوا عليه وقلوه ولم يستطع امرؤ القيس أن يأخذ بناره منهم لأن الملك المنذر انتصر لهم فتوجه امرؤ القيس إلى القسطنطينية وأكرم الأمبراطور يوستينيانوس

وفادته لأنه كان يود أن يعيد مملكة كندة لتكون شوكا في جنب الفرس  
وجعله أميرا على فلسطين لكنه توفي في أنقرة وهو ذاهب إليها وكان ذلك  
سنة ٥٤٠ م ،

أما عن عجب الدكتور من أن امرأ القيس لم يؤثر عنه شيء في وصف  
القسطنطينية فإذا لم يكن يكفيه قوله

تذكرت هنداً وأترابها فأصبحت أزمت منها صدودا  
ونادمت قيصر في ملكه فأوجهنى وركبت البريدا  
أو قوله حين توجه إلى قيصر

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا  
فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعدرا  
وإني زعيم إن رجعت مملكة بسير ترى منه الفراتق أزورا  
لقد أنكرتني بعلبك وأهلها ولا بن جريح في قرى حص أنكرا

إن لم يكن يكفى الدكتور هذا الشعر وما جاء فيه ويأبى إلا أن  
يصف امرؤ القيس القسطنطينية وصفا جغرافيا مفصلا فنحن نحتاج  
عليه بحادثة من هذا النوع وأن المتنبي جاء إلى مصر وعاش فيها وخالط أهلها  
ومع ذلك فهو لم يصفها في شعره ولم يذكر شيئا عن قبائها وحصونها ومدنها  
وأهرامها وما زاد إلا على أن ذكر في شعره لفظ « الهرمين » فقط كما ذكر  
امرؤ القيس لفظ « قيصر » وهذا من ذلك . فضلا عن هذا أن امرأ القيس  
لم يعيش طويلا بعد أن ورد القسطنطينية ولم يكن مع خيبة أمله بالذى

يتفرغ لقول الشعر ووصف مظاهر الروم ولو كان الأمر راجعاً إلى القصاص كما يفترض الدكتور وهم الذين قالوا هذا الشعر كله لو كان الأمر كذلك ما عجزوا عن أن يقولوا آياتاً يسدون بها هذا النقص الذي تخيله الدكتور .

وشبيه بهذا العجب عجبه أيضاً من أنه لم يؤثر عن امرئ القيس شيء فيما كان بين خاله مهلهل التغلبي وبين قبائل بكر من الوقائع وليس في هذا ما يدعو إلى العجب فقد قال الدكتور في موضع من كتابه «الأدب الجاهلي» إنه مقتنع بأن كثيراً من الشعر العربي الجاهلي قد ضاع واستند في ذلك إلى قول أبي عمرو بن العلاء « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاهكم علم وشعر كثير » ونحن نوافق الدكتور فيما استند إليه من قول أبي عمرو بن العلاء وفي هذا القول ما يتخذ حجة عليه فإنه من الجائز أن يكون امرؤ القيس قد قال في ذلك شعراً ولكنه ذهب بقتل الرواة الذين قتلوا في حروب الردة والفتن والفتوح زد على ذلك أن تلك الوقائع لم يشهدوها هو بنفسه وليس لعصبيته فيها من أثر فمن اليسير أن نفهم أنه لا يهتم بأن يقول فيها شيئاً .

وتعرض الدكتور أيضاً للغة امرئ القيس فقال « كيف نظم الشاعر اليمنى شعره في لغة أهل الحجاز بل في لغة قريش خاصة . ستقول : نشأ امرؤ القيس في قبائل عدنان وكان أبوه ملكاً على بني أسد وكانت أمه من بني تغلب وكان مهلهل خاله فليس غريباً أن يصطنع لغة عدنان ويعدل عن لغة اليمن

واكتننا نجعل هذا كله ولا نستطيع أن نثبتته إلا من طريق هذا الشعر الذى ينسب إلى امرئ القيس ونحن نشك فى هذا الشعر ونصفه بأنه منتحل ، ونحن قد أبطلنا للدكتور رأيه فى أن هذا الشعر منحول وأقمنا الأدلة على أنه لامرئ القيس وإذا ثبت من هذا الشعر أن ذلك الشاعر لغته هى لغة البلاد التى نشأ فيها وهذا ما يقره العقل ويدل عليه النقل . وإنى لأعجب من الدكتور أشد العجب فإنه لما رأى أن الحججة ستقوم عليه حاول أن يجد لنفسه مخرجا فصدق الرواة وكذبهم فى آن واحد وليس ذلك من المنطق فى شيء والنقيضان أو شبههما لا يجتمعان فأما أن يصدق الدكتور الرواة فى أن امرأ القيس يمانى النسب نزارى الدار والمنشأ وإما أن يكذبهم فى الأمرين جميعا ، أما أنه يقسم قولهم إلى شطرين ثم يصدقهم فى شطر ويكذبهم فى شطر فذلك مالا يقره عليه إنسان . يقول له الرواة هو يمانى نشأ فى نجد فيؤمن لهم الدكتور بأنه يمانى ويأبى أن يقبل أنه نشأ فى نجد فهو يقول الرواة صادقون ولا صادقون أى كاذبون فى آن واحد وهذا نوع من المغالطة أخذ به الدكتور لحاجة فى نفسه والأستاذ فى هذا الموضع قد وقع له شيء من الخلط والتحوير أيضا فإنه بعد أن قال إن امرأ القيس يمانى ... وشعره قرشى اللغة لافرق بينه وبين لغة القرآن فى لمظه وإعرابه وما يتصل بذلك من قواعد الكلام . ونحن نعلم ... أن لغة اليمن مخالفة كل المخالفة للغة الحجاز فكيف نظم الشاعر اليمنى شعره فى لغة أهل الحجاز؟ بل فى لغة قريش خاصة؟ ، واستمر يتكلم إلى أن قال ، وإذا فكيف نظم



امرؤ القيس الينبي شعره في لغة القرآن مع أن هذه اللغة لم تكن سائدة في هذا العصر الذي عاش فيه امرؤ القيس ؟ وأعجب من هذا أنك لا تجد مطلقاً في شعر امرئ القيس لفظاً أو أسلوباً أو نحواً من أنحاء القول يدل على أنه يمني ، وكأني بالدكتور في قوله هذا لا يريد أن يفهم قول الرواة إن امرأ القيس يمني النسب ، نزارى الدار والمنشأ .

ويأتري لو جئنا إلى الدكتور بطفل أعجمي وتركناه ينشأ ويتعرع في بيئة عربية ألا يحس الدكتور بأن هذا الفتى لا يتكلم إلا اللغة العربية وأن لغة جنسيته تمحى من نفسه محو تاماً ولا يظهر لها أثر في كلامه . وليعلم الدكتور أن التعامل الأول في تكوين اللغة المحاكاة والتلقين فلا يأخذه العجب بعد ذلك إن وجد امرأ القيس ينشد شعره بلغة حجازية لأنها هي البيئة التي نشأ فيها والتي تلقى على يديها لغته . ومهما يكن من قيمة ماضى من قول الدكتور فإنه حين تناول في بحثه آياتاً من معلقة امرئ القيس رفض بعضها وقبل البعض الآخر مع العلم بأن الآيات التي رفضها والتي قبلها كلها عدنانية قرشية . وهذا وجه الخلط في آرائه . رفض مثلاً هذين البيتين :-

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى  
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكل كل  
وقبل البيت الذي يتلوها ورضى أن يكون صحيح النسبة إلى  
امرئ القيس وهو :-

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما إلا صباح منك بأمثل  
فلماذا قبل الدكتور هذا البيت ورفض الاولين؟ أهو يبنى اللغة وهما  
قرشيان؟ أفیه شيء يخالف لغة عدنان وقريش التي نزل بها القرآن من حيث  
اللفظ والاسلوب والاعراب وما يتصل بذلك من قواعد الكلام أم وقعت  
المعجزة وبلغ تأثر الشاعر بلغة عدنان أن محيت لغته اليمنية من نفسه محواً  
تاماً في هذا البيت فقط؟ أم كان قبول الدكتور لهذا البيت فلتة لم يردها  
لأن في قبوله إياها نقضاً لما قاله أولاً. ونأخذ على الدكتور قوله إن لغة  
القرآن - أي اللغة القرشية - لم تكن سائدة في العصر الذي عاش فيه  
امرؤ القيس . ولعل هذا الوهم خالج الدكتور حين ظن أن امرأ القيس  
ربما عاش قبل القرن الخامس ولا ندرى مقدار هذه القبيلة عند الدكتور  
أهي عام أم أعوام وقرون؟ وليكننا قد أثبتنا أن امرأ القيس عاش في  
القرن السادس وبعد هذا فنحن نلفت نظر الدكتور إلى الأسواق التي  
كانت تقام في الجاهلية في أنحاء الجزيرة العربية والتي كانت تجتمع فيها  
العرب للبيع والشراء ولتناشد الأشعار واللقاء الخطب والمفاخرات  
والمناقرات وكل ما يتعلق بفنون القول نلفت نظره إلى ذلك وإلى أن اللغة التي  
اتخذت في تلك الأسواق هي لغة قريش وقد أجمع المؤرخون جميعاً على ذلك  
والسبب في هذا - كما قال أستاذي وهاشم، مدرس الأدب العربي بدار العلوم -  
أن قريشاً في مكة وهي حاضرة العرب وطبيعي أن يكون سكان الأماص أذن إلى  
منازل المدينة من غيرهم من أهل البدو ومن سكان الريف من القرى وأن يكونوا

أيضا ألطف أذهانا وأرق حاشية من هؤلاء وهؤلاء. وأنهم لهذا ولما خصهم الله به من كثير من المواهب كانوا على استعداد قوى لأصلاح لسانهم وتهذيب لغتهم بأخذهم من لغات القبائل الوافدة عليهم في مواسم الحج وفي هذه الأسواق الأدبية المطيفة بمكة حتى عذب أسلوبهم وورقت حواشي لغتهم وكانوا أهل بيت تعظمه العرب وتحجج إليه وتقيم فيه بين أظهرهم الأيام الطوال وكانت لهم وحدهم ولاية هذا البيت والحكومة بين العرب مع ما كانوا فيه من بسطة الغنى وثروة التجارة وقد أدى ذلك إلى تظاهر هذه الأسباب القوية لسيادة قريش التي بسطتها على العرب قبل الإسلام بعدة قرون وكان طبيعيا أن تنتقل هذه العذوبة القرشية إلى السنة القبائل المختلفة بحكم ما في الإنسان من الميل إلى تقليد الآخر ونزوعه إلى التقرب من مظاهر الحضارة وكانت تجارة قريش في بلاد اليمن والشام وغيرها، وإذعان أهل هذه البلاد لما انبسط من نفوذ قريش ولما قوى من سيادتها قد دعا أيضا إلى تسرب هذا الأسلوب المهدب إلى تلك القبائل اليمنية بعد اندثار ملكهم وبعد ما عظم من أمر قريش وظهور الإسلام والعرب كافة في وحدة لسانية لا يشوبها إلا ما كان باقيا من الخلاف في اللهجات وصور النطق بالكلام وإذا فاللغة القرشية كانت لها السيادة على الجزيرة العربية ولو لم تكن لها السيادة قبل نزول القرآن لما تهيأت عقول العرب لقبوله وفهم أسرارهِ وإعجازهِ .

وقد عاد الدكتور بعد ذلك فقال : وهذا البحث ينتهي بنا إلى أن أكثر

هذا الشعر الذي يضاف لامرئ القيس لبس من امرئ القيس في شيء ،  
ويعنى هذا أن أقل الشعر الذي يضاف لامرئ القيس هو من  
امرئ القيس في شيء . وعلى ذلك يكون الدكتور قد ناقض نفسه فبيما هو  
يذكر شعر امرئ القيس جملة فيما سبق من أقواله إذا به يعترف هنا  
ببعض منه قليل

ثم أخذ الدكتور يذكر رأيه في المعلقة وادعى أنه لا يعرف قصيدة  
يظهر فيها التكلف والتعمل أكثر مما يظهر في هذه القصيدة وذكر الدكتور  
أن القدماء يشكون في صحة هذين البيتين :-

ترى بعرا الآرام في عرصاتنا وقيعانا كأنه حب فلفل  
كأنى غداة البين يوم تحملوا لدى سموات الحى ناقف حنظل  
وأنهم يشكون في هذه الآيات :-

وقربة أقوام جعلت عصامها على كاهل منى ذلول مرحل  
وواد بجوف العير قفر قطعته به الذئب يعوى كالحليح المعيل  
فقلت له لما عوى إن شاءنا قليل الغنى إن كنت لما تمول  
كلانا إذا مانال شيئاً أفاته ومن يحترث حرثى وحرثك يهزل

ونحن نقول للدكتور إن نقد الرواة للقصيدة وتمييز هذه الآيات  
السته بالنحلة يدل على أن أصلها ثابت النسبة لامرئ القيس أكثر مما يدل  
على انتحالها . وقال الدكتور وهم بعد هذا يخالفون اختلافا كثيرا في  
رواية القصيدة في الفاظها وفي ترتيبها وبضعون ألفاظا مكان لفظ وبيتا مكان

بيد وليس هذا الاختلاف مقصورا على هذه القصيدة وإنما يتناول الشعر الجاهلي كله وهو اختلاف شنيع يكفى وحده لملنا على الشك في قيمة هذا الشعر وهو اختلاف قد أعطى للمستشرقين صورة سيئة كاذبة من الشعر العربي فخيّل إليهم أنه غير منسق ولا مؤتلف وأن الوحدة لا وجود لها في القصيدة أيضا ، وعندنا أن ما يقول به الأستاذ الدكتور دليل على عدم اتّحال هذا الشعر في الإسلام فما الذي اضطر المتحايين إلى اصطناع ذلك الشعر بلا وحدة فيه ولا شخصية على خلاف ما ألفوا من قول الشعر ؟ أما كان المعقول والقريب إلى النفس أن يفتعلوه على نحو ما كانوا يقولون ؟ وإذا كانت قصيدة امرئ القيس منتحلة فقد اصطنعت على رأى الدكتور في الوقت الذي دون فيه الشعر في الصحف ، والذي اصطنعها لا بد أن يكون من المهرة القادرين على قول الشعر وإنشاده ، أفما كان من الواضح أن يدونها ويزيعها في الناس واضحة جلية يرددونها عنه مدونة فلا يكون فيها بيت مختلف فيه ولا اضطراب في ترتيب أبيانها . نحن لانكر أن في بعض الشعر الجاهلي اضطرابا ولكن هذا الاضطراب لا ينهض حجة على اتّحال هذا الشعر وقد رد هذه الشبهة المستشرق «تشارلس لايل» في مقدمة المفضليات فقال « إن في كثير من هذه الأشعار كلمات أو أشطار أبيات منقولة عن محلها وهذا شيء طبيعي في أشعار لم تدون قط بل كانت مروية حفظا ينقلها المتأخر عن المقدم وليس في هذا التعبير معنى للتزوير ونجد في آخر بعض القصائد أبياتا ( يقصد بذلك أن الراوى لم يمكنه أن

يعرف محلها من القصيدة فوضعها في آخرها ) وهذا أيضا لا يدل على الاختلاق بحال ،

أما سبب اختلاف الرواة في ألفاظ الشعر ومواضع الآيات فهو كما قال الأستاذ الفاضل ( مصطفى صادق الرافعي ) أنهم كانوا قوما لا يكتبون ولا يدونون و كان اعتمادهم على الحفظ ومع الحفظ النسيان فأذا نسي أحدهم كلمة في بيت من الشعر وضع مكانها كلمة غيرها تؤدي معناها أو تقاربها وما كانوا يرون في هذا بأسا مادام الغرض الذي يرمى إليه الشاعر قائما ثم يكون غيره لا ينسى فيروى الشعر على أصله فتجتمع روايتان فأذا كانوا ثلاثة فتكون الروايات ثلاث كل منها بلفظ غير لفظ الآخر وهم جرا . وقد يحفظ أحدهم القصيدة فأذا قرأها يوما على غيره قدم وأخر في بعض آياتها كما تتفق له حالة الذاكرة في ساعته تلك لا كما حفظها من قبل إذ ليس عنده أصل مكتوب يعارض عليه . ويصنع غيره مثل هذا الصنيع بضرب آخر من التقديم والتأخير كما يتبها لذا كرته ثم يكون غيرها قد رواها وتثبت في حفظه فيأتي في القصيدة الواحدة ثلاث روايات متعارضة وإذا كثرت آياتها كثرت رواياتها على حساب ذلك . وقد فصل الأستاذ الرافعي في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية أسباب هذا الاختلاف .

ونريد أن نبين للدكتور أن قصيدة امرئ القيس لم تخل من الوحدة والشخصية أما عن الوحدة فإن امرأ القيس ساق القصيدة كلها الغرض واحد ذلك الغرض هو العبث واللهو الذي تفنن فيه امرؤ القيس وجعله أشكالا وأنواعا

في تلك القصيدة فليس التشبيب بالنساء وركوب الجياد وذكر محاسنها ووصف الطبيعة واستجلاء مظاهرها ليس هذا كله إلا لذة للنفس وهو أوعبنا وعلى ذلك فالوحدة في قصيدة امرئ القيس ظاهرة ظهورا جليا يدركها الذين يفقهون الأدب وتاريخه . وأما عن الشخصية فأننا نعلم من تاريخ امرئ القيس أنه كان في حياته الأولى أخصبوات وصنولذات وخبين خلاعة وهو وليس أدل على تلك الشخصية الماجنة - شخصية امرئ القيس في شبابه قبل مقتل أبيه - من هذه القصيدة . وعلى ذلك يكون قول الدكتور إن القصيدة خلت من الوحدة والشخصية مجرد ادعاء لم يقم عليه دليل وما رأى الدكتور في قول نيكلسون عن تلك القصيدة « أما معلقة امرئ القيس فقد تسابق النقاد الأوربيون إلى التغنى بجمال تعبيرها والتحدث بفاخر تصويرها وحلاوة تدفق أبياتها وسحر تمثيلها المنوع وما زاد إعجابهم بها ذلك الشعور بأفراح الحياة وتمجيد الشباب الذي أوحى إلى الشاعر معانيها الخلافة ومبانيها البالغة أعلى درجات الفصاحة »

وقال الدكتور « ونظن أن أنصار القديم لا يخالفون في أن هذين

البيتين قلقان في القصيدة وهما

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهوم ليتلى

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكا كل

فقد وضع هذان البيتان للدخول على البيت الذي يليها وهو

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الأصباح منك بأمثل

وهذان البيتان أشبه بتكلف المشطر والخمس منهما بأى شيء آخر، ونحن نستدل على برائتهما من هذا القلق وهذا التكلف الذى يدعيه الدكتور بأنهما مرا على فصحاء العرب ونقاد الأدب الذين لم يكن أمرهم في معرفة الفصيح وغير الفصيح والمتكلف والمطبوع والضعيف وغير الضعيف وهم مع ذلك لم يحسوا في هذين البيتين شيئا مما يرميهما به الدكتور وكل ما عابوه على امرئ القيس في هذه الآيات أن قوله

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكل كل  
قد انسلج بوصف الليل من غير أن يدكر مقول القول وجعل هذا  
البيت متعلقا بالبيت الذى يليه وهو قوله

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الأصباح منك بأمثل  
وهذا فريق لم يتذوق حلاوة المجاز والاستعارة لأن له ذوقا غليظا في  
الأدب قد عاب قول امرئ القيس

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكل كل  
ولكن الأمدى أجره الله ركل سفهم وصفح باطلهم حتى حطمه  
وبعد هذا فأن شيوخ الأدب والمتأدين ساقوا في كتبهم ما يشهد بأن هذه  
الآيات التى وصف بها امرؤ القيس الليل كانت تقع منهم موقع الإعجاب  
ويضربون لها أرجلهم طربا كما حكى المرزبانى فى كتابه الموشح أن الوليد بن  
عبد الملك وأخاه مسلمة تشاجرا على شعر امرئ القيس والنابعة الذيبانى  
فى وصف الليل أيهما أجود فرضيا بالشعبي أن يكون حكما بينهما ولما



حضر أنشده الوليد :-

كليني لهم يا أميمة ناصب      وليل أقاسيه بطيء الكواكب  
تطاول حتى قلت ليس بمنقض      وليس الذي يرعى النجوم بأثب  
وصدر أراح الليل عازب همه      تضاعف فيه الحزن من كل جانب  
وأنشده مسلبة قول امرئ القيس :-

وليل كموج البحر أرخى سدوله      على بأنواع الهموم ليبتل  
فقلت له لما تمطى بصلبه      وأردف أعجازا وناه بكلاكل  
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى      بصبح وما الاصباح منك بأمثل  
فيا لك من ليل كأن نجومه      بكل مغار الفتل شدت يذبل  
كأن الثريا علقت في مصامها      بأمراس كتان إلى صم جندل  
فضرب الوليد برجله طرما فقال الشعبي بانث القضية .

ولا نعى بما قدمناه أن يكف المحدثون عن نقد الشعر الذى وقع تحت  
نظر القدماء ولم يتعرضوا له بالقدر إلا كنا جامدين فمن الجائز أنهم لا ينتقدون  
البيت حتى يلوح لهم ما فيه من مغمز خفى ، ومن الجائز أن يلوح لهم هذا  
المغمز ولاكنهم يستهينون به فلا يذكرونه ، ومن المحتمل أن يذكروه ولكنه  
لا يصل إلينا فى هذه الكتب التى بقيت مما تركوا . وإنما نقصد أن ما  
ذهب إليه الدكتور فى هذه الآيات لا يمكن أن ينهض دليلا على أن هذين  
البيتين قلقان فى القصيدة .

بعد هذا ذكر الدكتور أن ما فى القصيدة من هو وخش أشبه بأن

يكون من اتتحال الفرزدق وأن ما فيها من وصف امرئ القيس لخليلته  
وزيارته إياها وتجشمه ما تجشم للوصول إليها وتخوفها الفضيحة حين رآته  
وخروجها معه وتعفيتها آثارهما بذيل مرطها وما كان بينهما من لحو كل هذا  
أشبه بشعر عمر بن أبي ربيعة قال « ولنسرع القول بأن وصف  
اللهو مع العذارى وما فيه من فحش أشبه بأن يكون من اتتحال الفرزدق  
منه بأن يكون جاهليا . فالرواة يحدثونا أن الفرزدق خرج في يوم مطير إلى  
ضاحية البصرة فاتبع آثاراً حتى انتهى إلى غدير وإذا فيه نساء يستحمن  
فقال : ما أشبه هذا اليوم بيوم دارة جلجل ، وولى منصرفا ، فصاح النساء  
به : يا صاحب البغلة فعاد إليهن فسألنه وعزمن عليه ليحدثهن بحديث دارة  
جلجل فقص عليهن قصة امرئ القيس وأنشدهن قوله :

ألا رب يوم لك ممن صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل  
( الأبيات )

والذين يقرءون شعر الفرزدق ويلاحظون فحشه وغلظته وأنه قد ليم  
على هذا الفحش وعلى هذه الغاظة لا يجدون مشقة في أن يضيفوا إليه هذه  
الأبيات فهي بشعره أشبه . وكثيرا ما كان القدماء يتحدثون بمثل هذه  
الأحاديث يضيفونها إلى القدماء وهم ينتحلونها من عند أنفسهم ومهما  
يكن من شيء فلغة هذه الأبيات كلغة القصيدة كلها عدنانية قرشية يمكن أن  
تصدر عن شاعر إسلامي اتخذ لغة القرآن لغة أدبية

أما وصف امرئ القيس لخليلته وزيارته إياها وتجشمه ما تجشم  
ل للوصول إليها وتخوفها الفضيحة حين رآته وخروجها معه وتعفيتها آثارهما

بذيل مرطها وما كان بينهما من لهُو ، فهو أشبه بشعر عمر بن أبي ربيعة منه بأى شيء آخر . فهذا النحو من القصص الغرامية في الشعر فن عمر بن أبي ربيعة قد احتكره احتكاراً ولم ينازعه فيه أحد . ولقد يكون غريباً حقاً أن يسبق امرؤ القيس إلى هذا الفن ويتخذ فيه هذا الأسلوب ويعرف عنه هذا النحو ، ثم يأتي ابن أبي ربيعة فيقلده فيه ولا يشير أحد من النقاد إلى أن ابن أبي ربيعة قد تأثر بامرئ القيس مع أنهم قد أشاروا إلى تأثير امرئ القيس في طائفة من الشعراء في أنحاء من الوصف فكيف يمكن أن يكون امرؤ القيس هو منشئ هذا الفن من الغزل الذي عاش عليه ابن أبي ربيعة والذي كون شخصية ابن أبي ربيعة الشعرية ولا يعرف له ذلك ؟

وأنت إذا قرأت قصيدة أو قصيدتين من شعر ابن أبي ربيعة لم تكذبك في أن هذا الفن منه ابتكاره واستغله استغلالاً قوياً . وعرفت العرب له هذا . وقل مثل هذا في هذا القصص الغرامية الذي تجده في قصيدة امرئ القيس الأخرى : «ألا انعم صباحاً أيها الطلل البالي، فغنى هذا القصص الفاحش فن ابن أبي ربيعة وروح الفرزدق . ونحن نرجح إذاً أن هذا النوع من الغزل إنما أضيفت إلى امرئ القيس ، أضافه رواة متأثرون بهذين الشاعرين الإسلاميين، اه بنصه

ونحن نعجب من خلط الدكتور هنا أشد العجب فإنه أنكر الوحدة والشخصية في القصيدة ثم عاد فقال إن ما فيها من فحش وغرام هما للفرزدق

وعمر بن أبي ربيعة . وهما شاعران إسلاميان يظهر في شعرهما الوحدة والشخصية لأنهما من شعراء الإسلام الذين قال الدكتور عن شعرهم إنه يتحدى أي ناقد أن يعيب به أقل عيب دون أن يفسده وقال إن وحدة القصيدة فيه بيّنة وإن شخصية الشاعر فيه ليست أقل ظهورا منها في أي شعر أجنبي . ونحب أن نسأل الدكتور بعد هذا الذي ذهب إليه من أن قصيدة امرئ القيس إسلامية لجاهلية . نحب أن نسأله عن قوله إن القصيدة نلت من الوحدة والشخصية ، أين ذهبت هذه الوحدة وتلك الشخصية ؟ أتبحرت على مر السنين أم سلطت عليها قوة سحرية وأشارت إليها الشياطين بعصيم فاختفت تحت الأرض ؟ أم الأستاذ يعدل عن رأيه فيعترف بأن الوحدة والشخصية ظاهرتان في القصيدة . وإنا لنعجب أيضا من أن تكرن تلك القصيدة شركة بين ثلاثة من الشعراء وظلمهم جليل الخطر في شعره ولا يخبرنا النقاد والرواة بهذا وهم هؤلاء الذين لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة في الشعر إلا ردوها إلى صاحبها . وإذا كان الفرزدق قد عرف بنحو من الشعر فهل يجب أن يكون له مبتدعا لم يسبقه به امرؤ القيس . ألا إن الأستاذ لا يستند في هذا الزعم إلا إلى أن هذا الفحش أشبه بفحش الفرزدق وذلك شيء عجيب فإن تشابه الشعرين لا يمكن أن يقوم دليلا على أن هذا الشعر للفرزدق خصوصا وأنا أعلم أن الفرزدق كان مشهورا بسرقة الشعراء يغير عليهم وينهب شعرهم وينسبه إلى نفسه ويحمله من شعره غير مبال أن يعرف الرواة عنه ذلك أو أن يكون الشاعر المسلوب حيا أو ميتا

وقد شهد عليه الأصمعي وغيره بأنه كان لصا ماهرا في سرقة الشعر يسرقه  
عنوة واقتدارا . وقد جاء في الموشح وخزانة الأدب الكبرى أن الفرزدق  
سرق من ابن ميادة قوله

لو أن جميع الناس كانوا بتلعة      وجئت بجدي ظالم وابن ظالم  
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا      سجودا على أعقابنا بالجمجم  
فأدخلهما الفرزدق في شعره وقال

لو أن جميع الناس كانوا بتلعة      وجئت بجدي دارم وابن دارم  
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا      سجودا على أعقابنا بالجمجم  
وفي الأغانى والموشح أيضا أنه سرق من ذى الرمة قوله:

أحين أعادت بي تميم نساءها      وجردت تجريد اليماني من الغمد  
ومدت بضبعي الرباب ومالك      وعمرو وشالت من ورائي بنو سعد  
ومن آل يربوع زهاء كأنه      دجى الليل محمود النكاية والورد  
وكننا إذا الجبار صعر خده      ضربناه فوق الأتشين على الكرد  
وسرق من الراعى قوله

كم من أب لى ياجرير كأنه      قمر المجرة أو سراج نهار  
لن تدركو اكرمي بلوم أييكم      وأوابدى بتنحل الأشعار  
وسرق من جميل قوله

ترى الناس ماسرنا يسرون خلفنا      وإن نحن أو ما نألى الناس وقفوا  
وفي الموشح أيضا أن الفرزدق سرق من الأعمى العبدى تسعة أبيات

وأدخلها في قصيدته « عزفت بأعشاش وما كدت تعزف،

وسرق من النابغة الجعدى :-

وصهباء لا تخفى القذى وهى دونه تصفق فى راووقها ثم تقطب

تمززتها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

أخذه الفرزدق نسخا فقال :-

وإجانة ريا الشروب كأنها إذا صفت فيها الزجاجة كوكب

تمزرتها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

ولقى الفرزدق أبا عمرو بن العلاء فى المربد فسأله أبو عمرو هل أحدثت

شيئا يا أبا فراس؟ فقال نعم ثم أنشده

كم دون مية من مستعمل قذف ومن فلاة بها تستودع العيس

فقال له أبو عمرو هذا للتلس فقال اكتبها فى نفسك فلضوال الشعر

أحب إلى من ضوال الأبل وخير السرقة ما لم تقطع فيه اليد

فشاعر كهذا كثير السرقات يرغب فى انتحال شعر غيره ويدعيه لنفسه

لا يمكن بحال من الأحوال أن يقول شعرا ثم ينحله غيره . فلا يمكن أن يكون

الفرزدق هو الذى صنع هذا الشعر وأسنده إلى امرئ القيس وكل ما فى

الأمر أن الفرزدق تأثر بامرئ القيس لأنه كان تلميذاً له فقد كان من

رواته بشهادة ابن عبد ربه فإنه قال فى العقد الفريد « كان الفرزدق أروى

الناس لأخبار امرئ القيس وأشعاره وذلك أن امرأ القيس رأى من أيه

جفوة فلحق بعمه شرحبيل بن الحرث وكان مسترضعا فى بنى دارم فأقام

فيهم وهم رهظ الفرزدق ، والذي يدعشنا من الدكتور أيضا مع جنوحه  
إلى رفض القصص المنحولة يتقبل قصة الفرزدق وإن كانت أشبه بالمنحول  
منها بأن تكون حقيقية. ونعني بها القصة التي قيل فيها إن الفرزدق خرج في  
يوم مطير إلى ضاحية البصرة وتبع آثارا حتى انتهى إلى غدير فيه نساء فقال  
ما أشبه هذا اليوم بدارة جليل - إلى آخر ما جاء عن تلك القصة التي ذكرها  
الدكتور في كلامه

أما عن اللهو الذي جاء في القصيدة ويدعيه الدكتور لعمر بن أبي ربيعة  
غبو عنده لم يخرج عن دائرة الشك ولم يقم على دعواه دليلا . على أن الأقدمين  
قالوا إن امرأ القيس سبق إلى أشياء ابتدعها واتبعه فيها الشعراء منها استيقاف  
صعبه والبكاء على الديار ورقة النسيب وقرب المأخذ وتشبيه النساء بالظباء  
والبيض وما إلى ذلك مما ذكره ابن سلام في كتابه طبقات الشعراء . وبهذا تقدم  
امرؤ القيس الشعراء لأنهم اتبعوه فيها ولم يتبع هو أحدا فيها ، وفن ابن  
أبي ربيعة واللهو الذي جاء في القصيدة (وزعم الدكتور أنه لعمر بن أبي ربيعة)  
كل هذا داخل في رقة النسيب التي سبق إليها امرؤ القيس قبل سائر  
الشعراء وقبل أن يولد ابن أبي ربيعة فإذا كان ابن أبي ربيعة قد استحسنت  
أسلوبا من أساليب امرئ القيس في النسيب فأكثر منه واستنفد فيه جانباً  
من شعره فليس معنى هذا أنه اخترع هذا الفن واحتكره ولو كان هذا الغزل  
واللهو من مبتكرات ابن أبي ربيعة لما فات هذا رواة الأدب ونقاده  
ولذكروا ذلك وجعلوا الفخر كل الفخر فيه لابن أبي ربيعة ولكن الرواة  
جميعا متفقون على أن امرأ القيس هو السابق إلى النسيب ورقته وإلى أشياء

أخرى ومتفقون أيضا على أن مافي المعلقة وما في القصيدة الثانية ( ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي ) من لهُو وعبث وغيره هو من شعر امرئ القيس فأذا كان بينه وبين شعر ابن أبي ربيعة تشابه واضح فمن مقتضيات هذا أن نعترف بأن امرأ القيس كان أستاذاً لعمر بن أبي ربيعة في هذا الفن . أما سكوت الرواة وعدم إشارتهم إلى أثر امرئ القيس في عمر بن أبي ربيعة كما قال الدكتور فائمه - إن صح - لا ينهض دليلاً على أن هذا الشعر لابن أبي ربيعة ، بيد أن في قول الرواة إن امرأ القيس سبق الشعراء إلى أشياء ابتدئها واتبعوه فيها كركة النسيب ... دليلاً على أثر امرئ القيس في ابن أبي ربيعة لأنه من شعراء الغزل ولأنه لاحق لامرئ القيس ومندرج تحت لواء الشعراء الذين جروا على سنة امرئ القيس ، وانظر إلى مقاله صاحب شرح شواهد الكشف عند إيراد شيء من قصيدة امرئ القيس ( ألا انعم صباحا ) فائمه ذكر أن قصيدة عمر بن أبي ربيعة ( أمن آل نعم ) مشابهة لقصيدة امرئ القيس بمعناها مشابهة اليوم للأمرس . ومطابقة لها مطابقة الخمس بالخمس - وننتهي إلى أن امرأ القيس هو الذي سن الغزل لابن أبي ربيعة وسن الفحش للفرزدق وسن فنونا من القول لسائر الشعراء بعده .

ثم تحدث الدكتور عن الوصف الذي جاء في القصيدة فقال وبقي الوصف ولا سيما وصف الفرس والصيد . ولكننا نقف فيه موقف التردد أيضا واللغة هي التي تضطرنا إلى هذا الموقف . فالظاهر أن امرأ القيس كان قد نبغ في وصف الخيل والصيد والسيل والمطر والظاهر أنه قد استحدث في



ذلك أشياء كثيرة لم تكن مألوفة من قبل . ولكن أقال هذه الأشياء في هذا الشعر الذى بين أيدينا أم قالها في شعر آخر ضاع وذهب به الزمان ولم يبق منه إلا الذكر وإلا جعل مقتضبة أخذها الرواة فنظموها في شعر محدث نسقوه ولفقوه وأضافوه إلى شاعرنا القديم ؟ هذا مذهبنا الذى نرجحه فنحن نقبل أن امرأ القيس هو أول من قيد الأوابد وشبه الخيل بالعصى والعقبان وما إلى ذلك وإكثنا نشك أعظم الشك فى أن يكون قد قال هذه هذه الأبيات التى يروىها الرواة . وأكبر الظن أن هذا الوصف الذى نجده فى المعلقة وفى اللامية الأخرى فيه شيء من ريح امرئ القيس ولكن من ريحه ليس غير ، ونحن نعجب للدكتور فأن الرواة حدثوه بأن امرأ القيس هو أول من قيد الأوابد وشبه الخيل بالعصى والعقبان ووصف الصيد والسيل والمطر وأجاد فى هذا الوصف ونبغ فيه يقول له الرواة ذلك فىؤمن الدكتور على كلامهم ويقول صدقوا . ثم يقول الرواة هذا شعره الذى يظهر فيه وصفه وروحه فيقول الدكتور لم يصدقوا . وذلك لعمرى منطق غريب يبتدعه الدكتور جامعا بين النقصين فالرواة عند الدكتور صادقون كاذبون معا . وإذا كان الدكتور لم يعتمد على الرواة فى أن امرأ القيس وصف الخيل والسيل فايقل لنا من أين جاء هذا العلم ؟ هل تنزل عليه به وحى من السماء ؟ كلا ولكن الدكتور يأخذ عن الرواة ما يصادف هوى فى نفسه ويرفض ما لا يتفق مع نزعاته ولا عجب فى ذلك ولا غرابة فأن الدكتور يلح عليه الشك ثم يلح عليه الشك فلا يضبط مقدماته ولا نتائجها فيلتوى عليه السيل ولا يعرف إلى أى غاية يسير .

ثم خرج الدكتور بعد هذا على القصيدة التي يروى أن امرأ القيس قالها في منازعة شعرية بينه وبين علقمة فقال : هناك قصيدة ثالثة نجزم نحن بأنها منتحلة انتحالا . وهي القصيدة البائية التي يقال إن امرأ القيس أنشأها يخاصم بها علقمة بن عبدة الفحل وإن أم جندب زوج امرئ القيس قد غلبت علقمة على زوجها وأنت تجد القصيدتين في ديوان امرئ القيس وديوان علقمة . فأما قصيدة امرئ القيس فطلعها : -

خليلى مرابى على أم جندب    نقض لبانات الفؤاد المعذب  
وأما قصيدة علقمة فطلعها

ذهبت من الهجران في كل مذهب    ولم يك حقا كل هذا التجنب  
ويكفى أن تقرأ هذين البيتين لتحس فيهما رقة إسلامية ظاهرة على أن هذين الشاعرين قد تواردا على معان كثيرة بل على ألفاظ كثيرة بل على آيات كثيرة تجدهما بنصها في القصيدتين معا ، وعلى أن البيت الذى يضاف إلى علقمة وبه ربح القضية يروى لامرئ القيس ، وهو . -

فأدر كمن ثانيا من عنائه    يمر كمر الرائح المتحلب  
والبيت الذى خسر به امرؤ القيس القضية يروى لعلقمة وهو : -

فلسوط أهوب وللساق درة    وللزجر منه وقع أهوج منعب  
وأنت تستطيع أن تقرأ القصيدتين دون أن تجد فيهما فرقا بين شخصية الشاعرين ، بل أنت لا تجد فيهما شخصية ما ، وإنما تحس أنك تقرأ كلاما غريبا منظوما في جمع ما يمكن جمعه من وصف الفرس جملة وتفصيلا وأكبر الظن أن علقمة لم يفاخر امرأ القيس وأن أم جندب لم تحكم بينهما وأن

القصيدتين ليسا من الجاهلية في شيء ، جزم الدكتور بأن هذه القصيدة متحلة اتحالا لأن فيها رقة إسلامية ولو تدبر قليلا لرأى في شعر بعض شعراء الإسلام غرابة يعسر فهمها كرقوبة والعجاج ولرأى أيضا في شعر بعض شعراء الجاهلية سهولة ورقة ونحن لا نحتج عليه بهذه السهولة بأكثر من الشعر الذي سلمه لعلامة كقوله

فإن تسألوني بالنساء فأتى خبير بأدواء النساء طيب  
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له في ودهن نصيب  
يردن ثراء المال حيث علمته وشرخ الشباب عندهن عجيب

وأنا ما رددت دليل الدكتور إلا لا بين ضعف براهينه ولكني لا أذهب مع ذلك إلى أن القصيدة قد سلبت لامرئ القيس فإن هناك طائفة من الرواة القدامى قد سبقوا الدكتور وأنكروا هذه القصيدة فقد ذكر المرزباني في الموشح حين ساق منازعة امرئ القيس وعلامة واحتكامهما إلى أم جندب بعد أن ذكر ذلك قال « وقد روى هذا الحديث أيضا ابن الكلبي ورواه أيضا عبد الله بن المعتز وذكره فيما أنكر من شعر امرئ القيس ، وكان حماد يروي القصيدتين لامرئ القيس وكان المفضل يرويهما لعلامة .

إلى هنا ينتهي بنا نقد ما تعرضنا له من آراء الدكتور طه ونخرج من ذلك على أن امرأ القيس وجد حقا وأن القصة التي ذكرها المؤرخون والرواة عنه هي قصة حقا وأن الشعر الذي يضاف إليه هو شعره حقا وأن الدكتور لم يكن في محته مة فقا . الحمد لله أولا وآخرا

## الفهرست

الموضوع	ص	الموضوع	ص
ما تمثله المعلمة من أحوال الاجتماع	٩٦	الاهداء	٤
قصيدة امرئ القيس الثانية	٩٩	مقدمة الكتاب	٥
أينما قصيدة امرئ القيس الثانية	١٠٢	كلمة للدولف	١٢
صفات امرئ القيس وأخلاقه في	١٠٦	منهج البحث	١٣
شيء من أخباره وحوادثه		أسرة امرئ القيس	١٧
عقيدة امرئ القيس الدينية	١١٧	مولد امرئ القيس وشاعريته	٣٢
امرؤ القيس بعد مقتل أبيه	١٣٢	المتوارثة	
أثر الحوادث في شعر امرئ القيس	١٥٢	نشأة امرئ القيس	٣٩
حول ما أخذ العلماء على	١٧٢	بيئات امرئ القيس	٤٢
امرئ القيس في أشعاره		البيئة الطبيعية	٤٣
تأثر امرئ القيس بغيره	٢٢١	البيئة الاجتماعية	٤٥
أثر امرئ القيس في غيره	٢٣٣	البيئة العلمية	٤٩
ما جرى على لسان امرئ القيس	٢٤٩	شباب امرئ القيس	٥١
من استعمالات القرآن وألغاز		حشق امرئ القيس وصواحيبه	٥٦
حكم امرئ القيس وأمثاله	٢٥٣	نزلة امرئ القيس الشعرية	٧٣
ما لزمه امرؤ القيس في شعره	٢٥٦	معلقة امرئ القيس	٨٢
حول أوهام الدكتور طه	٢٦٣	رأينا في المعلقة	٨٩

## تصحيح الخطأ

وقع في أثناء الطبع بعض أخطاء ننبه على ملاحظتها منها

صواب	خطأ	ص	س	صواب	خطأ	ص	س
يا امراً	يا امر	١٩	١٢٣	يخاق	يخاق	٩	١٢
عما	عم	١١	١٢٤	ويما	فيم	١٣	٤
يوافقون	وافقون	١٠	١٢٥	وإن	ولن	١٣	١٥
فبرزت إليه	فبرزت عليه	١٣	١٢٦	وضمته	ووضمته	١٤	١٧
كرك	كرلا	٨	١٢٩	الحجرين	الحجرين	١٧	٦٠٤
خفارتى	خفارتى	١٠	١٥٤	حجرا	حجر	٢٠	١٠
هانيء	هاني	١١	١٥٩	سدوسا	سدودا	٢١	١
بتوديعه	توديعه	٢	١٦٨	فأرداه	فأراده	٢١	١
معو لا	معول	١٧	١٧٤	خيتعور	خي شعور	٢١	١١
(على النحر)	(وعلى النحر)	٦	١٨١	عمرو	عمر	٢٢	٣٠١
القسمين	القسمين	٨	١١٣	تن	بن	٢٤	١٢
ونحن نستبعد	ونحن لانستعد	١٩	١٨٤	غدا أول	غدا أول	٢٩	٧
المتعزل	المتعزل	٩	١٩٢	دستك	درستك	٣٠	١٩
يعرها	يعرها	١٥	١٩٢	وإن بدالك	إن وبدالك	٣٢	١٥
والمسابقون	وأن السابقون	١١	٢٠١	سكر	كر	٣٥	١٨
اللغة	اللغة	٢	٢٠٥	القتل	القتل	٣٦	٧
أعلى	أعلا	١	٢٠٨	يسمع	يمسمع	٤٠	٤
والزيادة	والزيادة	٧	٢١٤	درها	دردها	٤١	٦
المهلل	مهلل	٦	٢٢٢	تأ	تنبأ	٥٧	١٠
بشعراء	بالشعراء	٨	٢٢٢	لباتها	لبانها	٦٢	٦
أشباهه	أشبابه	٨	٢٦٤	عشاروله	عشارولها	١١٦	٤
سنة ٥٢٠ م	سنة ٢٥٠ م	١٨	٢٦٤	تاخها	باخامها	١١٩	٤
يزيعها	يزيعها	١٢	٢٨٧	« الفيس »	« قيس »	١٢٣	١١